وهبي سليمان غاوجي

المرأة المسلمة

«وليس الذكر كالأنثى»

دار القلم
دمشق





"وليس الذكر كالأنثى"

المرأة المسلمة

"وليس الذكر كالأنثى"

وهبي سليمان غاوجي

دار القلم
دمشق

الطبعة الثامنة
١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

تطلب جميع كتبنا من :
دار القلم - دمشق : ص.ب : ٤٥٢٣ - ت : ٢٢٢٩١٧٧
الدار الشامية - بيروت - ت : ٦٥٣٦٥٥ / ٦٥٣٦٦٦
ص.ب : ٦٥٠١ / ١١٣

توزع جميع كتبنا في السعودية عن طريق
دار البشير - جدة : ٢١٤٦١ - ص.ب : ٢٨٩٥
ت : ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الخامسة

أمر الإنسان الكنود عجيب! إنه يعيش مطيةً للهوى وأسيراً للشهوة!!.

ما عمله، ما علمه، إلاّ وسيلة للهوى ومطية إلى الشهوة!!.

ما تقدمه وحضارته، ما حروبه وخصوماته؛ إلاّ مطية للهوى وأسيراً للشهوة!!.

أمر الإنسان الكنود عجيب! إنه يعبد إلهاً قدَّه من غريزته بعد أن أوحى إليه به عدوه، إنه يعبد ما يسميه المصلحة.. المصلحة القائمة في تقدير النفس الأمَّارة بالسوء، والمتمثلة في لُعَاعة من الدنيا، في أهواء هوائية، وشهوات حيوانية، لا يؤخذ فيها رأي العقل ولا يُرجع فيها إلى حكم الشرع.

أمر الإنسان الكنود عجيب! إنه ليقدِّم فكره وجسده، وماله وحياته قرباناً لهواه وزُلْفى إلى شهوته!.

ومَنْ مِنَ العقلاء ـ وقليل ما هم في جنس الإنسان الكنود ـ لا يرى كيف يحفر هذا الإنسان قبره بظفره في أرض الحياة بهمّة وجلد ودأب؟!.

ألا ترى هذا الإنسان في سعيه الدائب النشط في:

ـ هذا السباق إلى التسلح خاصة بين الدول الكبرى؟

هذا السباق إلى فرض نفوذ، وإلى احتلال، وإلى إضافة أتباع، هذا التنافس على البقاء في القمة بكل وسيلة، وعلى كل مستوى إلّا وسيلة الحق ومستوى الخُلُق!!.

ـ في هذا الانغماس في حمأة الإضرار بالجسم إلى زوال الحياة عنه في شرب الخمور، وتعاطي المخدِّرات، وشرب الدم، وأكل لحم الخنزير، ولحم الكلب، وشرب الدخان.. بعد أن قرر العلم من قديم وأثبتت التجربة في كل وقت أنها ضارة للجسم!.

ـ في هذا الانكباب الجهول على الزنا واللواطة فيما يسمونه الجنس! دون مبالاة بعفة وشرف، وحلال أو حرام، إلى أن يقع أحدهم في أمراض جنسية خطيرة تؤدي إلى الموت الزؤام بإذن الله تعالى.

ـ في هذا الهجوم الجريء من الإنسان على أخيه الإنسان؛ يعذبه، يفتك به، يقتله فيما لا يعرف حتى في غرائز الذئاب والوحوش في سبيل عَرَض من الدنيا يسير.. والدنيا وأهلها إلى زوال.

كل ابن أنثى وإن طالت إقامته
يوماً على آلة حدباء محمول

أقول ـ على أسف واحتراق قلب ـ: سيظل هذا الإنسان الكنود ينحدر وينحدر في عقله وفكره، في علمه وعمله، في خلقه

وسلوكه، في تقويمه ذاتَه أو المرأةَ التي هي جزؤه إلى أن يعم الدمار هذا الإنسان ويذهب هباء ﴿ وإذا أردنا أن نهلكَ قرية أمرنا مُتْرفيها فَفَسقُوا فيها، فحقَّ عليها القول، فدمَّرناها تدميراً ﴾. أي أمرناهم بالطاعة والإقبال على الله تعالى فأعرضوا وفسقوا.

* * *

من يعالج هذا الإنسان العجيب الكنود من جنونه؟ من يعيده إلى فطرته الكريمة؟ من يكبح جماح شهوته ويوجه هواه ورغبته؟ من يصون له جسمه وفكره وماله وعمله؟.

من يعلمه أن الإنسان أخو الإنسان فلا يظلمه، ولا يخذله، ولا يَحْقِره، ولا يسرقه، ولا يقتله، ولا ينتهك عرضه، ولا يهضم كرامته؟!.

من يدل هذا الإنسان الحَائر المسكين على القصد من خلقه، والحكمة من وجوده؟.

من يدل هذا الإنسان الحائر المسكين على حقيقة إنسانيته ووظيفته في حياته، وحقيقة صلته ببني جنسه؟.

من ينقذ هذا الإنسان من نفسه؟.

إنه دين الله تعالى الذي أنزله سبحانه هداية ورحمة ورسالة كرامة لهذا الإنسان في الحياتين، وحمَّل أداءها أعقل إنسان، وأشرف إنسان، وأكمل إنسان، محمداً ﷺ، إنه الضياء والنور!.

* * *

وهذا الضياء الذي نلمحه في الأفق، هذا النور الذي يقبل على

الأرض «من جديد» مع الأيام، هذا الجهاد المبارك في تطويع الهوى والشهوة للمصلحة الحقّة وشرع الله تعالى. هذا الضياء ما يزال، نعم ما يـزال الضباب والـظلام وشياطين الإنس والجن يدفعونه، ويردونه عن مسيره. وفي الوقت الذي يحرق فيه الضياء الشياطين، ويضيء على الكون فيزول الضباب، ويتبدَّد الظلام، في الوقت الذي ينتصر فيه الدين على الهوى، ويمكن الله تعالى لعباده في الأرض، في ذلك الوقت ستشرق الأرض بنور ربها ودينه من جديد إلى حين، وتزول أمراض البشرية وأوبئتها، ويوجد من جديد الرجل المسلم والمرأة المسلمة، يعملان معاً عملاً طيباً هو العيش بدين الله تعالى من أجل سعادتي الآخرة والدنيا ابتغاء مرضاته سبحانه. قال تعالى: ﴿ من عمِلَ صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن، فَلَنُحْيِيَنَّهُ حياة طيبةً، ولَنَجْزِيَنَّهم أجرَهم بأحسنِ ما كانوا يعملون ﴾.

﴿ . . ويقولون متى هو؟ قل: عَسَى أن يكون قريباً ﴾.
والله الموفق الهادي إلى سواء السبيل.

وهبي سليمان غاوجي

طيبة الخير ـ رجب سنة ١٤٠١ هـ.

مقدّمة الطبْعة الأُولى

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى سائر عباده الذين اصطفى، وعلى آله وصحبه وإخوانه ومن سلك سبيل هداه.

أمّا بعد:

فإنَّ شر ما تصاب به الأمة المسلمة شرور ثلاثة:

١ ـ نسيان الإسلام أو تناسيه. ونعني بالإسلام: الإيمان بما جاء به الإسلام في الاعتقاد، والقول، والفعل، والسلوك، والخلق.

فإنها إذا نسيت إسلامها بحثت عن دين غيره ومعتقد سواه، ولن يكون ذلك الآخر إلّا هوىً باطلاً، وخساراً مهلكاً؛ ﴿ فماذا بعد الحق إلّا الضلال * والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون ﴾ ثم أخذت تتخبط مع الهوى والباطل، لا تَقَرُّ على رشد ولا تهتدي إلى خير، حتى إذا انتهى أجلها من هذه الحياة انقلبت إلى النار عمياء؛ جزاء تعاميها عن إسلامها في الحياة الدنيا.

٢ ـ نسيان الماضي أو تناسيه. ونعني بالماضي: ماضي

المسلمين في عهده ﷺ، وصحابته الأبرار، والتابعين، ومن سايرهم على الهدى في مشارق الأرض ومغاربها، وما أكرمهم الله تعالى به من العيش السعيد في الدنيا، وما خلَّفوا لأولادهم من مجد طارف وتليد، لا تحلم ببعضها دول الآخرين مجتمعة، قديماً وحديثاً.

فإنها إذا نسيت ماضيها مدَّت طَرْفها إلى ما عند الآخرين، وماذا عندهم؟! وعاشت على أطراف حياتهم مستذلّة، محقَّرة، ضائعة، وصدق من قال: (من فات قديمه تاه). حتى إذا انتهى أجلها من هذه الحياة انقلبت إلى النار تبعاً لأولئك الذين أحبتهم واتبعتهم، والمرء مع من أحب. قال الله تعالى: ﴿ احشُروا الذينَ ظلموا وأزواجَهم.. ﴾ أي أقرانهم.

٣ ـ نسيان ذاتيتها أو تناسيها. ونعني بالذاتية: أنَّها أمة مسلمة، مسلمة فكراً وقلباً، لساناً وقولاً، فعلاً وحالاً، سلوكاً ومنهاجاً.

ونسيان الأمة ذاتيتها يعني فقدانها كل شيء. أن تصبح الأمة ريشة في مهبِّ الرياح، تميل بها مشرِّقة حيناً ومغرِّبة حيناً ومُدبرة أحياناً.. حتى تقع بها في مستنقع عفن، وعلى ماء آسِن، أو في متاه مضيِّع، لا تعرف من يميل بها ويدفعها، ولا تملك أن ترفع رأسها لتقول: أنا غُصَيْن من دوحة الدنيا فأعيدوني إلى أمي، أنا جدول من معين السعادة فأعيدوني إلى نبعي.

ومن فقد ذاته فأنَّى أن يجد ذاته عند الآخرين؟!.

وهذا ما يرمي إليه أعداء المسلمين منذ مئات السنين وما يزالون.

ألا ترى إلى نسيان الكثيرين من المسلمين إسلامهم؛ ليرتبطوا بعقائد من هناك وهنالك.

ألا ترى إلى نسيان الكثير منهم ماضيهم، فلا يذكرون منه إلّا النَّزْر اليسير وعلى حدِّ مصالحهم.

ألا ترى إلى نسيان الكثير منهم ذاتيتهم، فيذوبون في منظمات الكفر وهيئات الشرك، وملابس أهل الضلال، يتلقَّون عنهم كل شيء، حتى يوم الطفل، وعيد الأم، وعام المرأة؟!.

ولكن سيعود المسلمون إلى إسلامهم، وإلى مثل ماضيهم، وسيحققون بالإسلام ذاتيتهم.

وستعود المرأة المسلمة إلى إسلامها، تربِّي جيل الإسلام الذي يفتح الله به قلوباً غُلْفاً، وعيوناً عُمْياً، وآذاناً صُمّاً بإذن الله تعالى.

ولا شك أن مفتاح الحضارة: تربية الفرد الصالح، ووضعه في المحضَن الصالح، ليعمل الجميع العمل الصالح للناس جميعاً، فإنما الناس جميعاً لآدم وحواء.

قال الله تعالى: ﴿ هو الذي أرسَل رسولَه بالهُدى ودينِ الحقِّ ليظهِره على الدِّين كلِّه ولو كره المشركون ﴾.

﴿ ويقولون متى هو؟ قُلْ عَسَى أن يكونَ قريباً ﴾.

وهبي سليمان غاوجي

دمشق ١٤ جمادى الأولى سنة ١٣٩٥

تمهيد

خلق الكون وما فيه:

لقد أتى على هذا الكون حين منّ الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً، كان الله تعالى ولم يكن شيء معه، فلا عرش ولا فرش، لا مَلَك، ولا جنٌّ ولا إنس، ولا حيوان ولا نبات، بل لا أرض ولا سموات.

فقضى الله تعالى بإرادته إيجاده، فتعلَّقت بذلك قدرته سبحانه، فخلق الله تعالى الماء، وجعل من الماء بعد ذلك كل شيء حي، وخلق العرش وجعله على الماء، وخلق الريح، ثم خلق الله تعالى القلم، فقال له: اكتب، قال يا رب: وماذا أكتب؟ قال: (اكتب القدر) فجرى بما هو كائن من ذلك اليوم إلى قيام الساعة[1] وخلق الله تعالى الخلق بعد ذلك من الماء والنور والظلمة والريح والتراب[2].

ذكر عبد الرزاق بن عمر بن حبيب المكِّي، عن حُمَيْد، عن قيس الأعرج، عن طاووس، قال: جاء رجل إلى عبد الله بن عمرو بن العاص فسأله: ممَّ خلق الله الخلق؟ قال: من الماء والنور والظلمة والريح والتراب. قال الرجل: فممَّ خلق هؤلاء؟

(١) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي: ١/٢٥٧.
(٢) المصدر نفسه.

قال لا أدري. قال فأتى الرجل عبد الله بن الزبير فسأله، فقال له مثل قول عبد الله بن عمرو. قال فأتى الرجل عبد الله بن عباس فسأله، فقال: ممَّ خلق الله الخلق؟ قال: من الماء والنور والظلمة والريح والتراب، قال الرجل: فممَّ خلق هؤلاء؟ فتلا عبد الله بن عباس: ﴿ وسخَّر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه ﴾ فقال الرجل: ما كان ليأتي بهذا إلّا رجل من أهل بيت النبي ﷺ.

قال البيهقي: «أراد أن مصدر الجميع منه سبحانه، أي من خلقه وإبداعه واختراعه، خلق الماء أولاً، أو الماء وما شاء من خلقه لا على أصل، ولا مثال سابق، ثم جعله أصلاً لما خلق بعدُ، فهو المبدع وهو البارىء، لا إله غيره، ولا خالق سواه، سبحانه جلّ وعزّ»[1].

قال مجاهد وغيره من المفسِّرين: «إن الله تعالى أيبس الماء الذي كان عرشه عليه فجعله أرضاً، وثار منه دخان، فارتفع فجعله سماء، فصار خلق الأرض قبل خلق السماء، ثم قصد أمره إلى السماء، فسوّاهن سبع سموات، ثم دَحَا الأرض بعد ذلك، وكان إذ خلقها غير مدحوَّة»[2].

ويؤيد خلق الأرض قبل السموات قولُهُ تعالى: ﴿ قُلْ أإنَّكُم لتكفرونَ بالذي خلق الأرضَ في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك ربُّ العالمين * وجعل فيها رواسيَ من فوقها وبارك فيها وقدَّر فيها

(١) المصدر نفسه ١/٢٥٨.
(٢) القرطبي ١/٢٥٨.

أقواتها في أربعة أيام سواءً للسائلين * ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائْتِيَا طَوْعاً أو كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طائعين * فقضاهُنَّ سَبْعَ سمواتٍ في يومين وأوحى في كلِّ سماءٍ أَمْرَهَا، وزيَّنَّا السماءَ الدُّنيا بمصابيحَ وَحِفْظاً ذلك تقديرُ العزيزِ العليم ﴾[1].

وقال ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿ أَوَ لَمْ يَرَ الَّذين كفروا أنَّ السَّمواتِ والأرضَ كانتا رَتْقاً فَفَتَقْناهما، وجعلنا من الماء كلَّ شيءٍ حَيٍّ، أفلا يؤمنون﴾: فصلنا بين السماء والأرض حتى هبت الرياح، ونزلت الأمطار، وجرت العيون والأنهار، وانتعش الحيوان[2].

لقد خلق الله تعالى الأرض في يومين، وقدَّر أرزاق أهلها من الجنِّ والإنس والحيوان والطير، وأرسى الأرَضين بالجبال الثوابت، كيلا تميد وتضطرب، في يومين كاملين، فكان خلق الأرض وما يتعلق بالعيش فيها في أربعة أيام كوامل لمن سأل عن خبر ذلك من اليهود، وهي يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء. وخلق الله تعالى السموات السبع وجعل فيها أمره، وجعل زينتها النجوم، ووظائفها، في يومين أخيرين تمام الأيام الستة، وهما الخميس والجمعة، وفي آخر يوم الجمعة خلق الله تعالى آدم عليه السلام، وسمّى ذلك اليوم الجمعة لأن الله تعالى قد جمع فيه خلق السموات والأرض.

ولقد تقدم على خلق آدم عليه السلام خلق الملائكة من نور،

(١) سورة فصلت: ٩ ـ ١٢.
(٢) ابن كثير: ١٦/١. والآية من سورة الأنبياء: ٣٠.

وخلق الجان من مارج[1] من نار، ثم جاء خلق آدم عليه السلام من التراب.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «خُلقت الملائكةُ من نور، وخَلق الجانُّ من مارج من نار، وخُلق آدم ممَّا وُصف لكم»[2].

وتقدم على خلق آدم عليه السلام فَتْقُ الله الأرض بالنبات والأشجار، وتقدم على خلقه أيضاً خلق ما شاء الله تعالى من الحيوان والجان.

لقد كان آدم عليه السلام آخر أصناف المخلوقات خلقاً، كما ورد ذلك في صحيح مسلم ومسند أحمد. والله أعلم وعلمه أتم.

آدم عليه السلام:

آدم عليه السلام أبو البشر. اشتُقَّ اسمه من أَدَمَة الأرض وأديمها ـ وهو وجهها ـ حيث قد خُلق منها.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله عزّ وجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قَدْر الأرض، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود، والسَّهل والحَزْن، والخبيث والطيِّب»[3].

(١) هو اللهب من نار.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وآدم عليه السلام أول رسول إلى البشر، أرسله الله تعالى إلى زوجه وأولاده.

ويؤكد كون آدم عليه السلام أول نبي حديث أنس رضي الله تعالى عنه في الشفاعة، وفيه «يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا إلى ربِّنا، فيأتون آدم فيقولون آدم فيقولون: أنت أبو الناس، خلقك الله تعالى بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء..». الحديث.

خلق آدم عليه السلام:

خلق الله تعالى آدم عليه السلام من تراب، بلَّه بالماء حتى أصبح طيناً لازِباً ـ لزجاً يلتصق بعضه ببعض ـ ثم تركه حتى أنتن ويبس، وبقي كذلك حيناً من الدهر، خلقه الله تعالى بيديه لكيلا يتكبَّر إبليس عليه، وقد ذكر الله تعالى مراحل خلق آدم عليه السلام حيث قال: ﴿خَلَقَكَ من تراب.. إنَّا خلقناهم من طين لازِبٍ.. من حَمَإٍ مسنون.. خَلَق الإنسان من صَلْصَال كالفَخَّار﴾.

ولم يكن قبل آدم عليه السلام آدام كما زعم بعض الجهلة وكان خلقه ابتداء من الطين، لم تمرّ عليه مراحل تطورية حيوانية كما يودّ أن يذكر ذلك بعض الملاحدة، ولما كان آدم عليه السلام طيناً، قال الله تعالى للملائكة: ﴿ إنِّي خالقٌ بَشَراً من طين* فإذا سَوَّيتُه ونفختُ فيه من رُوحي فقَعُوا له ساجدين ﴾(1).

وكان خَلْق آدم عليه السلام في الجنة التي أُعدَّت للمتَّقين

(1) الآيتان ٧١ و ٧٢ من سورة (ص).

ـ وقيل هي جنَّة المأوى ـ ليجد حنينه إلى الجنة أبداً، وتُفْطَر على ذلك ذريته، وتحرص على العمل للعودة إليها.

قال ابن القيم:

فحيَّ على جناتِ عَدْن فإنَّها
منازلك الأولى وفيها المخيَّمُ

ولما أتم الله تعالى خلق آدم عليه السلام علَّمه ـ سبحانه ـ أسماء الأشياء كلها، جليلها وحقيرها، ثم عرض تلك الأسماء أو عرض أشخاص تلك الأسماء على الملائكة[1].

قال ابن عطية: والذي يظهر أنَّ الله تعالى علَّم آدم الأسماء وعرضهنَّ عليه مع تلك الأجناس بأشخاصها، ثم عرض تلك على الملائكة وسألهم عن تسمياتهم التي قد تعلَّمها آدم، ثم إنَّ آدم قال لهم: «هذا اسمه كذا، وهذا اسمه كذا»[2].

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «علَّم الله تعالى آدم الأسماء كلَّها، وهي هذه الأ سماء التي يتعارف بها الناس: إنسان ودابة، وأرض، وسهل، وبحر، وجبل، وحمار، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها»[3].

وحين ظهر للملائكة الكرام مزية آدم عليه السلام وفضل الله تعالى عليه، أمرهم الله تعالى بالسجود لآدم؛ تعظيماً له عليه

---

(١) روي هذا عن ابن مسعود رضي الله عنه، انظر القرطبي ١/٢٨٣.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) تفسير الطبري: ١/٤٨٢.

السلام أو طاعة لله تعالى، فسجدوا كلُّهم جميعاً إلا الجنيَّ المخالط لهم وهو إبليس، فقد تَعَالى وتعظَّم على أمر الله سبحانه، فأصبح من الخاسرين، فسجِّل الله تعالى عليه اللعنة والطرد والإبعاد من رحمته إلى يوم الدين، والإهباط إلى الأرض مذموماً مغضوباً عليه.

والذي خدعَ إبليسَ المحرومَ من نفسه هو حسدُه وبَغْيُه، فكان مما قال محتجاً لمعصيته: ﴿أنا خيرٌ منه خَلَقْتَني مِنْ نار وخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[1]، ونسي المحروم أنَّ فضل الله تعالى لا يحدُّ بغَرَض، ولا يقاس بمعدن، وأن إنعامه سبحانه تكريم، يكرم الله تعالى به من يشاء من عباده.

وما وجه فضل النار على التراب، والنار شرر يتطاير ويذهب، والأرض تراب يتماسك ولا يذهب؟!.

لقد أكرم الله تعالى آدم عليه السلام، فجعل له ولذريته الأرض ينعمون بخيراتها، ثم الجنة دائمة الظل والسَّكن لـه ولمؤمني ذريته. عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «لما خلق الله الجنة قالت الملائكة: يا ربنا اجعل لنا هذه نأكل منها ونشرب، فإنك قد خلقت الدنيا لبني آدم. فقال الله تعالى: لن أجعلَ صالحَ ذُرِّية من خَلَقت بيديَّ كمن قلت له كُنْ فكان»[2].

(١) الآية ٧٦ من سورة (ص).
(٢) رواه الدارمي.

خلق حواء رضي الله تعالى عنها:

حواء زوج آدم عليه السلام، وهو أول من سمّاها بذلك حين خلقت من ضِلْعه، من غير أن يحسَّ آدم عليه السلام بذلك ـ ولو ألِمَ بذلك لم يعطف رجل على امرأة ـ فلما انتبه قيل له: من هذه؟ قال: امرأة، قيل وما اسمها؟ قال: حواء، قيل ولم سميت امرأة؟ قال لأنها من المرء أُخذت، قيل ولم سميت حواء؟ قال لأنها خلقت من حَيٍّ[1].

قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «ولمّا أُسكن آدم الجنة مشي فيها متوحِّشاً، فلما نام خلقت حواء من ضِلْعه القصرى من شِقِّه الأيسر، ليسكن إليها ويأنس بها، فلما انتبه رآها، فقال من أنتِ؟ قالت: «امرأة خُلقت من ضِلْعك لتسكن إليّ»، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ هُوَ الذي خَلَقكم مِنْ نَفْس واحدة، وجعل منها زَوْجَها لِيَسْكُنَ إليها ﴾[2].

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المرأة خُلقت من ضِلع ـ وفي رواية: وإنّ أعوج شيء في الضِّلع أعلاه ـ لن تستقيم لك على طريقة واحدة وإن استمتعت بها استمتعتَ بها على عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها»[3].

(١) تفسير القرطبي ١/٣٠١.
(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(٣) رواه مسلم وغيره.

سكنى الجنة:

أمر الله تعالى آدم وحواء عليهما السلام أن يسكنا الجنة، وقال لهما ـ ووجَّه الخطاب إلى آدم عليه السلام لِمَا أنَّه صاحب القِوَامة ـ واصفاً إياها بما يُغري بالحرص الشديد على المقام الدائم فيها: ﴿ إنَّ لكَ أنْ لا تجوعَ فيها ولا تَعْرى• وأنّك لا تظمأ فيها ولا تَضْحَى ﴾(1).

أي لا يذل باطنك بالجوع ولا ظاهرك بالعُرْي، ولا يمس باطنك حر الظمأ، ولا ظاهرك حرّ الشمس.

فَسَكَناها ونَعِما بها حيناً من الدهر، وسكنت نفوسهما إلى ذلك النعيم الأبدي والعيش الرخيّ، وطابت بذلك حياتهما.

وكان قبلُ حذَّرهما الله تعالى عدوَّهما إبليس أن يَفتنهما فيخرجهما منها، فقال الله تعالى لآدم وحواء: ﴿ إنَّ هذا عدوٌّ لك ولزوجِك• فلا يُخْرِجَنَّكما من الجنة فتشقى.. ﴾(2).

قال الله تعالى لهما ـ لحكمة يعلمها سبحانه وقد أظهرها للخلق بعد ـ: ﴿ وقلنا يا آدمُ اسْكُنْ أنت وزوجُك الجنةَ وكُلا منها رَغَداً حَيْثُ شئتما ولا تَقْربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾(3).

لقد أباح الله تعالى لهما الجنة وما فيها: من ظل ممدود، وماء مسكوب، وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة، إلاّ شجرة منها(4)

---

(1) سورة طه: ١١٨ ـ ١١٩.

(2) سورة طه: ١١٧.

(3) سورة البقرة: ٣٥.

(4) لم يُعلمْنا الشرع باسم تلك الشجرة، فلا جدوى من توهم اسمها وادّعاء معرفته، وقد أطلق عليها أحدهم اسم شجرة المحنة وقد أصاب والله أعلم.

وما فيها من جميل اللباس وبهيِّه.. ولكن لم يدم لهما ذلك النعيم فإنَّ إبليس الذي كان قد أقسم أن يضلَّ آدم عليه السلام وذريته، وسأل الله تعالى أن يمهله إلى قيام الساعة فأمهله الله تعالى إلى يوم الوقت المعلوم.. إبليس هذا سعى سعيه حتى أفسد على آدم وحواء عيشهما في الجنة ـ لسابق علم الله تعالى وتقديره بالهبوط إلى الأرض والخلافة عنه سبحانه فيها ـ ووسوس إليهما بخداعه وكذبه ووسوسته، فدخل عليهما بثوب الناصح قائلاً: هذا النعيم العظيم ليس يدوم عليكما.. وما جماله أن لا يدوم!!.

لا طيبَ للعيش ما دامت منغَّصةً
لذّاتُه بادّكارِ الموتِ والهَرَمِ

ألاَ أدلُّكُما على شجرة إذا أكلتما منها خلدتما في الجنة، فكنتما مثل الملائكة؟.

ودلَّهما على شجرة المحنة التي نُهيا عن قربانها من الله تعالى، فلما أبى آدم عليه السلام الأكل منها وقال: إن الله تعالى قد نهانا عن قربانها، قال لهما إبليس: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلاَّ لحكمة أعلمها، هي أن من يأكل منها يخلد في الجنة، فإن أحببتما الخلود في الجنة فلا عليكما أن تأكلا، ولا بأس على ذلك عند الله تعالى.

ولم يصدِّق آدم وحواء عليهما السلام إبليس في قوله، حتى أقسم لهما بالله تعالى على صدقه في قوله.

فنسي آدم عليه السلام نهي الله تعالى له عن قربانه الشجرة، ولم يقصد إلى معصية الله تعالى بقربانها، لكنه ظنَّ إبليسَ صادقاً في تأويله، وكان من أمر آدم عليه السلام ما قال ابن عباس رضي الله

تعالى عنهما: (ما ظن آدم أنَّ أحداً يقسم بالله تعالى كذباً).

ولربما ظن آدم أن المراد عين الشجرة لا جنسها، فترك ما نُهي عن الأكل منها، وأكل ما هو من جنسها.

خدعهما إبليس بخداعه ووسوسته. وأخرجهما من جوار الله تعالى ورضوانه، وأحلَّهما موضع المخالفة والخروج على أمره.

قال الله تعالى: ﴿ ولقد عَهِدْنا إلى آدم من قَبْلُ فَنَسِيَ ولم نَجِدْ له عَزْماً ﴾[1] ـ أي قصداً إلى المعصية ـ، وقال الله تعالى على لسان إبليس لهما: ﴿ قال: ما نهاكما ربُّكما عن هذه الشجرةِ إلاَّ أن تكونا مَلَكَين، أو تكونا من الخالدين * وقاسَمَهُما: إنِّي لَكُما لمنَ الناصحِين * فدَلاَّهُما بغُرورٍ.. ﴾[2].

قال القرطبي رحمه الله تعالى: اختلفوا كيف أكل منها مع الوعيد المقترن بالقرب، وهو قوله تعالى: ﴿ فتكونا من الظالمين ﴾ فقال قوم: أكَلاَ غير التي أشير إليها، فلم يتأوَّلا النهي واقعاً على جميع جنسها، كأنَّ إبليس غرَّ آدم عليه السلام بالأخذ بالظاهر[3].

عاقبة الذنب:

١ ـ كان لباس آدم وحواء من ثياب الجنة وزينتها، فما إن وقعا في الذنب حتى انزاحت عنهما ثيابهما، وبدت عوراتهما، فطفقا يرقعان من أوراق الأشجار على موضع العورة والعفاف منهما.

---

(١) الآية ١١٥ من سورة طه.

(٢) الآيات ٢٠ ـ ٢٢ من سورة الأعراف.

(٣) القرطبي: ٣٠٥/١.

فالذنوب معايب يُبتعد عنها ويُستتر منها، والعورات كذلك معايب يجب أن تُستر ويُبتعد عما يحرَّم منها.

وكأن المكثرين من الخطايا هم الذين لا يبالون بما يبدو من عوراتهم، بل إنهم ليظهرون عوراتهم، وما مخازي مسابح الرجال والنساء، ومراقص الفجور والعهر، ونوادي العراة؛ إلا شواهد ناطقة بذلك.

ومن هنا ترى المؤمنين المبتعدين عن الذنوب بعيدين عن إظهار العورات، بل إن أحدهم ليستتر بأكثر مما يجب عليه أن يستتر في صلاته، ويحب أن يستر رأسه في صلاته، لأنهم يرون كمال الزينة في اللبس والستر.

قال الله تعالى: ﴿ يا بَنِي آدمَ خُذُوا زِينتَكم عند كلِّ مَسْجِدٍ ﴾[1] أي عند كل صلاة.

٢ ـ الخروج عن طاعة الله تعالى والوقوع في معصيته، وتلك لَعَمْرُ الله مصيبة، أن يخرج العاقل عن أمر الله الذي خلقه وبَراه، وهو وليُّ كل نعمة عنده ابتداء وبقاء.

قال الله تعالى: ﴿ وما بكم مِنْ نِعْمةٍ فَمِنَ اللهِ﴾[2]. عن أُبيٍّ بن كعب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أباكم آدم كان كالنخلة السَّحُوق ستين ذراعاً، كثير الشَّعَر، مُوَارَى العورة، فلما أصاب الخطيئة في الجنة بدت له سوأته، فخرج من

---

(١) الآية ٣١ من سورة الأعراف.

(٢) سورة النحل: ٥٣.

الجنة، فلقيته شجرة فأخذت بناصيته فناداه ربه: (أفراراً مني يا آدم؟، قال: بل حياء منك والله يا رب مما جئت به)[١].

وألقى الله تعالى إلى آدم عليه السلام تعليماً بما به يتوب إلى الله تعالى، فقال وقالت حواء: ﴿ ربَّنا ظلمنا أنفسنا، وإن لم تغفرْ لنا وترحَمْنا لَنَكُونَنَّ من الخاسرين ﴾[٢] فعفا الله عنهما وتاب عليهما وهداهما، إنه سبحانه جواد كريم وبَرٌّ رحيم.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿ فتلقَّى آدم من ربه كلماتٍ فتاب عليه ﴾ قال: قال آدم: يا رب ألَمْ تخلقني بيدك؟ قيل له: «بلى»، ونفختَ فيَّ من روحك؟ قيل: «بلى»، قال: أفرأيتَ إن تبتُ هل أنت راجعي إلى الجنة؟ قال: «نعم»[٣].

٣ ـ قال الله تعالى: ﴿ وقُلْنا اهبطوا بَعْضُكم لبعض عَدوٌّ، ولكم في الأرض مستقرٌ ومتاعٌ إلى حين... قلنا اهبطوا منها جميعاً، فإمَّا يأتينَّكم مني هُدَىً، فَمَنْ تبعَ هُدَايَ فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ﴾[٤].

قال بعض أهل التفسير: إن الله تعالى أهبط آدم وحواء عليهما السلام بالأكل من الشجرة من الجنة إلى السماء الدنيا، ثم تاب عليهما، وانتهى كل شيء، ثم أهبطهما إلى الأرض بعد ذلك ليس

(١) رواه ابن عساكر.
(٢) الآية ٢٣ من سورة الأعراف.
(٣) رُوي هذا عن مجاهد وسعيد بن جبير وأبي العالية والحسن وقتادة ومحمد بن كعب القرظي وآخرين.
(٤) الأيتان ٣٦ و ٣٨ من سورة البقرة.

عقوبة ـ فلا عقوبة بعد التوبة وقبولها ـ وإنما لعمارتها بالنسل والعمل، وطاعة الله تعالى، والدعوة إليه إلى حين. قال القرطبي: الصحيح في إهباطه وسكناه في الأرض ما قد ظهر من الحكمة الأزلية في ذلك، وهي نشر نسله فيها ليكلّفهم ويمتحنهم ويرتب على ذلك ثوابهم وعقابهم الأخروي، إذ الجنة والنار ليستا بدار تكليف، فكانت الأكلة سبب إهباطه من الجنة، ولله أن يفعل ما يشاء[1].

آدم وحواء عليهما السلام في الأرض:

لقد علّم الله تعالى آدم أسماء الأشياء كلّها بلغته العربية، عُرضت عليه مسمّياتها بها في الجنة فعرفها، ولما أُهبط إلى الأرض اتخذ صنعة الزراعة وحواء غزل الثياب، ولقد عرَّف الله تعالى آدم عليه السلام عدوَّه من الحيوان، وخادمه الأليف من الحيوان، والنافر منه، فعاشا في عمل ورزق حسن.

ورزق الله تعالى آدم وحواء الأولاد، فكانت حواء تحمل في العشرين بطناً التي حملتها ذكراً وأنثى، وأمر الله تعالى آدم أن يعتبر اختلاف البطن في أولاده كاختلاف النَّسب، فكان الذكر من حملٍ يتزوج الأنثى من حملٍ آخر. وسرعان ما تكاثر الولد، وتبعهم الأحفاد، فما جاء الموتُ آدمَ عليه السلام بعد مائة عام إلّا وقد أصبح من ولده أربعون ذكراً وأنثى، وأصبح لهم أولاد وذرية. وهكذا كثرت الناس، وعُمِّرت الأرض بالنسل والعمل.

قال الله تعالى: ﴿ يا أيُّها الناسُ اتَّقوا ربَّكم الذي خلقكم مِنْ نفسٍ واحدةٍ، وخلق منها زوجَها، وبَثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً،

---

(١) القرطبي: ١/٣٢١.

واتَّقوا الله الذي تَسَاءلون بـه والأرحامَ، إنَّ الله كـان عليكم رقيباً ﴾[1].

وأنزل الله تعالى على آدم عليه السلام الهدى والأوامر والنواهي والأحكام، فكان يعبد الله تعالى ويطيعه، ويعلِّم أولاده عبادة الله وطاعته، ولأن آدم عليه السلام لم يدعُ ولده إلى الإيمان بالله تعالى إذ كان أولاده مؤمنين؛ فقد قال بعض علماء التوحيد: إن آدم عليه السلام لم يكن نبياً. والحق أنه كان نبياً لحديث أبي ذر الذي رواه أحمد وغيره.

وما زال الناس بعد آدم عليه السلام يتوسَّعون في إعمار الأرض، ويتعلمون من التجارب والتقادير ـ المصادفة في تعبير بعضهم ـ ومن أمثالهم حتى وصلوا إلى ما نرى اليوم.

وما زال الناس بعد آدم عليه السلام يأتيهم النبي تلو النبي، والدعوة بعد الدعوة؛ حتى جاء النبي الخاتم محمد ﷺ، وجاءت الدعوة الخاتمة الكاملة التامة في شريعة الإسلام.

ولا تلتفتنَّ أيها الأخ القارىء إلى أولئك الذين يزعمون أن الإنسان بدأ حياته على الأرض مهملاً جاهلاً، لا يعرف شيئاً، لا يعرف عدواً من صديق، من الحيوان، ولا يعلم كيف يمسك رمقه وكيف يعبد ربه، وأن المصادفة ـ وليس تقدير الله تعالى وتعليمه ـ هي التي علَّمته كثيراً من الأمور، كالزراعة والصناعة البسيطة من الحجارة، وأنه لما خاف بعض أحوال الحياة في الأرض عبد بعض ما في الأرض.

(١) الآية ١ من سورة النساء.

ويشهد الله: إن الوالد البار بولده لا يدع ولده يتخبط هنا وهناك، لا يُعنى به ولا يتعهده بما يفيده، لا يعلِّمه ما يجهل، ولا يبصِّره بما يضرُّه وينفعه، ولا يقيه مخاطر ما يخاف.

فهل يكون من الرب الخالق الرحيم أن يدع آدم وحواء وذريتهما بعدُ هكذا دون عناية؟! اللَّهم لا. قال الله تعالى: ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعاً، فإما يأتيَنَّكم مني هُدَىً فمن تبع هُدَايَ فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون﴾[1].

أما بعد:

فأرجو أن لا أكون أطلت عليك أيها الأخ القارىء في هذا التمهيد الذي تحدثتُ فيه عن نشأة الكون..

ونشأة الإنسان الأول، وهبوطه إلى الأرض، والذي رأيت أن أجعله مدخلاً لما أقصده، وهو الكلام على حال الرجل والمرأة ـ خاصة في الإسلام ـ.

والله الموفق الهادي وهو حسبنا ونعم الوكيل.

---

(١) الآية ٣٨ من سورة البقرة.

الفصل الأول

المرأة في تاريخ الآخرين (*)

شقاء الإنسان وضياعه حَتْم لازم كلما انصرف الإنسان عن هدى الله تعالى، وتجنَّب فطرته سبحانه فيه، ومال عن النظام الذي شرعه الله تعالى له.

وهذا الأمر ظاهر في حياة المرأة في تاريخ الذين انصرفوا عن هُدَى الله تعالى، وتنكَّبوا شريعة الله تعالى التي أنزلها لسعادة الإنسان.

يحدثنا التاريخ عن اليونان في مقتبل دولتهم كيف كانوا يمتهنون المرأة ويعدُّونها مِنْ سَقَط المتاع، حتى لَتُباع البنت والزوجة وتُشترى في الأسواق، وكيف كانوا يسلبونها الحرية والمكانة في كل ما يرجع إلى حقوقها المدنية والمالية.

لقد كانوا يحرمونها من الميراث، وإذا تزوجت ـ وليس لها الخيار في الزواج واختيار الزوج ـ فإنَّ زوجها ـ بعد أبيها ـ يصبح صاحب

(*) أعني بالآخرين غير المسلمين بصرف النظر عن جنسياتهم.

الإشراف المطلق عليها حتى في أموالها، فلا تستطيع أن تبرم تصرُّفاً ما دون موافقته.

ويحدثنا التاريخ عنهم في إدبار دولتهم كيف فشا فيهم الزنى والفجور، وعُدَّ من الحرية أن تكون المرأة عاهراً وأن يكون لها عُشّاق، ونصبوا التماثيل للغواني والفاجرات، بل زعموا أن «أفروديت» ـ إحدى آلهتهم وكانت تبلغ ألفاً ـ خانت زوجها مع ثلاثة من آلهتهم.. ومع رجل من البشر، وجاءت من الأخير بولد سموه «كيوبيد» ويعنون به ابن الحب ولا يقولون ثمرة الزنى!.

وهكذا بقي الأمر حتى ذهب الله تعالى بمدنية اليونان وثقافتهم وحريتهم على يد فيليب وولده الشاب إسكندر المكدوني.

ويحدِّثنا التاريخ عن الرومان في مقتبل دولتهم وإدبارها بمثل ما حدَّثنا عن اليونان.

وإن كان يحدث في مقتبل تَيْنك الدولتين: أنّ اكتفاء المرأة بزوجها وعفّتها به وحفظها نفسها؛ كان معدوداً من الصفات الكريمة، وكان أولئك النِّسْوة العفيفات محترمات مكرمات في المجتمع.

ويحدِّثنا التاريخ أن الهندي الزوج إذا مات وأُلقي في بئر، لم يبق لزوجته سبب للعيش بعده، فتجعل معه.. حتى يأتيها الموت!.

وما رُفع هذا الحَيْفُ عن الهندية إلّا بحكم الإسلام فيهم، وقد كاد يحكم عموم الهند، خاصة أيام الملك الصالح أورنك زيب رحمه الله تعالى، حتى احتل الإنكليز الهند، وفعلوا ما فعلوا بأهلها وبالمسلمين منهم خاصة.

ويحدثنا التاريخ من خلال القرآن والسنة: كيف كان بعض

العرب يغتمُّ ويحزن، وتضيق به الحياة على سَعتها إذا رزقه الله تعالى أنثى، فما يدري ما يصنع بها، هل يمسك هذه البنت على ذل وهوان، أم يدسيها في التراب؟! ألا ساء ما يحكمون.. هذا إلى إرث زوجة الأب، وحرمان المرأة من الميراث.. وكيف كان أحدهم إذا أراد نجابة الولد حمل امرأته - بعد طهرها من الحيض - إلى الرجل النجيب، كالشاعر والفارس، وتركها عنده حتى يستبين حملها منه، ثم عاد بها إلى بيته وقد حملت بنجيب!..

ويحدثنا التاريخ القريب والمعاصر عند الآخرين: كيف أُغريت المرأة بالخروج من البيت، وأجبرت على العمل مع الرجل، ومثل الرجل أحياناً، ثم لا تُساوَى مع الرجل في شروط العمل وتعويضه، ولا في الحقوق العامة وما إلى ذلك.

وسيحدثنا تاريخ المستقبل بأكثر مما يحدث اليوم عن أسباب انهيار المدنية عند الآخرين، في أوربا وأمريكا وربما آسيا وأفريقيا، ويقرر أن أعظم تلك الأسباب: فساد العقيدة، وفساد الأخلاق.

وإنَّما الأممُ الأخلاقُ ما بقيتْ
فإن هُمُو ذهبتْ أخلاقُهم ذهبوا(١)

ماذا صنع الإسلام للمرأة

لقد عاد الإسلام بالمرأة إلى الفِطْرة التي فطرها الله تعالى عليها.

لقد عاد الإسلام بالمرأة إلى الهُدى الذي أنزله الله تعالى لخير البشرية على الإنسان الأول آدم عليه السلام.

(١) انظر المرأة بين الفقه والقانون للدكتور الشيخ مصطفى السباعي رحمه الله تعالى، والحجاب لأبي الأعلى المودودي.

وذلك لأن الإسلام فكرة ونظام، الإسلام حَقٌّ وهدى، وما كانت الفكرة الصحيحة لترتبط بزمن وهي فكرة صحيحة، لأنها فوق الزمن، وما كان الحق ليرتبط بزمن وهو حق، لأنه فوق الزمن.

أرأيت الصدق والأمانة والحياء وحب الخير للناس، والتعاون على البرِّ وطاعة الحاكم في المعروف وأمثالها، إنها أمور قديمة وأخلاق سابقة، لكنها تحكم كل زمن وتعلو على كل زمن، لأن الزمن وعاء وعرض، والحق ـ والإسلام هو الحق ـ هو الأصل والجوهر.

إنَّ الجديدَين[1] في طول اختلافهما
لا يفسدان ولكن يفسدُ الناسُ

لقد قرر الإسلام المساواة في أمور أصلية أصيلة بين الرجل والمرأة.

وإليك بيان تقرير الإسلام هذه المساواة في نقاط.

١ ـ المساواة في الإنسانية:

على حين كان الرومان يقرِّرون في القرن السادس[2] أن المرأة روح شريرة، جاء الإسلام ليقرِّر المساواة الكاملة في الإنسانية بين الرجل والمرأة.

قال الله تعالى: ﴿ يا أيُّها النَّاسُ اتَّقوا ربَّكم الذي خلقكم مِنْ نفسٍ واحدةٍ، وخلقَ منها زوجَها، وبثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً،

---

(١) الجديدان: الليل والنهار.
(٢) قرن ولادة رسول الله ﷺ هادي الإنسانية ومنقذ البشرية.

واتقوا اللهَ الذي تساءلونَ به والأرحَامَ إنَّ الله كان عليكم رقيباً ﴾[1].

وقال: ﴿ وهو الذي خلق مِنَ الماءِ بَشَراً، فجعَلَه نَسَباً وصِهْراً، وكان ربُّك قديراً ﴾[2].

وقال ﷺ: «إنَّما النساء شقائق الرجال»[3].

فالرجال كلُّهم أولاد نساء ورجال، والنساء كلُّهن بنات رجال ونساء[4].

وكل منهما خلق على فِطْرة الخير وهداه الله تعالى النَّجدين.

قال ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه، أو ينصِّرانه، أو يمجِّسانه»[5].

٢ ـ المساواة في الخِلْقة:

على حين كان الإسبان يقولون: «احذر المرأة الفاسدة ولا تركن إلى المرأة الفاضلة» أو ينسب إلى التوراة المبدَّلة: «المرأة أمرُّ من الموت، وإن الصالح أمام الله ينجو منها، رجلاً واحداً بين ألف وجدتُ، أما امرأةً فبين كل أولئك لم أجد» ـ جاء الإسلام ليقـرِّر أن نفس الرجل والمرأة سواء، يسمو بها إيمان وخلق، ويتَّضِع بها كفر وانحراف. قال الله تعالى: ﴿ ونفسٍ وما سوّاها * فألهمها فجورَها

(١) الآية ١ من سورة النساء.

(٢) الآية ٥٤ من سورة الفرقان.

(٣) رواه أبو داود والترمذي وأحمد وغيرهم..

(٤) سوى آدم الذي خلق من تراب وسوى حواء التي خلقت من ضِلعِ آدم، وسوى عيسى الذي خلق من أم دون أب.

(٥) رواه البخاري.

وتَقْواهَا * قد أفلحَ من زَكَّاها * وقد خاب من دساها ﴾[1].

وبعض الفروق الجسمية بين الرجل والمرأة لا تؤثر على النفس الواحدة، وهي الأصل كما قال الشاعر:

أقبِلْ على النفس واستكمِلْ فضائلها
فأنتَ بالرُّوحِ لا بالجسمِ إنسانُ

٣ ـ المساواة في الكرامة الإنسانية:

على حين كان قانون «حورابي» يقرِّر أن: من قتل بنتاً لرجل كان عليه أن يسلِّم بنته إليه ليقتلها أو يتملَّكها ـ جاء الإسلام ليقرِّر المساواة في الكرامة الإنسانية بين الرجل والمرأة، فحرَّم وأد البنت خوف العار، كما حرَّم قتل الصبي خوف الفقر، قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: «سئل رسول الله ﷺ أيُّ الذنب أعظم؟»، قال: «أن تجعل لله نِدّاً وقد خلقك». قيل ثم أيُّ؟ قال: «أن تقتل ولدك خشيةَ أن يأكلَ معك» قيل ثم أيٌّ؟ قال: «أن تزاني حَليلةَ جارك»[2].

وقال الله تعالى: ﴿ وإذا الموؤدةُ سُئلت * بأيِّ ذنبٍ قُتلتْ ﴾[3].

وقال الله تعالى: ﴿ ولَكُمْ في القِصاص حياةٌ يا أُولي الألبابِ لعلَّكم تتقون ﴾[4].

---

(١) الآيات ٧ ـ ١٠ من سورة الشمس.
(٢) متفق عليه.
(٣) الآيتان ٨ و ٩ من سورة التكوير.
(٤) الآية ١٧٩ من سورة البقرة.

وقد قرر الفقهاء أن الرجل يُقتل بقتل المرأة عمداً دون شبهة، كما يُقتل بقتل الرجل على مثل ذلك.

وقال تعالى في شأن الزوجات: ﴿ ولَهُنَّ مثلُ الذي عليهنَّ بالمعروف، ولِلرجال عليهنَّ دَرَجةٌ ﴾[1]. وقال: ﴿ فإنْ أطَعْنَكُمْ فلا تبغُوا عليهنَّ سبيلاً ﴾[2].

وذكر القرآن الكريم أنَّ العدوان على عِرْض المرأة بتهمتها بالزنى دون دليل شرعي يعرض المُتَّهم لها ـ كالرجل سواء ـ لعقوبة لا تستطيع أن تقررها قوانين الأرض، ولو كان واضعها النساء. قال الله تعالى: ﴿ والذينَ يَرْمون المُحْصَنات ثُمَّ لم يأتوا بأربعةِ شُهداءَ، فاجلدوهم ثمانينَ جلدةً، ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً، وأولئك هُمُ الفاسقون ﴾[3].

إنها عقوبة تنتقض إيمان القاذف، وتخدش كرامته، وتذل ظهره.. ومن تاب تاب الله عليه، لكن لا يسقط عنه جلد ظهره..!

٤ ـ المساواة في الإيمان بالله تعالى والتكاليف الشرعية والجزاء على ذلك:

على حين اجتمع مجمع ماكون في القرن السادس للبحث في الموضوع التالي:

---

(١) الآية ٢٢٨ من سورة البقرة.
(٢) الآية ٣٤ من سورة النساء.
(٣) الآية ٤ من سورة النور.

هل المرأة مجرد جسم لا روح فيه، أم هي جسم وروح؟ وقرر أخيراً أن المرأة خُلْوٌ من الروح الناجية «من عذاب جهنم» ما عدا أمَّ المسيح ـ جاء الإسلام ليقرر المساواة بين الرجل والمرأة في الإيمان، والعمل، والجزاء على ذلك.

قال الله تعالى: ﴿ إنَّ المسلمين والمسلمات، والمؤمنينَ والمؤمنات والقانتينَ والقانتاتِ، والصادقينَ والصادقاتِ، والصابرين والصابراتِ، والخاشعينَ والخاشعاتِ، والمتصدِّقينَ والمتصدِّقاتِ، والصائمينَ والصائماتِ، والحافظينَ فروجهم والحافظاتِ، والذاكرينَ الله كثيراً والذاكراتِ، أعدَّ الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً ﴾[١].

وقال سبحانه: ﴿ مَنْ عمل صالحاً مِنْ ذَكَرٍ وأنثى وهو مؤمنٌ، فَلَنُحيينَّهُ حياةً طيبةً، ولنجزينَّهم أجرَهم بأحسنِ ما كانوا يعملون ﴾[٢].

وقال: ﴿ ومَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمنٌ، فأولئكَ يدخلونَ الجنةَ يُرزقونَ فيها بغيرِ حسابٍ ﴾[٣].

وقال: ﴿ فاستجاب لهم ربُّهم أنِّي لا أُضيعُ عملَ عاملٍ منكم مِنْ ذكرٍ أو أُنثى، بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْض.. ﴾[٤].

---

(١) الآية ٣٥ من سورة الأحزاب.
(٢) الآية ٩٧ من سورة النحل.
(٣) الآية ٤٠ من سورة غافر.
(٤) الآية ١٩٥ من سورة آل عمران.

فالمرأة مخلوق مستقل من حيث المسؤولية عن العمل، كما أنَّ الرجل كذلك، وكلٌّ مكلف استقلالاً بتكاليف الشريعة ـ إلّا ما استثني فيه أحدهما ـ وله أجره على قيامه بما أمر الله تعالى دون مضاعفة الأجر لأحدهما دون الآخر، وعليه وِزْره على إقدامه على معصية الله تعالى دون تسجيل الذنب لأحدهما دون الآخر.

﴿ فَمَنْ يعملْ مثقالَ ذَرَّةٍ خيراً يَرَه * ومَنْ يعملْ مثقالَ ذَرَّةٍ شرًّا يَرَه ﴾[1].

٥ ـ المساواة في التربية والتهذيب:

على حين كانت المرأة من سَقَط المتاع عند العرب وليس لها وزن ولا قَدْر، جاء الإسلام يحضُّ على تربية البنات وتهذيبهن، كما يحض على تربية البنين وتهذيبهم.

قال الله تعالى: ﴿ يا أَيُّها الذينَ آمنوا قُوا أنفسَكُم وأهليكُم ناراً، وَقُودُها الناسُ والحجارةُ، عليها ملائكةٌ غِلاظٌ شِدادٌ، لا يعصونَ اللهَ ما أمرهُمْ ويفعلونَ ما يؤمرون ﴾[2].

وقال ﷺ: «ما نَحَل والد ولده من نِحْلة أفضل من أدبٍ حسن»[3].

وقال ﷺ: «ما من مسلم له بنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه أو صحبهما؛ إلّا أدخلتاه الجنة»[4].

---

(١) الآيتان ٨ ـ ٩ من سورة الزلزال.
(٢) الآية ٦ من سورة التحريم.
(٣) رواه الترمذي وغيره. ونحل: أعطى ووهب.
(٤) رواه ابن ماجه.

وقال: «من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات، أو بنتانِ أو أختان، فأحسن صحبتهن، واتقى الله فيهنَّ، فله الجنة»[1].

وفي رواية أبي داود «... فأدبهنَّ وأحسن إليهنَّ وزوّجهنَّ فله الجنة».

٦ ـ المساواة في العلم الواجب العيني والكفائي منه:

على حين كان الألمان يقولون: إن خزانة الملابس هي مكتبة المرأة، جاء الإسلام يحض على تعليم المرأة وتعليم الرجل سواء بسواء.

فالمرأة مكلَّفة بالإيمان بالله تعالى وما جاء من عنده، ومكلَّفة بطاعة الله تعالى في فعل أمره واجتناب نهيه، ولا يكون ذلك منها إلّا بالعلم.

والآية التي تقول: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾[2] آية يقرأها الرجل والمرأة، ويدعو بها الرجل والمرأة على حد سواء.

وحديث رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[3]. يشمل المرأة والرجل على حدٍّ سواء.

قال رسول الله ﷺ: «... وأيما رجل كانت عنده وليدة فعلَّمها، وأحسن تعليمها، وأدَّبها فأحسن تأديبها، ثم أعتقها وتزوَّجها، فله أجران»[4].

---

(١) رواه الترمذي.
(٢) الآية ١١٤ من سورة طه.
(٣) رواه ابن ماجه وغيره بطرق قال المِزّي تبلغ رتبة الحسن.
(٤) رواه الشيخان وأوّله: «ثلاثة يُؤتَوْن أجرهم مرتين» الحديث.

ولقد كانت المرأة تحضر الصلوات مع رسول الله ﷺ متستِّرة غير متبرِّجة بزينة، وتحضر دروسَه وعِظاتِه، تسمع خطبه في الجمعة والعيدين، وكأنَّ ذلك كان لا يكفيها لما لها من حاجة إلى دروس خاصة في قضايا تتعلق بها خاصة.

فلقد جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك ـ انفردوا به ـ فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتي إليك فيه، تعلِّمنا ممَّا علمك الله، فقال: «اجتمعن يوم كذا وكذا» فاجتمعن، فجاء رسول الله ﷺ فعلَّمهن ممَّا علمه الله تعالى[1].

ولئن كانت زوجات رسول الله ﷺ قد تلقَّين عنه الكثير من فهم القرآن وأحكامه، وكثيراً من حديثه: قوليِّه، وفعليِّه؛ فلقد كلف رسول الله ﷺ أمَّ الشِّفاء أن تعلِّم بعض نسائه ﷺ الكتابة.

قال عروة بن الزبير في خالته عائشة رضي الله تعالى عنهما: (ما رأيت أحداً أعلم بفقه، ولا بطبٍّ، ولا بشعر، من عائشة رضي الله تعالى عنها).

لقد أقبلت المرأة المسلمة على العلم منذ أكرمها الله تعالى بالإسلام.. كثيرة تلك الأحاديث التي روتها أمهات المؤمنين عنه ﷺ، وكثيرة تلك الأقوال المنسوبة إليهن في التفسير وفقه الحديث، وكثيرات هُنَّ النساء اللاتي حفظنَ كتاب الله تعالى أو حفظن كثيره، وحفظنَ الكثير من حديث رسول الله ﷺ وكن يحدثن الرجال به من وراء حجاب.

---

(١) رواه مسلم.

ولقد وُجد على مرّ القرون نساء تجاوزن علوم فرض العَيْن إلى فروض الكِفاية، فكانت منهن المحدِّثات العظيمات والراويات الثقات، فمنهن مثلاً كريمة المروزية، وسيدة الوزراء، وكانت من أهم راويات الأحاديث التي جمعها البخاري، وذكر ابن عساكر أن عدد شيوخه من النساء كان بضعاً وثمانين امرأة.

قال الإمام الذهبي: (وما علمت من النساء من اتهمت، ولا من تركوها).

ورجعة إلى كتاب (الإصابة في تمييز الصحابة) لابن حجر، و (المرأة العربية) لعبد الله العفيفي، بل (طبقات الأطباء) لابن أبي أُصَيْبِعة، فضلاً عن طبقات الرواة، وكتب التاريخ والأدب؛ ترينا كيف استجابت المرأة المسلمة لنداء الدعوة إلى المعرفة والعلم.

٧ ـ المساواة في الأخلاق من طهارة القلب والقصد واللسان والجوارح:

على حين كان اليونان يقولون عند كل جريمة: فتش عن المرأة، ويقولون: إن المرأة روح خبيثة ـ جاء الإسلام يحض المرأة على كمال الأخلاق كما يحض الرجل سواءً بسواء، لأن المجتمع عنصراه: الرجل والمرأة.

قال الله تعالى: ﴿ فَمَنْ كانَ يرجُو لقاءَ ربه فَلْيَعْمَلْ عملاً صالحاً، ولا يُشْرِكْ بعبادةِ ربِّه أحداً ﴾[١]، والآية تشمل كل من يرجو ثواب الله تعالى في الآخرة رجلاً كان أو امرأة.

---

(١) الآية ١١٠ من سورة الكهف.

قالت عائشة رضي الله عنها: إنَّ رسول الله ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلًا، فتواصيتُ أنا وحَفْصَة أنْ أيّتنا دخل عليها النبي ﷺ، فَلْتَقُلْ: إني أجد منك ريحَ مَغَافير[1] أكلتَ مغافير؟ فدخل على إحداهما فقالت له ذلك، فقال: «لا، بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود..»[2] وفي هذا نزلت آيات سورة التحريم ﴿ يا أيُّها النبيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أحلَّ اللهُ لَك.. ﴾[3] وفيها خطاب عائشة وحفصة: ﴿ إنْ تتوبا إلى اللهِ فقد صَغَت قلوبُكما، وإنْ تَظَاهرا عليه فإنَّ اللهَ هُوَ مولاهُ وجبريـلُ وصالحُ المؤمنين، والملائكةُ بعد ذلك ظهيرٌ ﴾[4].

وما دفعهما إلى ذلك إلاّ الغَيْرة من زينب ـ وكانت جميلة ـ رضي الله تعالى عنهن، وحين غارت عائشة رضي الله تعالى عنها وقالت في صَفيَّة بنت حُييٍّ: (حَسْبُكَ من صفية أنها كذا) ـ تعني قصيرة ـ قال لها ﷺ: «لقد قلت كلمة لو مُزجت بماء البحر لأنتنته»[5].

وقال الله تعالى: ﴿ يـا أيُّها النبيُّ إذا جاءك المؤمناتُ يبايعنَك على أنْ لا يُشركنَ بالله شيئاً، ولا يَسْرِقْنَ، ولا يَزْنينَ، ولاَ يَقتلنَ

(١) المغافير: جمع مغفور، شيء له رائحة كريهة ينضحه نبات له ورق عريض يسمى العُرْفط، وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يكره الرائحة الخبيثة.

(٢) رواه البخاري.

(٣) سورة التحريم: ١.

(٤) سورة التحريم: ٤.

(٥) أبو داود والترمذي.

أولادهن، ولا يأتين بِبُهتانٍ يفترينَه بَيْنَ أيديهنَّ وأرجلهنَّ، ولا يعصينَك في معروف، فبايِعهُنَّ، واستغفرْ لهنَّ الله ﴾[1].

فالمرأة كالرجل مسؤولة عن قلبها من حيث الإيمان أو النفاق، أو الإخلاص والرياء، وعن لسانها من حيث الصدق أو الكذب وحفظ اللسان أو التهجم على أعراض الناس به، ومن حيث الطاعة والمعصية، والوقوف عند حدود الله أو مجاوزتها إلى ما نهى الله تعالى عنه ـ معاذ الله ـ.

٨ ـ المساواة في العقوبات المحدودة منها وغير المحدودة:

لما كانت المرأة مثل الرجل من حيث التكاليف الشرعية؛ فقد أصبحت في الإسلام مثل الرجل في تحمُّل مسؤولية نفسها في العقيدة والقول والفعل.

يقوم الإسلام على كلِّياتٍ ستٍّ هي عموم ما جاء فيه، وما سواها روادف لها ومؤيدات أو حدود لحمايتها وقيود.

وقد فرض الله تعالى عقوبات محدودة ـ وتسمى حدوداً ـ على من يعتدي على كلِّية من تلك الكلِّيات، رجلاً كان المعتدي أو امرأة.

وجعل عقوبة العدوان على مؤيدات تلك الكلِّيات أو حدودها إلى رأي الدولة وحكمها، كالغش في المعاملات وشهادة الزور، وهي عقوبات تتبدل بتبدل المصلحة في رأي الدولة، وتسمى (تعازير).

---

(١) الآية ١٢ من سورة الممتحنة.

وتلك الكليات الست هي:

أ - حفظ الدين: وقد حدَّد الإسلام عقوبة القتل على المرتد عن الإسلام، بعد استتابته، ودفع شبهاته، وإمهاله إلى ثلاثة أيام.

قال رسول الله ﷺ: «لا يحل دم امرىء مسلم إلاّ بإحدى ثلاث: زنىً بعد إحصان، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»[1].

ب - حفظ المال: وقد حدّد الإسلام عقوبة قطع اليد اليمنى من الرُّسْغ لمن أخذ مال غيره من حِرْزٍ خُفْيَة دون شبهة أو حاجة ظاهرة.

قال الله تعالى: ﴿ والسارقُ والسارقةُ فاقطعوا أيديَهما جزاءً بما كَسَبا، نَكالاً من الله، والله عزيزٌ حكيم ﴾[2].

ج - حفظ العقل: وقد حدَّد الإسلام عقوبة الجَلْد ثمانين جَلْدة على من شرب مسكراً قصداً وظهر أمره للناس.

كان رسول الله ﷺ قد جلد في شرب الخمر أربعين، وثمانين - على قول - فلما كان عمر رضي الله عنه جمع الصحابة فشاورهم في توحيد حدِّ الشُّرب، فتكلم عليّ أول من تكلم وآخر من تكلم، فقال: يا أمير المؤمنين إنَّ الرجل إذا شرب سكر، وإذا سكر هَذَى، وإذا هَذَى افترى، وحدّ الفرية ثمانون.

---

(١) رواه البخاري. وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: لا تقتل المرتدة، بل تحبس حتى تتوب أو تموت، لأن رسول الله ﷺ نهى عن قتل النساء. والعام عنده قطعي كالخاص.

(٢) الآية ٣٨ من سورة المائدة.

فأقره عمر ومن حضر رضي الله تعالى عنهم وقام على ذلك إجماع المسلمين.

د ـ حفظ العرض: وقد حدَّد الإسلام عقوبة الجلد لمن زنى باختياره دون شبهة وكان عَزَباً، وعقوبة الرجم بالحجارة حتى الموت لمن زنى باختياره دون شبهة وكان محصناً.

قال الله تعالى: ﴿ الزانيةُ والزاني فاجلدوا كُلَّ واحدٍ منهما مائة جَلْدةٍ، ولا تأخُذْكم بهما رأفة في دين الله إنْ كنتم تؤمنون باللهِ واليوم الآخر، ولْيَشْهَدْ عذابَهما طائفةٌ مِنَ المؤمنينَ ﴾[1].

عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهنيّ أنهما قالا في الأعرابيَّين اللَّذين أتيا رسول الله ﷺ، فقال أحدهما: يا رسول الله، إن ابني هذا كان عسيفاً ـ يعني أجيراً ـ على هذا، فزنى بامرأته، فافتديت ابني منه بمائة شاة ووليدة، فسألت أهل العلم فأخبروني أنَّ على ابني جلد مائة وتغريب عام، وأن على امرأة هذا الرجم. فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لأقضينَّ بينكما بكتاب الله تعالى: الوليدة والغنم رَدٌّ عليك، وعلى ابنك مائة جلدة وتغريب عام، واغدُ يا أُنيس ـ لرجل من أسلم ـ إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها»[2].

ومن أجل حفظ العرض حدَّد الإسلام عقوبة الجلد ثمانين

(١) الآية ٢ من سورة النور.
(٢) متفق عليه. قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: حدُّ الزاني العَزَب: جلد مائة والتغريب سياسة من الحاكم إن شاء عمل به وإن شاء ترك، وقد ترك عمر التغريب لما غرَّب زانياً فلجأ إلى هرقل فتنصر، فقال: لا أغرِّب بعده مسلماً. رواه عبد الرازق.

جلدة لمن اتَّهم المؤمنة العفيفة والرجل العفيف بالزنى، رجلاً كان المتهم أو امرأة.

قال الله تعالى: ﴿ والذينَ يَرْمونَ المحصناتِ ثُمَّ لم يأتوا بأربعةِ شهدَاءَ، فاجلدوهم ثمانينَ جَلْدةً، ولا تقبلوا لهم شهادةً أبداً، وأولئك هم الفاسقون ﴾[1].

هـ ـ **حفظ النفس**: وقد حدَّد الإسلام عقوبة القتل لمن قتل نفساً بشريَّة باختياره دون حقٍّ أو شبهة.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ في القِصَاصِ حياةٌ يا أولي الألباب لعلَّكم تتَّقون ﴾[2].

و ـ **حفظ الأمن**: وقد حدَّد الإسلام عقوبة القتل، أو قطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى، أو النفي من البلاد ـ وإن شاء السجن ـ لمن يحارب الله ورسوله، ويسعى في الأرض فساداً، ويروِّع المؤمنين بالقتل أو أخذ المال، أو الإعداد لذلك، قال الله تعالى: ﴿ إنَّما جزاءُ الذين يحاربون اللهَ ورسولَه، وَيَسْعَونَ في الأرض فساداً، أنْ يُقَتَّلوا، أو يُصلَّبوا، أو تُقَطَّعَ أيديهم وأرجُلُهم من خِلَافٍ، أو يُنفَوْا من الأرض، ذَلِكَ لهم خِزْيٌ في الدُّنيا، ولهم في الآخرة عذابٌ عظيم ﴾[3].

---

(١) الآية ٤ من سورة النور.

(٢) الآية ١٧٩ من سورة البقرة.

(٣) الآية ٣٣ من سورة المائدة، انظر روح المعاني للآلوسي لمعرفة أقوال العلماء في توزيع هذه العقوبات على أنواع الجرائم الثلاث، وهي: القتل أو السرقة، أو الإعداد لذلك.

٩ ـ المساواة في العمل بالإسلام والعيش به (بما يتفق مع خِلْقتها ووظيفتها في الحياة):

ولمّا كانت المرأة مكلَّفة بالإيمان والعمل بالإسلام، فهي مثل الرجل مكلَّفة بحفظ الإسلام والعمل به والدعوة إليه.

أرأيتَ كيف كان أول إنسان أسلم امرأة، هي خديجة رضي الله تعالى عنها، أرأيت كيف عملت على حفظ الإسلام حين قوَّت من قلب رسول الله ﷺ لمّا حدَّثها بالوحي، وقال لها: «لقد خشيت على نفسي» فقالت: (كَلاَّ، والله لا يخزيك الله أبداً؛ إنك لتصلُ الرَّحِم، وتقري الضيف، وتحمل الكَلّ، وتُعين على نوائب الدهر). ثم أخذته إلى ابن عمها وَرَقَة بن نوفل، فقال له ورقة بعد كلام: هذا هو الناموس الذي كان يأتي موسى عليه السلام من قبل.

أما رأيت كيف كان أوّلُ من قتل في الإسلام ياسر وزوجُه سُميّة رضي الله تعالى عنهما، أما رأيت زِنِّيرة التي كان يضربها الفاجر أمية بن خَلَف، حتى إذا فقدت بصرها قال لها المشركون: إنَّ الأصنام هي التي ذهبت ببصرك، قالت: لا والله إن الذي ذهب ببصري قادر على أن يعيده إليّ، فأعاد الله تعالى إليها بصرها.

وهناك أمثلة كثيرة منشورة في كتب السيرة، وفي الإصابة والتراجم، تدل جميعها على أن المرأة المسلمة جاهدت في سبيل حفظ الإسلام في قلبها، والعيش به، وتبليغه إلى الناس.

ذلك لأن الإسلام دين الله تعالى، والرجل والمرأة من عباد الله تعالى.

١٠ ـ المساواة في حق الميراث:

على حين كانت طوائف من اليهود تعتبر البنت في مرتبة الخادم، وكان لأبيها الحق في بيعها وهي قاصرة، وما كانت ترث إلّا إذا كانت بالغة، أو إذا لم يكن لأبيها ذرية من البنين، وعلى حين كان العرب يحرمون المرأة من الميراث، بل يرثون زوجات آبائهم كما يرث أحدهم متاعهم ـ جاء الإسلام ليقرر حق المرأة في الميراث ـ عند وجود أسبابه ـ كالرجل[١].

قال الله تعالى: ﴿ لِلرجالِ نصيبٌ ممَّا ترك الوالدان والأقربونَ ولِلنِّسَاءِ نصيبٌ ممَّا تركَ الوالدانِ والأقربون، ممَّا قلّ منه أو كَثُرَ، نصيباً مفروضاً ﴾[٢].

١١ ـ المساواة في الأقارير والعقود والتصرفات:

على حين كانت المرأة في ولاية الأب الكاملة، ثم الزوج ولا يحق لها التصرف بمالها، وكانت المرأة في فرنسا إلى وقت قريب موضوعة تحت وصاية زوجها فلا تنفرد بالتصرف في أموالها الخاصة ـ جاء الإسلام ليقرِّر المساواة بين الرجل والمرأة في الأقارير على التصرفات القولية والمالية من: التبرع، والصدقة، والدَّين، والوقف، والبيع والشراء، والوكالة، والكفالة، والقتل، والسرقة، وأمثال ذلك لا فرق في شيء من هذه التصرفات بين

(١) سيأتي بيان الحكمة من كون ميراث المرأة على النصف من ميراث الرجل عند اتحاد القرابة إلى الميت في بعض الحالات، بإذن الله تعالى.

(٢) الآية ٧ من سورة النساء.

الرجل والمرأة، ولا يُتوقف شيء من تصرفاتها على موافقة الأب والزوج طالما أنها راشدة بالغة.

وإليك ما يقول الأستاذ زهدي يكن: فالزوجة الفرنسية لا يمكنها أن تتصرف بأموالها الخاصة، ويجب عليها أن تحتفظ بحق الانتفاع للزوج، ولا يمكنها أن تتصرف بالرقبة ـ أصل البيت ـ هِبَة أو بَيْعاً مثلاً، إلاّ بإجازة الزوج، وإذنُ المحكمة وحده لا يكفي[1].

عن أبي شريح رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أحَرِّجُ حق الضعيفين اليتيم والمرأة»[2].

ومعنى (أحرِّج): أُلحق الحرج، أي الإثم بمن ضيَّع حقهما، وأحذِّر من ذلك تحذيراً بليغاً وأزجر عنه زجراً أكيداً. إهـ. النووي.

---

(١) الزواج للأستاذ زهدي يكن ص ٢٢٤.

(٢) رواه النسائي بإسناد جيد.

الفصل الثاني

وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَىٰ

ولكن المرأة ليست كالرجل في كل شيء.

هناك فروق جزئية بينهما ترجع إلى وظيفة كل منهما في الحياة، هناك فروق جسمية بين الرجل والمرأة، وفروق نفسية، وفروق دينية.

١ ـ الفروق الجسمية:

أ ـ جلد المرأة أملس وأرخص من جلد الرجل عامة، والشعر النابت في جسمها أقل وأقصر وأنعم من الشعر النابت في جسم الرجل، وخاصة في الوجه.

ولعلَّ ذلك يعود ـ كما يقول الطب ـ إلى وجود غدد في المرأة ليست موجودة عند الرجل، هذه الغدد تُعدُّها لخصائص الأنوثة في: دقَّة الخاصرة، وبروز الثديين، ولين الجانب، ورقة العاطفة،

ونعومة الملمس، وعذوبة الحديث، وغلبة الحياء، وكثرة الخجل، وضعف التحمُّل[1].

وفي ذلك حكمة تتفق مع قول الله تعالى: ﴿ ومِنْ آياته أنْ خَلَقَ لكم من أنفُسِكم أزواجاً لتسكنوا إليها، وجعل بينكم مودةً ورحمة ﴾[2] وتتفق مع إنشاء الله تعالى لها مُحِبَّة للزينة والتجمل.

قال الله تعالى: ﴿ أوَمَنْ يُنَشَّأُ في الحِلْية وهو في الخصام غيرُ مُبين ﴾[3].

ب ـ قال الأستاذ المودودي رحمه الله تعالى: أثبتت بحوث علم الأحياء وتحقيقاته أنَّ المرأة تختلف عن الرجل في كل شيء، من الصورة والسَّمْت والأعضاء الخارجية، إلى ذرات الجسم والجواهر الهيولينية (البروتينية) لخلاياه النسيجية، فمن لدن حصول التكوين الجنسي في الجنين يرتقي التركيب الجسدي في الصنفين في صورة مختلفة، فهيكل المرأة ونظام جسمها يُركَّب كلُّه تركيباً تستعدّ به لولادة الولد وتربيته، ومن التكوين البدائي في الرَّحم إلى سن البلوغ ينمو جسم المرأة ويُنشَّأ لتكميل ذلك الاستعداد فيها.

وهذا هو الذي يحدِّد لها طريقها في أيامها المستقبلة.

ومع بلوغ سن الشباب يعروها المحيض الذي تتأثر به أفعال كل أعضائها وجوارحها، وتدل مشاهدات أساطين عِلْمَي الأحياء

---

(١) خطر التبرج والاختلاط للأستاذ عبد الباقي رمضون.

(٢) الآية ٢١ من سورة الروم.

(٣) الآية ١٨ من سورة الزخرف.

والتشريح على أن المرأة تطرأ عليها في مدة حيضها التغيرات التالية:

١ ـ تقلُّ في جسمها قوة إمساك الحرارة، فيزداد خروج الحرارة منه، وتنخفض درجتها فيه ـ أي درجة الحرارة في الجسم ـ.

٢ ـ ويبطؤ النبض، وينقص ضغط الدم، ويقل عدد خلاياه.

٣ ـ وتصاب الغدد الصمَّاء واللوزتان والغدَّة اللمفاوية أيضاً بالتغير.

٤ ـ ينتقص الاستقلاب الهيوليني.

٥ ـ ويقل إخراج أملاح الفوسفات والكلوريد من الجسم، وينحط الاستقلاب الغازي.

٦ ـ ويختل الهضم، ويقل التحام الشحم والأجزاء الهيولية في المأكولات مع أجزاء الجسم.

٧ ـ وتضعف قوة النفس، وتصاب آلات النطق بتغيرات خاصة.

٨ ـ ويبلد الحس وتتكاسل الأعضاء.

٩ ـ وتتخلَّف الفطنة والذكاء وقوة تركيز الأفكار.

وكل هذه التغيّرات تدني المرأة الصحيحة إلى حالة المرض إدناءً يستحيل معه التمييز بين صحتها ومرضها.

ففي مئة من النساء الحوائض لا تحيض إلاّ ثلاثة وعشرون بلا وجع أو ألم.

وبحث الباحثون ذات مرة في أحوال (١٠٣٠) امرأة عقب الانتخاب، فوجدوا أن /٧٤/ في المائة منهنَّ كُنَّ يقاسين الوجع وغيره من صنوف الأذى أيام حيضهن.

ويكتب الطبيب (إميل نورك) الذي هو محقق كبير في هذا الفرع من العلم يقول: إنَّ ما يعهد من الحوائض عامة من الأعراض هي: الصداع، والتعب، والخلج[1]، وضعف الأعصاب، وتخلّف المزاج، واضطراب المثانة، وسوء الهضم، والإمساك أحياناً، والغَثَيان، والتهوُّع في بعض الحالات.

وهناك نساء لا يستهان بعددهنّ يحسسن في صدورهن وجعاً خفيفاً يشتد أحياناً فيشعرن له بضربات عنيفة، وفي بعض تتورّم الغدة الدرقية في هذه الأيام، مما يسبب فيهن البحَّة، وكثيراً ما يُصَبْنَ بفتور الهضم وجهد التنفس.

ودلّ الفحص الطبي الذي قام به الطبيب (كريجو) في عدد من النساء أن كان نصفهن يتعلل بسوء الهضم في أيام الحيض وبالإمساك في أواخرها.

ويقول الطبيب (جب هارد): قلّ من النساء من لا تعتل بعلَّة في المحاض، ووجدن أكثرهنَّ يشتكينَ الصداع والنَّصَب والوجع تحت السرة وقلَّة الشهوة للطعام، ويصبحن شرسات الطباع، مائلات إلى البكاء، فنظراً لهذه العوارض كلُّها يصح القول: إن المرأة في محاضها تكون في الحق مريضة، وينتابها هذا المرض مرة في كل شهر، وهذه التغييرات في جسم المرأة تؤثر لا محالة في قواها الذهنية وفي أفعال أعضائها.

وفي سنة ١٩٠٩ استنتج الطبيب (فواستشفسكي) من مشاهداته

(١) الخلج: أن يشتكي المرء عظامه من طول تعب أو مشي.

الدقيقة أن المرأة تضمحل فيها قوة الجهد العقلي والتركيز الفكري أيام الحيض.

واستخرج كذلك الأستاذ (كرشي شكفسكي) من اختباراته النفسية أن المرأة يلتهب فيها المجموع العصبي في هذه الأيام، ويبلد الحس ويختل، ويضعف الاستعداد ـ وربما تعطّل بالمرة ـ لقبول الانطباعات المرئية حتى يضطرب في شعورها ما قد مرَّ فيه قَبْلاً من تلك الانطباعات المرئيّة، مما يجعلها تتخلّج حتى في أعمالها التي قد اعتادتها في حياتها اليومية.

ثم قال: وأشد على المرأة من مدة الحيض زمان الحمل، فيكتب الطبيب (رييريف) قائلاً: ربما كان خروج الفضلات من جسم المرأة في زمان حملها أقل مما يكون في حالة الفاقة والمسغبة، فلا تستطيع قواها في هذا الزمان أن تتحمل من مشقة الجهد البدني والعقلي ما تتحمله في عامة الأحوال، وإن عوارض الحامل إن عرضت لرجل أو امرأة غير حامل لحكم عليه أو عليها بالمرض بدون شك.

ففي هذه المدة يبقى مجموعها العصبي مختلاً على أشهر متعددة، ويضطرب الاتزان الذهني، وتعود جميع عناصرها الروحية في حالة فوضى دائمة.

وهي في أثناء ذلك بين الصحة والمرض، ويكفي أدنى الأسباب في دفعها إلى المرض.

ويقول الطبيب (فشر): إنه لا تسلم حتى المرأة الصحيحة من الاضطراب الشديد في زمان الحمل، فتصاب في مزاجها بالتلون،

وفي أفكارها بالتشوش، وفي عقلها بالشرود، وتتخلّف فيها ملكات الشعور والتفكير والتأمل والفهم والتعقل.

ومما اتفق عليه (هيولاك أبلس، وألبرت مول) وسواهما من الأخصائيين: أن الشهر الأخير من أشهر الحمل لا يصح فيه البتّة أن تكلَّف المرأة جهداً بدنياً أو عقلياً.

أما عقب وضع الحمل فتكون المرأة عرضة لأمراض متعددة تعروها وتنمو فيها، إذ تكون جروح نفاسها مستعدة أبداً للتسمم، وتصبح أعضاؤها الجنسية في حركة لتقلصها إلى حالتها الأصلية قبل الحمل، مما يختل به نظام جسمها كله، ويستغرق بضعة أسابيع في عودته إلى نصابه، حتى وإن لم يعرض له في أثناء ذلك خطر.

وبذلك تبقى مريضة أو شبه مريضة مدة سنة كاملة بعد قرار الحمل، وتعود قوة عملها نصف ما تكون في عامة الأحو ال أو أقل منه[1].

ج ـ وقال (هنري ماريون): إن قامة المرأة في جميع الأجناس أقصر من قامة الرجل، وذلك منذ المهد، فالذكر يولد أكبر من الأنثى. ومعدّل الفرق بينهما عند تمام النمو ١٠ سم، وكذلك الوزن، ويظهر جلياً في الهيكل العظمي، فهيكل المرأة أخف من هيكل الرجل، ليس في ذاته فحسب، بل كذلك بالنسبة لوزن الجسم، وتركيب الهيكل يجعلها أقل قدرة على الحركة والانتقال، وعضلاتها أضعف من عضلات الرجل بقدر الثلث، وتفضله هي

(١) كتاب الحجاب للعلامة المودودي رحمه الله تعالى ص ١٨٥ وما بعد.

في النسيج الخلوي الذي يحوي كثيراً من الأوعية الدموية واللمفاوية والأعصاب الحساسة، ويسمح باختزان طبقة دهنية، وعلى هذا النسيج بما فيه تقف استدارة شكلها ورشاقة قدِّها.

فإذا أتينا إلى الرأس وجدنا أنَّ مخَّ الرجل يزيد في المتوسط على مخ المرأة بمقدار مائة غرام، وليس ذلك راجعاً إلى اختلاف حجم الجسمين؛ لأنه قد شوهد أن نسبة مخِّ الرجل إلى جسمه كنسبة ١/٤٠ أما نسبة مخ المرأة إلى جسمها فهي ١/٤٤ وفرق بين النسبتين.

وغيرها فإن مخها أقل ثنيات وتلافيفه أقل نظاماً، وكذلك يوجد اختلاف بين المخَّين في الجوهر السنجابي الذي هو النقطة المدركة من المخ، فهو عند النساء أقلّ منه عند الرجال بدرجة محسوسة.

ولكن في مقابل ذلك نجد مركز الإحساس والتهيج عند المرأة أحسن تركيباً منها عند الرجل، فإذا انتقلنا إلى الجهاز التنفسي رأينا المرأة متخلِّفة عن الرجل في سَعَة الصدر والرئتين، والتنفس لديها أسرع ولكنه أنقص من الوجهة الكيماوية، فالرجل أكثر امتصاصاً منها للأوكسجين وإطلاقاً للحمض الكربوني، ولذلك نجد المرأة دون الرجل في درجة الحرارة.

أما القلب فهو في المرأة أصغر منه في الرجل، ونبضه لدى المرأة أسرع وأكثر بما يتروح بين ١٠ ـ ١٤ مرة في الدقيقة، ويشاهد هذا الفرق بين أنثى الحيوان وذكره[1].

(١) انظر دائرة المعارف لوجدي.

وقال الطبيب أبو بكر الرازي: الأنثى من كل جنس أمْوَت نفساً! وأقل قوة وجَلَداً، وأسهل انخداعاً وانقياداً، وأسرع سكوناً، وأسرع غضباً، وأشد مكراً وقحة.

هي أيضاً أصغر رأساً، وألطف وجهاً، وأدق عنقاً، وأضيق صدراً وأكتافاً، وأقل أضلاعاً، وأعظم وركاً، وأدق ساقاً، وألطف كفاً وقدماً، وأشد جبناً، وأسوأ أخلاقاً، من الذكر في كل جنس(١).

أقول: واعجَبْ معي لقول قاسم أمين ـ الذي أرسل ليدرس العلم في فرنسا، فعاد منها معولاً لهدم الدين: (فإذا فاق الرجل المرأة في القوة البدنية والعقلية، فذلك إنما لأنه اشتغل بالعمل والفكر أجيالاً طويلة، كانت فيها المرأة محرومة من استعمال القوتين المذكورتين، ومقهورة على لزوم حالة من الانحطاط في الشدة والضعف على حسب الأوقات والأماكن).

فلقد سبق الفشَّارَ دارون ومن والاه، وكأنَّه تجاهل أن المرأة ـ والفلاَّحة خاصة ـ تعمل أكثر مما يعمل الرجل في كثير من الأحيان.. ولا بدَّ لكل عمل من إدراك به يكون العمل وذلك عمل الفكر، مع عمل الجسم.

لكن الرجل كان حراً. ومن مقتضى حريته هو وأمثاله الخروج على أحكام العقل بعد أن خرجوا على أحكام الإسلام في سبيل ما من أجله يعملون.

---

(١) جمل أحكام الفراسة لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي المتوفى سنة ٣١١ هـ.

قاتلهم الله أنى يؤفكون![1].

٢ ـ الفروق النفسية:

أ ـ عاطفة المرأة أقوى من عاطفة الرجل، ومن هنا كان حنوّها على أولادها وعلى أبويها وإخوتها أكثر من حنوّ الرجل أو أشد ظهوراً.

ومن هنا ـ أيضاً ـ كان إثارة عاطفتها أسرع من إثارة عاطفة الرجل، وكان تأثر عاطفتها أقوى حالاً من تأثر عاطفة الرجل.

أما تراها إذا خولفت أو نوقشت، أو نيل من صفة من صفاتها الخَلْقية أو الخُلُقية كيف تغضب وتثور، أسرع مما يفعل الرجل.

والحكمة في ذلك ظاهرة، إنها متفقة مع وظيفتها الأولى في تربية الأولاد والحنو عليهم، وتغذيتهم العواطف الفاضلة مع اللبن.

وما أشد تقلّب عواطف الأطفال وتغير مطالبهم وتبدل أحوالهم.

ب ـ إرادة المرأة أضعف تماسكاً من إرادة الرجل، فما أكثر ما تريد المرأة، وما أكثر ما تنسى ما تريد، وتعرض عنه إلى غيره، وما أسرع ما يتغير مرادها، وما أسرع ما تتراجع عنه.

ولست أقول بقول عدو المسلمين نابليون: (إن للساعة ستين دقيقة، وللدقيقة ستين ثانية، وإن للمرأة في كل ثانية رأياً) فإنّه قول مبني على المبالغة وتجاوز الواقع.

---

(١) قال رسول الله ﷺ: «إنَّ مما ورث الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت» رواه البخاري.

والحكمة في ذلك ظاهرة تتفق مع وظيفتها في الحياة، فإن صلتها بزوجها صلة التابع بالمتبوع، أو المطيع مع المطاع، ولو تكون لها الإرادة الصادمة التي لا تتأخر أو تتغير لربما أدّى ذلك إلى الصدام بينها وبين زوجها وذويها.

ثم إنَّ صلتها بأولادها صلة الحب والعطف والرفق، والأولاد يغلب عليهم تقديم العواطف على العقل، والاستجابة للنزوات والغرائز ـ وليست كلها شراً ـ فلو كانت أمهم صاحبة الإرادة الصارمة والرأي الذي لا يتغير، والحزم الذي لا يأذن بغير التعقل، لربما أدّى ذلك إلى النفور، أو حرمان الأولاد من رابطة العاطفة الحية، والمحبة التي تفوق كل شيء سواها.

ج ـ شجاعة المرأة أدنى من شجاعة الرجل، وإقبالها على المخاطر، وورود ظلمات الطريق وغياهب الأمور أقل من الرجل.

عادةُ المرأة أن ترود الطريق الذي راده الرجل، وأن تسير في الطريق وراء الرجل، وأن تأتي من الأعمال ما تعرف وما سُبقت إليه من قبل.

إنا لنرى أنَّ ما هو من وظائف المرأة عادة يفوقها الرجل فيها إذا كان عملاً يتطلب شجاعة وفيه تحمل مسؤولية، فمثلاً المطابخ العامة في الفنادق الكبيرة والدعوات الكبيرة يقوم عليها الرجال لا النساء.

بل إن تصميم الأزياء النسائية يتقدَّم فيها الرجال على النساء عند الآخرين.

والحكمة في ذلك ظاهرة تتفق مع وظيفة المرأة في الحياة، فهي بنت الرجل وزوجته، والعادة أن تكون له القِوَامة وتحمّل المسؤولية، وأن تكون هي المأمورة المطيعة.

وهي أم الأولاد الذين يُربُّون على وتيرة مقاربة في الحياة، ليس فيها مغامرة ولا هجوم على المجهول. والله أعلم.

قال رسول الله ﷺ: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلاّ آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران. وإنَّ فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»(١).

٣ ـ الفروق الدينية:

وهي عديدة نذكر بعضها فيما يلي:

أ ـ تخصيص الرسالة والنبوة بالرجل:

الرسالة دعوة إلى الله تعالى قولاً وفعلاً، وهي تلقى عادة أعداء ومخالفين يدفعهم إلى معاداتها مصالح دنيوية أو تقليد للأسلاف على غير عقل وبصيرة، وقد تلقى من المخالفين ملاحقة وأذى وضرباً وقتلاً، وقد تلقى منهم طرداً وتشريداً وسجناً وتعذيباً.

ثم إن الرسالة تقوم على قوة العارضة، وصدق الحجة، وعلى الحلم والجَلَد في المجادلة، وقطع الطريق على الباطل بالدليل الحاضر، ودفع الشبهة بالحقيقة، وإضاءة الظلمة بالنور القاهر.

ولَعَمْرُ الله إنَّ الرجل هو الذي يقدر على ذلك لأنه خلق لذلك، وما تقدر المرأة على ذلك لأنها لم تخلق له.

---

(١) رواه البخاري.

قال الله تعالى: ﴿ وما أرسلنا مِنْ قَبْلِكَ إلاَّ رجالاً نُوحي إليهم.. ﴾[1].

والنبوة ـ وهي تشريع يُوحى به إلى رجل ولم يؤمر بتبليغه إلى الناس ـ خاصة كذلك بالرجال.

وما نقرأ في القرآن الكريم من مخاطبة الله تعالى لأم موسى عليهما السلام، وأم عيسى عليهما السلام، فإنَّما هو وحيٌ إلهام وإكرام، وليس وحي تشريع.

ولقد أوحى ربُّك إلى النحل بأن تتخذ من الجبال بيوتاً ومن الأشجار وغيرها، وخطابها خطاب إلهام وغريزة باتفاق العلماء.

ب ـ تخصيص الجهاد الشرعي بالرجل:

الجهاد الذي هو حمل السلاح ومباشرة القتال يقتضي قوة البدن، وشدة الصبر، ومَضاء العزيمة، وكثيراً من الأعمال الشاقّة التي لا تستطيع المرأة القيام بها، لذا لم تكلف بمباشرة القتال إلاّ إذا داهم العدو البلاد ونزل بها ـ معاذ الله ـ.

لقد كانت المرأة تخرج إلى الجهاد مع رسول الله ﷺ حتى غزوة حنين، ولا تباشر القتال، ولكن تعمل في الخطوط الخلفية ـ وهو من الجهاد بالمعنى العام للجهاد ـ فقد خرجت فاطمة بنت رسول الله ﷺ إلى الجهاد، كما خرجت عائشة ونُسيبة بنت كعب وأم سُلَيم وغيرهن ـ وهن على ما يُعهد فيهن وفي كل مسلمة من الستر والعفة وتجنب مخالطة الرجال ـ يسقين المجاهدين،

(١) الآية ١٠٩ من سورة يوسف، والآية ٤٣ من سورة النحل.

ويحملن القتلى والجرحى من الصحابة إلى خارج أرض المعركة.

قالت الرُّبَيِّعُ بنت مُعَوِّذ رضي الله تعالى عنها: (كُنَّا نغزو مع رسول الله ﷺ، فنسقي القوم، ونخدمهم، ونردُّ القتلى والجرحى إلى المدينة)[1].

ولكنها لم تكن تباشر القتال إلاّ مضطرة.

لقد قتلت صفية عمة رسول الله ﷺ يهودياً يوم الخندق، كان يحوم حول البيت الذي جُعلت فيه النساء، بل وحزَّت رأسه!! وقتلت أم حكيم يوم اليرموك سبعة من الروم بعمود الفسطاط لمَّا هجم الروم على مواقع المسلمين الخلفية.

قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: يا رسول الله، نرى الجهاد أفضل العمل؛ أفلا نجاهد؟ قال: «لكُنَّ أفضل الجهاد حج مبرور»[2].

وفي رواية أخرى له قلت: استأذنت رسول الله ﷺ في الجهاد، فقال: «جهادُكنَّ الحجُّ».

ثم نسخ خروج المرأة إلى الجهاد بعد الفتح، جاءت أم كبشة القضاعية رضي الله تعالى عنها قالت: يا رسول الله ائذن لي أن أخرج في جيش كذا وكذا، قال: «لا»، قالت: يا رسول الله إني لست أريد أن أقاتل، إنما أريد أن أداوي الجرحى والمرضى

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه البخاري.

وأسقي الماء. قال: «لولا أن تكون سنة، ويقال فلانة خرجت، لأذنت لك، ولكن اجلسي»[1].

وكان ذلك بعد فتح مكة[2].

ومن هنا كان حقاً للإمام أن يمنع النساء من الخروج إلى الجهاد عند وفرة الرجال وخوف الفتنة عليهن، ويقصر عملهن على الخطوط الخلفية البعيدة عن أرض المعركة، في إعداد الطعام والشراب والدواء والثياب للجنود المقاتلين. ويحصل لهن ثواب عظيم في هذا النوع من الجهاد.

وقد سار على هذا رسول الله ﷺ بعد الفتح، ثم الخلفاء الراشدون والتابعون لهم من خلفاء بني أمية والعباس، وكفى بهم قدوة.

ج ـ تخصيص المسؤولية الأولى في الأسرة بالرجل:

مسؤولية الرجل في الأسرة نوعان:

١ ـ مسؤولية أدبية أخلاقية: تقوم على تربية الزوجة والأولاد على الإيمان بالله تعالى وما جاء من عنده، وعلى طاعته سبحانه، وعلى التخلُّق بأخلاق الإسلام.

قال الله تعالى: ﴿ الرجال قوّامون على النساء.. ﴾[3] قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: قوّامون: أمراء عليها، فعليها أن تطيع وعليهم تأديبهن.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة والطبراني وغرهما.
(٢) انظر الإصابة في تميز الصحابة لابن حجر: ٤/٤٦٣.
(٣) الآية ٣٤ من سورة النساء.

قال الله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا قُوا أنفسَكم وأهليكم ناراً، وَقودُها الناسُ والحجارةُ، عليها ملائكةٌ غِلاظٌ شِدادٌ، لا يعصونَ الله ما أمرهم ويفعلونَ ما يُؤمرون ﴾[١].

قال الآلوسي: ووقاية النفس عن النار بترك المعاصي وفعل الطاعات ووقاية الأهل بحملهم على ذلك بالنصح والتأديب، وروي أن عمر رضي الله عنه قال حين نزلت: يا رسول الله نقي أنفسنا فكيف لنا بأهلينا؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «تنهونهنّ عما نهاكم الله عنه، وتأمرونهنَّ بما أمركم الله به، فيكون ذلك وقاية بينهنَّ وبين النار».

وأخرج ابن المنذر والحاكم ـ وصحّحه ـ وجماعة عن علي كرم الله وجهه، أنه قال في الآية: (علموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدِّبوهم). والمراد بالأهل على ما قيل يشمل الزوجة، والولد، والعبد، والأمة.

واستُدلّ بها على أنه يجب على الرجل تعلُّم ما يجب تعلمه من الفرائض وتعليمه لهؤلاء، وأدخل بعضهم الأولاد في الأنفس لأن الولد بعض من أبيه. وفي الحديث: «رحم الله رجلاً قال: يا أهلاه صلاتكم، صيامكم، زكاتكم، مسكينكم، يتيمكم، جيرانكم، لعلّ الله يجمعكم معه في الجنة»[٢].

وقال ﷺ: «ما نَحَل والد ولده من نِحْلة أفضل من أدب حسن»[٣].

---

(١) الآية ٦ من سورة التحريم.
(٢) روح المعاني: ١٥٦/٢٨.
(٣) رواه الترمذي وغيره، ونحل: أعطى ووهب.

ولا شك أن على المرأة نصيباً في تربية الأولاد وأيّ نصيب، قال رسول الله ﷺ من حديث: «.. والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها»(١).

٢ ـ مسؤولية مادية: تقوم على الإنفاق على الزوجة والأولاد، طعاماً وشراباً وكساء ومأوى وكماليات على قدر المُكْنة والسَّعَة، قال الله تعالى: ﴿ لِيُنْفِق ذو سَعة من سَعته، ومن قُدِر عليه رزقُه فَلْيُنْفِقْ مما آتاه الله، لا يكلف الله نفساً إلّا ما آتاها، سيجعل الله بعد عسر يسراً ﴾(٢). وقال: ﴿ وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ﴾(٣).

ولا تكلَّف المرأة بشيء من الإنفاق، أماً كانت أو أختاً، بنتاً كانت أو زوجة، قادرة على العمل أو عاجزة عنه، غنية كانت الزوجة أو فقيرة، كان زوجها قادراً على العمل أو عاجزاً عنه، غنياً كان أو فقيراً، بل ذكر الفقهاء أن الزوج غير القادر على العمل أو غير الواجد له وهو فقير يكلف بالسؤال لينفق على زوجته، ولا يكلف بذلك من أجل أمه، فإن الزوجة زوجته فقط والأم أم له ولأخوته.

أما الأم والأخت إن كانتا غنيتين فتنفقان على أنفسهما من مالهما، وإذا افتقرتا كان على الولد والأخ الإنفاق عليهما ولا تكلَّفان بالعمل مع قدرتهما عليه(٤).

---

(١) متفق عليه.
(٢) الآية ٧ من سورة الطلاق.
(٣) الآية ٢٣٣ من سورة البقرة.
(٤) يأتي الكلام على عمل المرأة وحالاته وشروطه بإذن الله تعالى.

د ـ تخصيص الولاية العليا لشؤون الأمة بالرجل:

الولاية العامة العليا التي تعني بلغة العصر رئاسة الدولة، خاصة بالرجل، ذلك لأن رئيس الدولة في الإسلام يملك ويحكم، وهو المسؤول الأول عن تطبيق الإسلام عقيدة ونظاماً ودعوة، وهو المسؤول عن حفظه وحفظ الجماعة، والمحافظة على حقوقهم تجاه بعضهم بعضاً وتجاه الأعداء.

هو كما قال الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله تعالى: (إن رئيس الدولة في الإسلام ليس صورة رمزية للزينة والتوقيع، وإنما هو قائد المجتمع، ورأسه المفكر، ووجهه البارز، ولسانه الناطق، وله صلاحيات واسعة خطيرة الآثار والنتائج.

فهو الذي يعلن الحرب على الأعداء، ويقود جيش الأمة في ميادين الكفاح، ويقرر السلم والمهادنة إن كانت المصلحة فيهما أو الحرب والاستمرار فيها إن كانت المصلحة تقتضيها، وطبيعي أن يكون ذلك كله بعد استشارة أهل الحَلِّ والعقد في الأمة، عملاً بقوله تعالى: ﴿وشاوِرْهُمْ في الأمْر﴾[1] ولكنه هو الذي يعلن قرارهم ويرجِّح ما اختلفوا فيه، عملاً بقوله تعالى: ﴿فإذا عَزَمْتَ فتوكَّلْ على الله﴾[2].

ورئيس الدولة في الإسلام يتولى خطابة الجمعة في المسجد الجامع، وإمامة الناس في الصلوات، والقضاء بين الناس في الخصومات إذا اتَّسع وقته لذلك.

(١) آية ١٥٩ من سورة آل عمران.
(٢) آل عمران: ١٥٩.

وممّا لا ينكر أن هذه الوظائف الخطيرة لا تتفق مع تكوين المرأة النفسي والعاطفي ـ وبخاصة ما يتعلق بالحروب وقيادة الجيوش ـ فإن ذلك يقتضي من قوة الأعصاب، وتغليب العقل على العاطفة، والشجاعة في خوض المعارك ورؤية الدماء، فالحمد لله تعالى على أن المرأة ليست كذلك، وإلاّ فقدت الحياة أجمل ما فيها من رحمة ووداعة وحنان)(1).

بلغ رسول الله ﷺ أن الفرس ولّوا المُلْكَ إحدى بنات كسرى فقال: «لن يفلحَ قومٌ ولَّوْا أمْرهم امرأة»(2) وهذا مثال لفساد الحكم إذا تولته امرأة.

قالت أنديرا غاندي المجوسية ـ زوجة رجل اسمه: فيروز غاندي، وابنة نهرو ـ قالت بعد سقوطها في انتخابات ١٩٧٧: (أنا ما أردت أن أعمل في السياسة) مع أنها ظلّت رئيسة حزب المؤتمر من بعد وفاة أبيها، إلى أيامنا هذه، وقد ذكروا من أسباب سقوطها وسقوط حزبها في الانتخابات أسباباً:

١ ـ استبعادها أصدقاء والدها.

٢ ـ تقييدها حرية المواطنين بحالة الطوارىء، فقد اعتقلت في سنتين أكثر من /١٥٠/ ألف رجل بينهم زعماء المعارضة، و /٣٠/ ألف معتقل سياسي.

٣ ـ تعديلها الدستور حتى أحكمت قبضتها على البلاد ففاتها بعد ذلك كل شيء والحمد لله.

(1) المرأة بين الفقه والقانون ص ٣٩.
(2) رواه البخاري.

٤ ـ عمليـة التعقيم الإلـزامي، فقـد عمَّت /٧/ مـلايين رجل.. وقد عارضها المسلمون في هذا حتى قال أحدهم: إذا كان يحق لأنديرا أن تتحكم بعقولنا فهل يعني ذلك أنها تتحكم بتناسلنا أيضاً.

والحكمة في ذلك ظاهرة.

إن وظيفـة المرأة الأصليـة القرار في البيت وتـربية رجـال المستقبل، وتهيئة البيت السعيد للزوج بعد عناء العمل وشقاء الكفاح.

- وإنها لا تخالط الرجل ولا تخلو بأجنبي أيّاً كانت الأسباب.
- وإنها قوية العاطفة سريعة التأثر، وذلك يعوقها عن تغليب العقل والحزم والقوة على مظاهر الحنو والرحمة.
- وكيف تخطب في الناس وتصلي بهم، وهي ليست مكلَّفة بصلاة الجمعة والجماعة، ولا تتولى إمامة الرجال في الصلاة.

ومن الولاية التي لا تكون للمرأة ولاية القضاء، فلا يصح أن تكون قاضية بين الناس؛ لما يقتضي القضاء ما يخالف طبيعة المرأة ووظيفتها في الحياة.

وهذا أمر متفق عليه بين الأئمة، وقال إمامنا أبو حنيفة رحمه الله تعالى: إذا قضت المرأة في غير الجنايات نفذ قضاها وأثم من ولّاها.

أما الولاية الخاصّة، مثل ولاية أمر الأيتام والقيام بشؤونهم المالية والتربوية فذلك جائز لا خلاف فيه، ومثل ولاية الشهادة

ـ في غير الدماء ـ فذلك حقٌ لها؛ على أن يكون معها رجل، سوى ما هو خاص بشؤون النساء مثل الحمل والولادة.

هـ ـ تخصيص نقض الزوجية بالرجل:

الزواج عقد على شركة الأبد بين الرجل والمرأة، يبقى ما دامت الحياة قائمة بالزوجين، وهو عقد يُحلُّ لكل منهما الاستمتاع بالآخر على الوجه المشروع.

وككل العقود البشرية قد يعرض له ما يقضي بزواله بقصد البشر، فحين لا تستقيم الحياة الزوجية بين الزوجين لاختلاف البيئة والوسط الاجتماعي بينهما (الكفاءة) كما وقع بين زيد بن حارثة وزينب بنت جحش رضي الله تعالى عنهما ـ فإنه قد يقع الطلاق.

وحين لا يحب الزوج زوجته، أو لا تحب الزوجة زوجها مع سلامة دين كل منهما، ويخشيان الفتنة في ترك القيام بالحقوق الزوجية فإنه قد يقع الطلاق.

وحين تصعب الحياة الزوجية بين الزوجين لصلاح دين أحدهما دون الآخر، فإنه قد يقع الطلاق.

وكما يدب الخلاف بين الولد وأبيه فيفترقان، وكما يدب الخلاف بين الأخوين فيفترقان، ويدب الخلاف بين الشريكين فيفترقان، كذلك يرى العاقل إمكان وقوع الطلاق عند تحقق الأسباب الظاهرة أو الموجبة لذلك الطلاق[1].

(١) سيأتي الكلام على موضوع الطلاق حين الكلام على الأسرة بإذن الله تعالى.

إن الزوج هو الذي يملك أصلاً نقض الزوجية - أعني الطلاق -.

والحكمة في جعل الطلاق بيد الرجل يمكن عرضها فيما يلي:

١ - إن الرجل هو الذي يطلب الزواج عادة، ويدفع المهر، ويعدّ سكن الزوجية.

٢ - إن الرجل هو الذي له القِوَامة والمسؤولية الكبرى في الأسرة، فمن حقه أن يملك تنظيم الأسرة وحفظها وتفريقها.

٣ - إن الزوج هو الذي ينفق على الزوجة المطلقة أثناء عدتها حتى تنقضي، وقد تطول العدّة إلى تسعة أشهر، وذلك فيما إذا طلَّقها وهي حامل فتنتهي عدّتها بوضع الحمل.

٤ - إن الزوج هو الذي ينفق على أولاده في فترة حضانة الزوجة لهم، فهو ينفق على إرضاع الصغير رضاعاً وخدمة، وينفق على سائر أولاده فترة حضانة أمهم لهم وهي فترة تطول إلى سبع سنوات أو أكثر.

٥ - إن الرجل أقوى إرادة وأكثر تعقلاً وأبصر بالعواقب من المرأة عادة، ولا تعرض له تلك الحالات المرضية التي تعرض للمرأة أثناء الحيض كما سبقت الإشارة إليه.

قال الله تعالى في بيان أن الطلاق هو بيد الرجل:

﴿ وإنْ طلقتموهنَّ مِنْ قَبْلِ أن تمسُّوهنَّ . . والمطلَّقاتُ يتربَّصْنَ بأنفسهنَّ ثلاثةَ قروءٍ . . فإن طَلَّقها فلا تحل له مِنْ بَعْدُ حتى تَنْكِحَ زوجاً غيره ﴾(١).

---

(١) الآيات ٢٢٧ و ٢٢٨ و ٢٣٠ من سورة البقرة.

وقال ﷺ: «الطلاق بيد من أخذ بالساق»[1].

والمسلمون مجمعون على أن الطلاق بيد الرجل، وهو الذي يوقعه إذا شاء، وليس للقاضي التفريق بين الزوج وزوجته دون موافقة الزوج، إلّا في حالات خاصة، يُعرض لها في الكلام على الأسرة بإذن الله تعالى.

والخروج على نظام الإسلام في أمر الطلاق وجعل الطلاق بيد القاضي يؤدي إلى مخالفة حكم الإسلام ويؤدي إلى مفاسد اجتماعية ولا يحدّ من الطلاق.

أما كونه مخالفة لحكم الإسلام فقد ذكرتُ بعض النصوص التي تجعل الطلاق بيد الزوج، فنَبْذها نَبْذٌ لجانب في الإسلام.

وأما كونه يؤدي إلى مفاسد اجتماعية، فإن الزوج قد يطلّق زوجته ويمضي زمن يتصالحان فيه، فيعاشرها معاشرة الأزواج، لأنه لم يقضِ القاضي بالطلاق، وذلك الزنى بعينه ـ معاذ الله ـ.

ولربما طلَّق الزوج زوجته وعرض الأمر على القاضي، فلا بدَّ من ذكر أمور لا تذكر للناس ممَّا يكون بين الزوجين.. وربما وقع في ذلك الكذب والغش من أجل أن يقتنع القاضي فيقضي بالطلاق، والقاضي ليس معصوماً عن الميل مع الهوى، ولا عن الغرض.

وإذا لم يقنع القاضي أخيراً بالأسباب الداعية إلى الطلاق فماذ يصبح حال الزوجين؟ هل يبقيان زوجين..؟ أم يبقيان معلّقين؟

---

(١) رواه الطبراني وهو حديث حسن.

وقدِّر الأضرار البالغة في ذلك الفراق الجسدي الذي سيعيشان عليه!!.

وأما كونه لا يحدُّ من الطلاق، فهذه أمريكا وألمانيا تجعلان الطلاق بيد القاضي، ومع ذلك فقد كانت نسبة الطلاق في أمريكا منذ سنوات ٤٨٪ من الزيجات، وكانت نسبة الطلاق في ألمانيا منذ سنوات ٣٥٪ من الزيجات، بينما بلغت في سورية منذ سنوات قليلة ١٧ في الألف من الزيجات.

و ـ ومن الفروق الدينية فروق فقهية بين الرجل والمرأة:

في الصلاة:

وضوء المرأة كوضوء الرجل على حدٍّ سواء، وكذلك الغُسْل، إلاّ أنَّ المرأة في غسلها لا تكلف بنقض ضفائرها إذا وصل الماء إلى أصول الشعر ولا كذلك الرجل، بل لا بدّ له من نقض ضفائره ولو وصل الماء إلى أصول شعره.

صلاة المرأة:

شروط الصلاة في المرأة كالرجل إلاّ ستر العورة، فإن عورتها في الصلاة جميع بدنها ما عدا وجهها وكفيها، وإذا بدا شيء من عورتها المستورة في الصلاة واستمرت مقدار أداء ركن في الصلاة، ويقدر بثلاث تسبيحات بطلت صلاتها.

تكتفي المرأة برفع يديها حذاء منكبيها عند دخولها في الصلاة وتضع يديها على صدرها في قيامها في الصلاة، لأن ذلك أستر لها.

وإذا سجدت قرَّبت يديها إلى جسمها ولا تجافي ضَبْعَيها عن

جسمها ـ كما يفعل الرجل ـ لأنه أستر لها. وإذا جلست للتشهد جلست على أليتها اليسرى لأن ذلك أستر لها كذلك.

وإذا صلَّت وراء الإمام وأخطأ في شيء من أعمال الصلاة فإنها تلاحظ عليه بأن تصفق بباطن يدها اليمنى على ظاهر يدها اليسرى، أمَّا الرجل فيلاحظ بالتسبيح، قال رسول الله ﷺ: «التسبيح للرجال، والتصفيق للنساء»[1].

وهي لا تؤذن للصلاة ولا تقيم، ولا تصلي إماماً بالناس.

ولا تُكلَّف بصلاة الجماعة، ولا الجمعة والعيدين، وإذا حضرت إحدى تلك الصلوات وقفت وراء الصبيان الذين يقفون وراء الرجال.

ويسن لها بعد الصلاة أن تبادر بالخروج من المسجد قبل أن يخرج الرجال، دون أن ترفع صوتها بذكر أو تسبيح.

وإذا حاضت تركت الصلاة أيام حيضها، وإذا طَهُرت من حيضها عادت إلى الصلاة، ولم تقضِ ما فاتها من الصلوات أيام حيضها، ومثل الحيض النفاسُ بدليل الإجماع.

في الصيام:

المرأة في الصيام كالرجل بسواء، إلَّا أنَّ لها حالات أكثر منه لترك الصيام.

إذا حاضت المرأة في رمضان تركت الصيام أيام حيضها، وكذا أيام النِّفاس.

---

(١) رواه البخاري.

ثم إنها لا تقضي الصلوات التي فاتتها أيام الحيض والنِّفاس لما في ذلك من مشقة عليها، وتقضي الصيام لأن رمضان ضيف العام، فلا تجد حرجاً في قضاء ما فاتها من الصيام في رمضان.

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: «كنَّا نُؤمر فنقضي الصوم ولا نقضي الصلاة»[1] وتؤخر الصيام إذا كانت حاملاً أو مرضعاً ويتضرر الجنين أو الطفل من صيامها.

في الزكاة:

المرأة في الزكاة مثل الرجل سواء بسواء، وتؤدي زكاة حُلِيِّها ما دامت قد بلغت نصاباً.

في الحج:

المرأة في عبادة الحج مثل الرجل، إلاّ أنها لا تخرج إليه إلاّ معها زوج أو مَحْرَم، إذا كانت المسافة بينها وبين مكة المكرمة تعدل مسافة السفر[2]، وتجعل إحرامها في وجهها وكفيها، فلا تنتقب ولا تلبس القفازين أثناء إحرامها ـ وإذا خشيت الفتنة سترت وجهها حين قربان الرجال الأجانب منها ـ وتبقى على ثيابها المعتادة فيما سوى ذلك، ولا ترفع صوتها بالتلبية، ولا ترمل في الطواف ولا تهرول بين الميلين الأخضرين في السعي بين الصفا والمروة، ولا تزاحم الرجال في الطواف، وأما في تقبيل الحجر الأسود أو استلامه فلا، ثم لا.

(١) رواه البخاري.
(٢) وتقدر بـ /٨٢/ ك م.

في الجهاد:

سبق الكلام على خروج المرأة ـ أول أيام الجهاد ـ إلى الغزوات تداوي الجرحى، وتنقل القتلى، وتسقي المقاتلين، وتعدّ الطعام لهم.

وإن ذلك قد رفع بمثل قوله ﷺ رضي الله عنها وقد سألته قائلة: نرى الجهاد أفضل الأعمال أفلا نجاهد؟ فقال لها: «لكُنَّ أفضل الجهاد حجٌّ مبرور»[1].

جاءت زينب إلى رسول الله ﷺ تقول: أنا وافدة النساء إليك. هذا الجهاد قد فرضه الله تعالى على الرجال، فإن أصيبوا أثيبوا، وإن قتلوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون، ونحن معشر النساء نقوم عليهم فما لنا من ذلك الأجر؟ فأجابها ﷺ بقوله: «أبلغي من لقيتِ من النساء: أنَّ طاعةً للزوج واعترافاً بحقه يعدل ذلك ـ أي أجر المجاهدين في سبيل الله تعالى ـ وقليلٌ منكنَّ من يفعله»[2].

في القتل:

دية المرأة المقتولة خطأ أو التي لم يستوجب قاتلها عقوبة القصاص لعدم استيفاء شروطه من كونه شبه عمد، أو عرضت فيه شبهة، على النصف من دية الرجل، والحكمة في ذلك ليس هو تقدير قيمة الإنسانية في القتيل ، فالرجل والمرأة في الإنسانية سواء كما تقدم، ولكن هو تقدير لقيمة الخسارة المادية في من يرث هذا المقتول.

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الطبراني والبزار.

ولا ريب أن خسارة الأولاد المادية بقتل أبيهم تفوق بكثير خسارتهم المادية بقتل أمهم، فإن الأب مكلَّف بالإنفاق على زوجته وأولاده، وليست الأم مكلفة بالإنفاق على أولادها، بل ولا على نفسها، كما هو مقرر في الفقه بتفصيل فيه.

أما قتل المرأة عمداً ففيه القصاص، كان القاتل رجلاً أو امرأة قال الله تعالى: ﴿ وكتبنا عليهم فيها أنَّ النفسَ بالنفس . . ولَكُمْ في القِصَاصِ حياةٌ يا أولي الألباب لعلَّكم تتَّقون ﴾[1].

الخروج من البيت:

الأصل في المرأة أن تقرّ في بيتها حيث مملكتها ووظيفتها، قال الله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ في بيوتكنَّ، ولا تَبَرَّجْنَ تبرُّج الجاهلية الأولى ﴾[2].

وهذه الآية وإن كان نزولها في نساء الرسول ﷺ فهي خطاب لبناتهنَّ كذلك من نساء المؤمنين جميعاً، لأن الأنوثة واحدة، وداعي القرار في البيوت واحد، ووظيفتها في الحياة واحدة، كذلك، وإن يكن محذور خروج نساء رسول الله ﷺ من بيوتهنَّ أقل، لشدة دينهن، وشرفهن، ولكونهن أمهات للمؤمنين يحرم عليهم نكاحهن أبداً.

وقال ﷺ: «أُذن لَكُنَّ في الخروج لحاجتكنَّ»[3].

---

(١) الآية ٤٥ من سورة المائدة، والآية ١٧٩ من سورة البقرة.
(٢) الآية ٣٣ من سورة الأحزاب.
(٣) رواه البخاري.

وقال في الإذن للنساء بالخروج إلى المساجد للصلاة: «لا تمنعوا إماء الله بيوت الله»[1].

وخروج المرأة إلى المسجد للصلاة خروج على سبيل الإباحة لا الوجوب كالرجل.

جاءت زوجة أبي حُمَيد الساعدي إلى رسول الله ﷺ فقالت له: إني أحب الصلاة معك، فقال لها ﷺ: «قد علمت، وصلاتك في بيتك خير لك من صلاتك في حجرتك، وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك، وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك، وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجد الجماعة»[2]. وذلك لما في ذلك من قلة الخروج، ثم قرب المسافة عند الخروج من البيت.

غير أن عائشة رضي الله تعالى وقد رأت بعض النساء يتزيَّنَّ للخروج إلى المساجد، ويتعرضن للفتنة أو يعرض لهن الرجال، قالت: (لو رأى رسول الله ﷺ ما أحدث النساء بعده لمنعهن المساجد)[3].

ومن هنا قال الفقهاء لا تخرج الشوابُّ إلى مساجد الجماعة، وتخرج العجائز إن شئن، حَذَراً من الفتنة.

وقد حدد الإسلام خروج المرأة من البيت لحاجة وبشروط أخرى تُجمل فيما يلي:

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أحمد والطبراني.

(٣) رواه البخاري وغيره.

١ ـ الخروج للحاجة، لا للّهو وإضاعة الأوقات. قال رسول الله ﷺ: «أذن لَكُنَّ في الخروج لحاجتكنَّ»[1].

٢ ـ الخروج بإذن الزوج أو الولي من الأب أو الأم أو الأخ والعم.

٣ ـ اتخاذ الستر الحق عند الخروج، وذلك بأن تستر جميع بدنها ومنه وجهها لأن الوجه مجمع المحاسن، والفتنة غير مأمونة في كشف وجهها بل هي واقعة واقعة، وأن لا يظهر منها إلاّ ما يكشفه الهواء كطرف الثوب تحت الجلباب أو خاتم اليد، أو بعض الوجه لحاجة، وأن يكون حجابها سميكاً لا يبدي من بدنها ولا يشفُّه، فضفاضاً لا يصف ولا يجسِّم، وأن يكون خالياً من الألوان المغرية، ومن الزينة الظاهرة، وخالياً من العطر، ولا تلبس لباس الرجال كالبنطال ولا لباس الكافرات ولا الفاجرات والمستهترات.

وأن تغض نظرها في سيرها، فلا تنظر هنا وهناك لغير حاجة، وإذا احتاجت إلى محادثة الرجال تتحدث إليهم بعاديّ الكلام، لا تلين صوتها، ولا تخضع به، ولا تضحك بصوت فيطمع الذي في قلبه مرض..

قال الله تعالى: ﴿وقُلْ للمؤمناتِ يَغْضُضْنَ من أبصارهنَّ ويحفظنَ فروجهنَّ، ولا يبدينَ زينتَهُنَّ إلاّ ما ظهر منها، ولْيَضْرِبْنَ بخُمُرِهِنَّ

---

(١) رواه البخاري.

على جيوبهنَّ، ولا يبدين زينتهنَّ إلَّا لبعولتهنَّ.. ﴾ إلى آخر الآية[1].

قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: رحم الله نساء المهاجرات، لما نزل (وليضربن) شققن أزرهن فاختمرن بها[2]. ودخلت على عائشة حفصةُ بنت أخيها عبد الرحمن رضي الله تعالى عنهم، وقد اختمرت بشيء يشفّ عن عنقها وما هنالك، فشقّته عليها وقالت: إنما يُضرب بالكثيف الذي يستر[3].

٤ ـ ترك التعطر أو استعمال أدوات الزينة المعطرة، فتخرج من البيت ويجد الناس رائحة العطر منها. قال رسول الله ﷺ: أيما امرأة استعطرت، فمرَّت على قوم ليجدوا من ريحها، فهي زانية، وكل عين زانية»[4].

٥ ـ ترك التعطر ولو في الخروج إلى الصلاة في مثل يوم الجمعة، قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: بينما رسول الله ﷺ جالس في المسجد دخلت امرأة من مُزَينة، ترفل في زينة لها في المسجد، فقال ﷺ: «يا أيها الناس انهوا نساءكم عن لبس الزينة والتبختر في المسجد، فإن بني إسرائيل لم يُلعنوا حتى لبس نساؤهم الزينة وتبختروا في المسجد»[5].

(١) الآية ٣١ من سورة النور، ويأتي الكلام على حجاب المرأة المسلمة بإذن الله تعالى.

(٢) رواه البخاري.

(٣) تفسير القرطبي: ٢١٣/١٢.

(٤) رواه أبو داود والترمذي والنسائي، والحديث صحيح والمراد أنها تتخلّق بأخلاق الزانية التي تدعو الناس إلى نفسها.

(٥) رواه ابن ماجه.

٦ ـ لا تمشي وسط الطريق وفي زحمة الرجال. سمع أبو أُسيد الأنصاري رسول الله ﷺ يقول وهو خارج من المسجد، فاختلط الرجال مع النساء في الطريق، فقال رسول الله ﷺ للنساء: «استأخِرْن، فإنه ليس لكنّ أن تَحْقُقْنَ الطريق» أي اتركن حُقَّها ـ يعني وسطها ـ «عليكنّ بحافاتِ الطريق» فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثوبها ليعلق بالجدار من لصوقها به(١).

٧ ـ تمشي متواضعة على أدب وحياء لا تتخذ خلاخل ولا حذاء يضرب على الأرض بقوة، فيسمع الناس قرع حذائها، فيلتفتون، وربما وقعت الفتنة، قال الله تعالى: ﴿ ولا يَضْرِبْنَ بأرجلهنَّ ليُعلَمَ ما يُخفين مِنْ زينتهنَّ ﴾(٢) أي الخلاخل التي كانت تتخذها المرأة على ساقيها.

٨ ـ وإذا حادثت أجنبياً ـ غير مَحْرَم لها ـ تحادثه بصوت عادي، وتسعى جهدها أن يكون خالياً من الرقّة والتكسُّر والإغراء. قال الله تعالى: ﴿ فلا تخضعنَ بالقول فيطمعَ الذي في قلبه مَرَضٌ وقُلْن قولاً معروفاً ﴾(٣).

٩ ـ ولا ترفع النِّقاب عن وجهها في الطريق والأسواق ومجامع الرجال، إلاّ أن تضطرها إلى ذلك حاجة وعلى قدر تلك الحاجة.

جاءت أم خلّاد إلى النبي ﷺ ـ وهي منتقبة ـ تسأل عن ابنها وهو مقتول، فقال لها بعض أصحابه ﷺ: جئت تسألين عن ابنك

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) الآية ٣١ من سورة النور.

(٣) الآية ٣٢ من سورة الأحزاب.

وأنت منتقبة؟ فقالت: إنْ أُرْزَأْ ابني فلن أُرزَأَ حيائي. فقال رسول الله ﷺ: «ابنك له أجر شهيدين» قالت: ولِمَ ذاك يا رسول الله؟ قال: «لأنه قتله أهل الكتاب»[1].

١٠ ـ وإذا ذهبت إلى دكان أو دائرة فلا تنفرد هناك برجل وقد أغلق الباب عليهما لأن ذلك خلوة. قال ﷺ: «لا يخلونَّ رجل بامرأة إلّا وكان الشيطان ثالثهما»[2].

ولا تصافح غير ذي محرمٍ منها من الرجال: «ما مسَّ رسول الله ﷺ يد امرأة ـ أجنبية ـ قط إلّا أن يأخذ عليها، فإذا أخذ عليها ـ أي العهد والبيعة ـ قال: اذهبي فقد بايعتك»[3].

١١ ـ وإذا دخلت على صديقة لها تزورها فلا تتخفف عندها من ثيابها حتى تبدو مفاتنها، وما لا يُظهَر للنساء عادة، فقد يكون في البيت رجل يسترق النظر، أو يكون في المجلس امرأة سوء فتصفها لمن قد يرغب فيها، قال رسول الله ﷺ: «أيما امرأة وضعت ثيابها في غير بيت زوجها فقد هتكت ستر ما بينها وبين الله عزّ وجل»[4].

دخلت نساء على أم سلمة رضي الله تعالى عنها فسألتهن من أنتن؟ قلن من حمص. قالت من أصحاب الحمّامات؟ قلن وبها

---

(١) رواه أبو داود. وكان ذلك يوم بني قريظة.

(٢) رواه الترمذي والنسائي.

(٣) رواه أبو داود. هذا ولا يفهم من تتمة الحديث أن النبي ﷺ كان يصافح النساء فقد كان يبايعهن بدون مصافحة؛ كما ثبت ذلك في البخاري وغيره.

(٤) رواه أحمد وابن حبان، وهو حديث حسن.

بأس؟ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أيُّما امرأة نزعتْ ثيابها في غير بيتها خرق الله عنها ستره»(١).

ولا ريب أنه يحرم على المرأة أن تصف امرأة أجنبية لزوجها أو لغيره، فقد يدعو ذلك إلى الإثم، ويوقع في الفتنة. قال رسول الله ﷺ: «لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها»(٢).

١٢ ـ لا تخرج من بلدها إلى مكان آخر يبعد أكثر من ثلاثين كلم إلاّ ومعها زوج أو محرم. قال ﷺ: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر، تسير مسافة يوم وليلة إلاّ مع ذي محرم»(٣).

١٣ ـ ولا تخرج حتى لأداء نُسُك الحج دون زوج أو محرم، قال ﷺ: «لا يخلونَّ رجل بامرأة إلاّ ومعها ذو محرم» فقال رجل: يا رسول الله، إن امرأتي خرجت حاجّة، وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا فقال: «انطلق فحجَّ مع امرأتك»(٤).

١٤ ـ لا تتشبه بالرجل في لباس ولا غيره مما هو خاص به، قال ﷺ: «لعن الله المتشبِّهات من النساء بالرجال والمتشبِّهين من الرجال بالنساء»(٥) وقال: «لعن الله المخنَّثين من الرجال والمترجلات من النساء»(٦)، لما في ذلك من تغيير خلق الله تعالى. معاذ الله.

---

(١) رواه الحاكم في الأدب.
(٢) البخاري وأحمد وغيرهما.
(٣) متفق عليه.
(٤) متفق عليه.
(٥) رواه أحمد وأبو داود والترمذي، وهو حديث صحيح.
(٦) رواه الترمذي والبخاري في الأدب، وهو حديث صحيح.

١٥ ـ ولا تلبس لبس الفاسقات المستهترات، فتغري الرجال بها من حيث تريد أو لاتريد. قال ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات، عاريات، مميلات، مائلات، رؤوسهن كأسنمة البُخْت، لا يدخلنَ الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»(١). والمرء مع من أحب ومن أحب قوماً حُشر معهم.

ز ـ ومن تلك الفروق الدينية اختصاص المرأة بدماء معينة:

تختص المرأة بثلاثة أنواع من الدماء يخرجن من قُبُلها وهي: الحيض، والنفاس، والاستحاضة.

أولاً ـ الحيض: دم ينفضه رحم امرأةٍ بالغة لا داءَ بها ولا حَبَل.

والحيض هو عادة المرأة الشهرية كتبها الله تعالى على حواء وبناتها، ويبدأ من حين بلوغ الأنثى في الثانية عشر أو الثالثة عشر إلى الخامسة عشر، ويستمر عادة إلى الخمسين أو الخامسة والخمسين، ولا تنقطع هذه العادة عن المرأة إلّا في حالات الحمل، أو حالات مرضية خاصة، أو بلوغ سن الإياس ـ أعني سن انقطاع الحيض لكبر السن ـ.

أقلُّ الحيض عند الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى ثلاثة أيام ولياليها وأكثره عشرة أيام ولياليها، لما روي مرفوعاً وموقوفاً أنه ﷺ قال: «أقل الحيض ثلاثة أيام ولياليها وأكثره عشرة أيام ولياليها»(٢).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الدار قطني والوقف أرجح، إلّا أنه لما كان من الأثر الذي لا يقال بالرأي كان له حكم الحديث المرفوع.

وأقلُّه عند الإمام الشافعي رحمه الله تعالى يوم وليلة وأكثره خمسة عشر يوماً.

من أحكام الحيض:

١ ـ الأصل في تقدير مدة حيض المرأة عادتها، وهي ما بين ثلاثة إلى عشرة أيام، وتتغير العادة بمرة يتغير فيها موعد الحيض، فإذا لم يكن لها عادة بأن كانت ترى الدم مستمراً منذ بلوغها أو ترى الدم عشرة وأكثر فعادتها عشرة أيام ولياليها، وما زاد على ذلك هو استحاضة.

٢ ـ دم الحيض دم نجس باتفاق العلماء، فيجب تطهير ما أصابها منه بالماء وبكل قالع مزيل ولو الظفر قالت عائشة: «ما كان لإحدانا إلّا ثوب تحيض فيه، فإذا أصابها شيء من دم قالت بريقها، فمصعته بظفرها»[1].

٣ ـ لا تصلِّي الحائض أثناء حيضها ولا تصوم، وإذا انتهى موعد الحيض اغتسلت وصلَّت ما تستقبل من أوقات الصلوات، ولا تقضي ما فاتها من الصلوات أثناء الحيض، وتقضي ما فاتها أثناء الحيض من أيام الصيام، لأن الصيام ضيف العام فلا حرج على المرأة في قضاء أيام منه، وقد يكون في قضاء الصلوات الفائتة أثناء الحيض مع أداء صلوات الأوقات حرجاً، وقد رفع الله تعالى الحرج عن هذه الأمة.

قالت معاذة: سألت عائشة رضي الله تعالى عنها فقلت: ما بال

(١) رواه البخاري. ومعنى قالت: فعلت. ومعنى مصعته: فركته.

الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ فقالت: أحرورية أنت؟ فقلت لست بحرورية، لكني أسأل. قالت: (كان يصيبنا ذلك فتؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة)[1].

٤ ـ لا تدخل المسجد للمكث أو الطواف ـ في حق المسجد الحرام خاصة ـ أو المرور، عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «وجّهوا هذه البيوت عن المسجد، فإني لا أحل المسجد لحائض ولا جنب»[2] قال مجاهد: «لا يمر الجنب ولا الحائض في المسجد إنما نزلت ﴿ولا جُنُباً إلّا عابِري سَبيلٍ﴾ للمسافر يتيمَّم ويصلِّي»[3].

لا تقرأ الحائض شيئاً من القرآن الكريم، ولا تمس المصحف؛ إلّا ما كان من القراءة بقصد الدعاء فيباح لها ذلك، مثل التسمية أول الطعام والشراب، والحمد آخرهما. ويباح لها قراءة أيّ كتاب أو مسّه سوى القرآن الكريم، وكل ذكر لله تعالى ومنه الصلاة على رسول الله ﷺ، والاستغفار وسائر التسبيحات.

٦ ـ لا يحل للزوج إتيان زوجته أثناء الحيض لما في ذلك من الأذى لها غالباً، وبه أحياناً. قال الله تعالى: ﴿ويسألونَكَ عن المحيضِ. قُل هو أذى، فاعتزلوا النساء في المحيضِ، ولا تقربوهُنَّ حتى يَطْهُرنَ﴾[4].

(١) رواه السنة. والحرورية: طائفة من الخوارج.
(٢) رواه أبو داود، وصححه ابن حبان وابن خزيمة. انظر «نيل الأوطار»: ١/٢٢٩.
(٣) رواه عبد بن حُمَيد.
(٤) الآية ٢٢٢ من سورة البقرة.

ويحلُّ له الاستمتاع منها بما دون الركبة وفوق السرّة. سأل رجل رسول الله ﷺ قائلاً: ما يحل لي من امرأتي وهي حائض قال: «ما فوق الإزار»[1]. وقالت عائشة: (كان ﷺ يأمر إحدانا إذا كانت حائضاً أن تتّزر ثم يضاجعها)[2].

٧ ـ لا عبرة بانقطاع دم الحيض ولو أياماً بين ابتدائه وانتهائه، لذا يعدّ جميع ذلك موعداً للحيض لا تصلّي فيه ولا يقربها زوجها.

٨ ـ تبقى المرأة حائضاً أثناء الأيام العشرة ما دامت ترى الدم، سواء كان دماً أسود أو أصفر أو أكدر، حتى ترى البياض على القَصّة التي تضعها على موضع عفافها للاختبار بيضاء لا أثر عليها للون[3].

٩ ـ إذا طَهُرت المرأة من الحيض لأقصى مدته وهي عشرة أيام نُدب لها أن تغتسل قبل أن يقربها زوجها، وإذا طَهُرت لأقل من ذلك وجب عليها أن تغتسل قبل أن يقربها زوجها أو يمضي عليها وقت الصلاة.

والحكمة في ذلك: أنها في الحالة الأولى قطعت بطهارتها من الحيض وليس كذلك في الحالة الثانية. قال الله تعالى: ﴿ ويسْألونَكَ عنِ المحيض.قلْ هو أذىً فاعتزلوا النساءَ في المحيض ولا تقربوهُنَّ حتى يَطْهُرْنَ.. ﴾ وفي قراءة متواترة ﴿ حتى يَطَّهرْنَ ﴾ يعني يغتسلن.

(١) رواه أحمد وأبو داود وغيرهما.

(٢) رواه أبو داود.

(٣) وقيل القَصّة البيضاء: بياض يمتد كالخيط، أو ماء أبيض يدفعه الرحم عند انقطاع الحيض.

١٠ ـ يحرم على الزوج إتيان زوجته في دبرها، كما يحرم ذلك بين الذكور لوجود الأذى والانتكاس عن الفطرة، ومداخلة النجاسة والقذر، قال رسول الله ﷺ: «من أتى امرأة في دبرها لم ينظر الله تعالى إليه يوم القيامة»[1].

ووردت أحاديث صحاح وحسان عن اثني عشر صحابياً بمتون مختلفة جميعها تحرِّم إتيان المرأة في دبرها، وما نسب من إباحة ذلك إلى ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كذب عليه، بل هو القائل «. . . وهل يفعل ذلك أحد من المسلمين» رواه الدارمي، وما نسب من إباحة ذلك إلى الإمام مالك رحمه الله تعالى كذب عليه وزور. انظر القرطبي /٣: ٩٥/، والترغيب والترهيب/٣: ٢٨/.

روى الشافعي بسنده إلى خزيمة بن ثابت أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن إتيان النساء في أدبارهن أو إتيان الرجل امرأته في دبرها فقال النبي ﷺ: «حلال». فلما ولّى الرجل دعاه أو أمر به فَدُعي فقال: «كيف قلت؟ في أيِّ الخَرْقَيْن أو في أيِّ الخَرْزَتَيْن أو في أيِّ الخَصَفَتَيْن. أم من دُبرها في قبلها فنعم أم من دبرها في دبرها فلا. والله فإن الله لا يستحيي من الحق لا تأتوا النساء في أدبارهن». ثم قال الشافعي رحمه الله تعالى: فلست أرخّص فيه بل أنهى عنه.
مسند الشافعي ص ٢٧٥

ثانياً ـ النِّفاس:

النِّفاس هو الدم الخارج من الرَّحم عقيب الولادة أو خروج أكثر الولد.

---

(١) أبو داود الطيالسي وأحمد والترمذي والنَّسائي، وهو حديث صحيح.

● لا حدَّ لأقل النفاس فقد يكون ساعة واحدة، وذلك بأن ترى المرأة الوالدة الدم بعد الولادة إلى ساعة ثم ينقطع، وأكثره أربعون يوماً، قالت أم سَلَمة رضي الله تعالى عنها: (وقّت رسول الله ﷺ للنفساء أربعين يوماً)(١).

● الأصل في تقدير مدّة النِّفاس عادة المرأة في رؤية الدم بعد الولادة مهما بلغت حتى تبلغ أربعين يوماً ولا تزيد، فإذا رأت بعد الأربعين يوماً كان الزائد استحاضة.

● أحكام النفاس كأحكام الحيض فيما ذكر من ترك الصلاة والصوم أثناءه وعدم دخول المسجد وعدم قراءة القرآن وعدم قربان زوجها لها.

والدليل على اعتبار أحكام النفاس أحكام الحيض فيما ذكر هو الإجماع، والإجماع حجة وأي حجة.

ثالثاً ـ الاستحاضة:

دم يخرج من أنسجة رقيقة وهي العروق في قُبُل المرأة، وقد سمّاه رسول الله ﷺ عرقاً، ويسميه الطب نزيفاً، وهو على هذا دم مرض عارض، وليس نظاماً شهرياً كالحيض، أو قاعدة بعد الولادة كالنفاس.

● الاستحاضة تكون ما دون ثلاثة أيام في الحيض وفوق العشرة منه، وفوق الأربعين يوماً في النفاس على مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى.

---

(١) رواه أبو داود والترمذي، وزاد أبو داود في لفظ: (لا يأمرها النبي ﷺ بقضاء صلاة النفاس).

● والاستحاضة دم مرض مثله كمثل الرُّعاف لا يمنع المرأة من الصلاة والصيام، ودخول المسجد، وقراءة القرآن ومسّ المصحف، ولا يمنع قربان زوجها لها أثناء الاستحاضة.

● المستحاضة معذورة، وشأن المعذور أنه يتوضأ لوقت كل صلاة من الصلوات الخمس، ثم يصلّي في الوقت ما شاء من الفرائض والنوافل.

ح - ومن تلك الفروق الدينية: جعل شهادتها على النصف من شهادة الرجل أمام القضاء:

جعل الإسلام نصاب الشهادة التي تثبت الحقوق لأصحابها شهادة رجلين عَدْلَين، أو رجل وامرأتين.

قال الله تعالى: ﴿ . . واستشهدوا شهيدَين من رجالكم فإنْ لم يكونا رجلَين فرجلٌ وامرأتان ممن تَرْضَوْنَ من الشهداء أنْ تضلَّ إحداهما فتذكِّرَ إحداهما الأُخرى ﴾[1].

والحكمة في ذلك ظاهرة: فإن وظيفة المرأة الأولى القرار في البيت، والقيام على تربية الأولاد، وإعداد البيت السعيد للزوج المجتهد، يجد فيه أنسه وراحته بين زوجه وأولاده، وذلك يقتضيها عدم مخالطة الرجال، وعدم حضور العقود المالية بينهم غالباً.

وإذا حضرت شيئاً من ذلك فإنَّ قلة ممارستها لذلك قد يفقدها الاستيعاب الكامل لجوانب الموضوع، وبالتالي قد تنقص شيئاً من الحق فيما تشهد به، فكان لا بد من إضافة امرأة مثلها إليها

---

(١) الآية ٢٨٢ من سورة البقرة.

لاستدراك ذلك النقص أو توهمه. قال تعالى: ﴿ أنْ تَضِلَّ إحداهُما فتذكِّرَ إحداهما الأخرى.. ﴾ والحقوق لا بد من التثبت فيها والتحقيق.

فالعلَّة مذكورة في القرآن الكريم، وليس بعد تعليل الله تعالى تعليل أو مجال لقال وقيل.

إننا لنرى الفرق الواسع في فهم اثنين يحضران درساً في المنطق، أحدهما يمارس هذا العلم سماعاً ودراسة، وآخر ما قرأ فيه كتاباً ولا سمع فيه درساً.

إن للمارسة والمخالطة أثراً واضحاً في التثبُّت من الأمر وتحققه. أمَّا ما يتعلق بأمور المرأة فشهادة المرأة فيه مقبولة، بل شهادتها وحدها كافية حيث لا تقبل شهادة الرجل وحده.

قال عقبة بن الحارث: تزوجت امرأة، فجاءَتني امرأة سوداء فقالت: أرضعتكما، فأتيت النبي ﷺ فقلت: تزوجت فلانة بنت فلان فجاءتنا امرأة سوداء فقالت لي: أرضعتكما، وهي كاذبة، فأعرض، فأتيتُ من قبل وجهه فقلت: إنها كاذبة، قال: «كيف وقد زعمت أنها أرضعتكما!» ففارقها عقبة ونكحت زوجاً غيره[1].

وما يقال في الإرضاع يقال في إثبات الولادة للحامل، تقبل فيه شهادة القابلة وحدها، حيث لا تقبل شهادة الرجل وحده، وفي انتهاء العدة بالحيض يقبل فيه قول المرأة وحدها.

جاء في حاشية ابن عابدين في نصاب الشهادة قوله:

---

(١) رواه البخاري.

«والبكارة، وعيوب النساء، وما لا يطلع عليه الرجال: امرأة واحدة حرة مسلمة والثنتان أحوط»[1].

* * *

إذن فليس حقاً ما يزعمه زاعمون ـ جهلاً أو عدواناً ـ أن الإسلام جعل المرأة نصف الرجل، فقد تقرر مساواة الإسلام المرأة والرجل في الإنسانية والكرامة والتكليف والمسؤولية وما إلى ذلك.

ثم تقوم بعد ذلك معاول الهدم تريد هدم إسلام المسلمين، وتزعم أنها أحرص على كرامة المرأة من خالقها.. والعجب أن جهالاً وجاهلات يظنون في تلك المزاعم شيئاً من الحق، نعوذ بالله من الخذلان! ألا فليعلم من يريد أن يعلم أن انتقاص القرآن الكريم في آية، وانتقاص الإسلام في حكم رفض للإسلام وخروج عنه ـ معاذ الله ـ.

فليتق الله امرؤ يتحقق أنه واقف في يوم قريب بين يدي الله تعالى، فريداً قد تخلى عنه سادته وأقرانه..!.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلّى، فمرّ على النساء فقال: «يا معشر النساء تَصَدَّقْنَ وأكثرن الاستغفار، فإني أُرِيتُكُنَّ أكثر أهل النار»، فقلن: وبم يا رسول الله؟ قال: «تكثرن اللعن، وتكفرن العشيرة، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للبِّ الرجل الحازم من إحداكن» قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: «أليس شهادة المرأة نصف شهادة الرجل؟ قلن: بلى، قال: «فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصلِّ

(١) رد المحتار على الدر المختار /٤: ٥١٤/.

ولم تَصُمْ؟» قلن: بلى، قال: «فذلك من نقصان دينها»[1].

دل الحديث على أن نقص المرأة نقص فيما لا تحسنه ممَّا لا يتصل بحياتها التي تقتضي عدم مخالطة الرجل، ونقص في العبادة لما قدَّر الله تعالى لها في الأزل أن تحيض وتَنْفُس، فتُمنع من الصلاة والصيام أثناءهما.

ولو كان الأمر نقصاً في حقيقة الدين ونور اليقين ـ وليس ـ لكان المريض والمسافر من الرجال يتركان الصيام ناقصَيْن في الدين. وكان الفقير يعجز عن الزكاة، والمريض يعجز عن الجهاد كل منهما ناقص الدين. ولم يقل بذلك أحد من المسلمين[2].

ط ـ ومن تلك الفروق الدينية جعل ميراث المرأة أقلّ من ميراث الرجل:

على حين لم يكن اليونان القدامى والرومان والهنود يورِّثون المرأة المال من آبائهن، وكذلك كان شأن العرب قبل الإسلام، بل هو شأن اليهود أنهم لا يورثون البنت من مال أبيها إذا كان لها إخوة ذكور ـ جاء الإسلام يقرر للمرأة نصيباً مفروضاً من الميراث لا يصح الانحراف عنه. قال الله تعالى: ﴿ للرجال نصيبٌ ممَّا ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيبٌ مما ترك الوالدان والأقربون ممَّا قَلَّ منه أو كثُر نصيباً مفروضاً ﴾[3].

(١) رواه البخاري، باب ترك الحائض الصوم وغيره: العيني ٢٧٢/٣، ومسلم والنسائي وابن ماجه.

(٢) انظر «المرأة في الإسلام» للشيخ كمال أحمد عون ـ أحد علماء الأزهر الشريف.

(٣) الآية ٧ من سورة النساء.

وهذا النصيب يختلف في أحكام الإرث بين حالات:

١ ـ بين أن يكون نصيبها مثل نصيب الذكر كما في الأخوات لأم، فإن الواحدة منهن إذا انفردت تأخذ سدس الميراث كما يأخذها الأخ لأم كذلك إذا انفرد، وإذا كانوا ذكوراً وإناثاً اثنين فأكثر فإنهم يشتركون جميعاً في الثلث، للذكر مثل حظ الأنثى. قال الله تعالى: ﴿ وإنْ كان رجلٌ يُورَثُ كلالةً أو امرأةٌ وله أخٌ أو أختٌ فلكل واحد منهما السُّدُسُ فإنْ كانوا أكثَر من ذلك فهم شركاء في الثلث.. ﴾[1].

٢ ـ وبين أن يكون نصيبها مثله أو أقلّ منه كما في الأم مع الأب إذا مات ولدهما، فإن ترك الولد أولاداً ذكوراً وإناثاً أو ذكوراً ولو واحداً فللأب السدس وللأم كذلك، وإذا ترك بنتاً أو بنتين فأكثر فللأم السدس وللأب السدس فرضاً وما يبقى تعصيباً.

وإن ترك الولد أبوين ولم يترك أولاداً فللأم الثلث وللأب الثلثان، قال الله تعالى: ﴿ ولأبويهِ لكلِّ واحدٍ منهما السُّدُسُ مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبـواه فلأمـه الثلث.. ﴾[2].

٣ ـ وبين أن تأخذ نصف ما يأخذه الذكر، وهذا هو الأعم الأغلب كما إذا مات رجل وترك ابناً وبنتاً مثلاً، فللذكر مثل حظَّي أخته الأنثى. قال الله تعالى: ﴿يُوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين.. ﴾[3].

---

(١) الآية ١٢ من سورة النساء.
(٢) الآية ١١ من سورة النساء.
(٣) الآية ١١ من سورة النساء.

والحكمة في ذلك ظاهرة.

فإن الرجل مكلف بأعباء وواجبات مالية لا تُلزم بمثلها المرأة، إنَّ الرجل هو الذي يدفع المهر، ويهيىء بيت الزوجية، وينفق على زوجته وأولاده.

أما المرأة فلا تكلّف بشيء من ذلك شرعاً.

قال الشيخ الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله تعالى، بعد أن ذكر طرفاً من الفروق بين الرجل والمرأة:

والخلاصة: إن الإسلام بعد أن أعلن موقفه الصريح من إنسانية المرأة وأهليتها وكرامتها، نظر إلى طبيعتها وما تصلح له من أعمال الحياة، فأبعدها عن كل ما يناقض تلك الطبيعة أو يحول دون أداء رسالتها كاملة في المجتمع. ولهذا خصَّها ببعض الأحكام عن الرجل زيادة أو نقصاناً، كما أسقط عنها ـ لذات الغرض ـ بعض الواجبات الدينية والاجتماعية كصلاة الجمعة، ووجوب الإحرام في الحج ـ في غير الوجه واليدين ـ والجهاد في غير أوقات النفير العام، وغير ذلك، وليس في هذا ما يتنافى مع مبدأ مساواتها بالرجل في الإنسانية والأهلية والكرامة الاجتماعية، ولا تزال الشرائع والقوانين في كل عصر وفي كل أمة تخص بعض الناس ببعض الأحكام، لمصلحة يقتضيها ذلك التخصيص، دون أن يفهم منه أي مساس بمبدأ المساواة بين المواطنين في الأهلية والكرامة. اهـ[1].

(١) انظر كتاب «المرأة بين الفقه والقانون» للدكتور مصطفى السباعي رحمه الله.

مسألة:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لعن الله الواصلة والمستوصلة». الحديث رواه البخاري ومسلم. وصل شعر الرأس بشعر مثله حرام لا ريب فيه، قال قوم: لا يجوز الوصل مطلقاً، أي سواء كان بصوف أو غيره، أما وصل الشعر بمثله من شعر المرأة أو شعر غيرها فحرام من باب أولى. وقال آخرون: لا بأس عليها في وصلها شعرها بما وصلت به من صوف أو خرقة، أو غير ذلك، روي ذلك عن ابن عباس وأم سلمة وعائشة رضي الله تعالى عنهم.

والباروكة المعروفة اليوم: ليس فيها وصل شعر ولا صوف أو خرقة فلا يشملها ما سبق ذكره من الحكم، وهو الحرمة. بقي أن ينظر، ويقال: إن كانت الباروكة من شعر آدمي أو شعر المرأة نفسها: فذلك حرام، لأن ما أبين من الحي فهو ميت، والشعر: على قول: تحل فيه الحياة. وإلّا فلا.

إلّا أن يُنهى عن الباروكة، لأن اتخاذها تشبه بالكافرات، والتحذير من التشبه بالكافرين عام، بقوله ﷺ: «من تشبَّه بقوم فهو منهم» فيكون النهي لأمر خارج. . وقد يقال: إن في ذلك تدليساً وتزويراً، وذلك مكروه. قال إبراهيم شيخ حمَّاد رحمهما الله تعالى: لا بأس أن تضع المرأة الشعر وغيره على رأسها وَضْعاً ما لم تَصِلْهُ. (عن العيني على البخاري /٢٢: ٦٤/) والله أعلم[1].

(١) انظر أوجز المسالك على موطأ الإمام مالك /١٥: ١١ ـ ١٢/، للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي رحمه الله تعالى، والمغني لابن قدامة /١: ٦٤/.

الفصل الثالث

الحيَاة الزّوجيّة

قال الله تعالى: ﴿ ومِنْ آياتِهِ أنْ خَلَقَ لكم مِنْ أنفسِكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودَّة ورحمةً إنَّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكرون ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿ ومِنْ كلِّ شيءٍ خلقنا زَوجَين لعلَّكم تَذَكَّرون ﴾[2].

لقد خلق الله تعالى الإنسان وفطره على مطالب لن يحيد عنها، وإذا قصد فإنما يوافقه ذلك لفترة محدودة وأسباب خاصة.

ولن يقدر أحد من البشر، ولا أصحاب الدعوات المنحرفة عن الفطرة أن يغيِّروا فطرة الإنسان مهما سَعَوا لذلك وأجلبوا. قال الله تعالى: ﴿ فِطْرةَ اللهِ التي فطرَ الناسَ عليها لا تبديلَ لِخلقِ الله،

---

(١) الآية ٢١ من سورة الروم.

(٢) الآية ٤٩ من سورة الذاريات.

ذلك الدِّين القَيِّم ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يعلمون ﴾[1].

وإنَّ ممَّا فطر الله تعالى عليه الإنسان السعي إلى إقامة الأسرة، يجتمع فيها رجل إلى امرأة، يلبِّيان معاً نداء الغريزة في رغبة أحدهما في الآخر، وفي استئناس أحدهما بالآخر، ومودة أحدهما للآخر، وسكون أحدهما إلى الآخر. والتماس الذرِّية التي يراها كل منهما امتداداً لحياته.

ومهما سعى ساعون إلى زعزعة هذه الفطرة في الإنسان فعبثاً وباطلاً يحاولون.

من قديم زعم بعضهم أن اتصال الرجل بالمرأة في الزواج عمل قذر ووسخ لا يحبه الله تعالى، فأوقعهم ذلك الإعراض عن الفطرة في مستنقعات الشذوذ الجنسي، أو مسارب الدَّجل والكذب والنفاق الاجتماعي.

ومن قديم بعد ذلك دعا داعون إلى إلغاء الأسرة ليحيى الرجال والنساء معاً حياة جنسية مشتركة لا يختص فيها رجل بأنثى، وزعم اليهودي «دركايم» أن حياة الإنسان الأولى هكذا كانت.

وكذب عدو الله، فأبناء آدم عليه السلام الصُلبيين تزوجوا، وأقاموا أسراً كانت تختص كل امرأة برجل.

وكم ظلم ذلك الخبيث نفسه، فهو ما كان يرضى أن يعيش في جهالة بأبيه، ولا كان يرضى أنه يُدعى بين الناس أنه ابن زنى.

---

(١) الآية ٣٠ من سورة الروم.

وإلى مثل ما دعا إليه اليهودي «دركايم» دعا اليهودي الآخر «ماركس».

لكن ذلك الفساد لم يطق تطبيقه حتى «لينين، وستالين، وخروشوف» ومَن بعدهم في روسيا ومستعمراتها ـ وقد جمعوا في أيديهم السلطات ـ فللزواج نظمه وقواعده هناك، وإن كان الدستور الروسي لا يسميه زواجاً، لكن تراضياً على العيش معاً، تهرباً من نداء الفطرة إلى دعوى يهودي خبيث[1].

مزايا الأسرة:

يمكن أن يقال: إن مزايا إقامة الأسرة مزايا طبيعية (نفسية)، واجتماعية، وأخلاقية.

١ ـ المزايا الطبيعية:

١ ـ إن الإنسان مدني بطبعه فهو يشعر الشعور الدائم بالحاجة إلى من يعيش معه، وكلما تقارب هذا الشعور واتحد مع غيره كان أحب إلى هذا الإنسان وأرضى له.

٢ ـ إن الإنسان يحب الخلود والبقاء الدائم ـ وهو يعلم أن ذلك محال في هذه الدار ـ لهذا فهو يطلب الأولاد يعيش فيهم بعد موته، باسمه وآرائه.

٣ ـ للإنسان غريزة لا مفرَّ له من الاستجابة لها في سرور وراحة وطمأنينة، رجلًا كان هذا الإنسان أو امرأة.

(١) من يقول إن الدستور الروسي لا يعترف بالزواج فهو صادق، لأنه يسمي الزواج علاقة تعايش، وينظمه وينظم الطلاق ويلحق الأولاد بالزوجين.. وغداً يعترف بالإرث كما اعترف بالربا والملكية الخاصة لبيت وأكثر.

٤ ـ يريد الإنسان بشعور وبغير شعور، أن يعمِّر هذا الكون الذي يحيى فيه، وهو يعلم يقيناً أن مظهر هذا الشعور تحمُّل جزء من المسؤولية في عِمارة هذا الكون، ولن يُعَمَّر الكون بأولاد الزنى، فما يعرف عن الزناة أنهم يتعرفون على آثارهم الزنويَّة، بل يعملون على طمسها والقضاء عليها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

ولقد حدثنا التاريخ عن «اللورد بيرون» الشاعر الإنكليزي ـ الذي ذهب إلى اليونان ليشارك في الحروب الصليبية ضد المسلمين ـ أنه كان يزني بأخته، فلما وضعت منه سفاحاً تعاونا على قتل أثر الجريمة.

٥ ـ يريد الإنسان بشعور وبغير شعور، أن يكون مسؤولاً عن آخرين تبعاً لما جعل الله تعالى فيه من فطرة تكوين الأسرة، حيث نجد القائم على الأسرة يُقبل برضى ورغبة على تحمل مسؤوليته عن أفراد الأسرة، ذلك كله جميعاً لا يقوم حقاً إلاّ على أساس الأسرة.

٦ ـ ومن مزايا الأسرة أن أعداء الإيمان وأعداء الأخلاق، والوالغين في جرائم الزنى يميناً ويساراً؛ لا يلبثون حتى يميلوا إلى الزواج فيتزوجون، وهكذا يريهم الله تعالى آية الفِطْرة في نفوسهم، فيكذبهم بين البشر بسلوكهم وحياتهم.

٢ ـ المزايا الاجتماعية:

١ ـ الإنسان فقير إلى غيره لا يستقل بنفسه بتحقيق جميع حاجاته؛ فأحرِ بالأسرة مظهراً لإكمال عناصرها حاجات بعضهم لبعض.

٢ ـ الإنسان فقير إلى مثله لا يستقل بنفسه بتلبية جميع مطالبه؛ فأحْرِ بأفراد الأسرة مظهراً لإكمال عناصرها مطالبَ بعضهم لبعض.

٣ ـ يحذر الإنسان محاذير ويخشى عواقب، ولا يستقل بنفسه بدفع ذلك كله، فأحرِ بالأقارب مظهراً لإكمال عناصرها هذا التوقّي من المحذور بمظاهرة بعضهم بعضاً.

٤ ـ يسعى الإنسان إلى آمال كبار ومطالب لا يستقل بنفسه بتحقيق جميع ذلك، فأحرِ بالأسرة مظهراً من مظاهر التعاون في تحقيق المطالب الكبيرة. ولم يزل الارتباط الأسري والارتباط القبلي من أقوى مظاهر الارتباط بين الناس والتعاون بينهم لجلب المصالح ودفع المضار وبلوغ الآمال الكبار.

لا يتخلف هذا الأمر ـ والله أعلم ـ إلاّ عند الارتباط بعقيدة الإسلام، التي تجعل صاحبها مستسلماً حقاً لله تعالى، لا يرى الارتباط إلاّ بعبودية الله؛ فلا يرى غضاضة أن يقاتل أباه الكافر إذا عرض له أبوه فيقتله، ولا أن يريد قتل ولده، ويجهز على أخيه، ويفتك بخاله إذا حاربوه في عقيدته.

فتلك العقيدة تجعله ابن الإسلام وكفى[1].

٣ ـ المزايا الأخلاقية:

١ ـ الاستجابة لحضّ الإسلام على الزواج ـ وهو الطريق الوحيد لتكوين الأسرة ـ قال ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغضُّ للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإن له وجاء»[2].

---

(١) ثم ضمن رباط العقيدة يقوى الارتباط الأسري والقبلي والاجتماعي ويتحقق التعاون المرجو على البر والتقوى.

(٢) رواه البخاري.

٢ ـ العمل على تهذيب النفس بغضّ البصر وحفظ العرض، فمن كان له زوجة فأحر به أن يقنع بها ولا يتبع الشيطان في وساوسه. قال الله تعالى: ﴿ قُلْ للمؤمنينَ يَغُضّوا مِنْ أبصارهم ويحْفظوا فروجَهم.. وقُلْ للمؤمناتِ يَغْضُضْنَ من أبصارهنَّ ويحفظنَ فروجهنَّ.. ﴾[1].

٣ ـ التعاون على مرضاة الله تعالى بين الزوجين، كما يأتي الكلام عليه قريباً بإذن الله تعالى.

٤ ـ التعاون على إنشاء جيل مؤمن بالله تعالى يعيش حياته على العبودية لله سبحانه.

٥ ـ العمل الدائب على هداية البشرية إلى طريق الحق والسعادة في الدنيا والآخرة.

٦ ـ إقرار عين رسول الله ﷺ بالمسلمين يوم القيامة، قال ﷺ: «تزوَّجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم»[2].

أسس بناء الأسرة:

الأسرة هي العلاقة الدينية الاجتماعية بين الرجل والمرأة ضمن شروط معينة.

فما هي أسس بناء الأسرة؟

هي عديدة أجملها في الخطوط الكبرى التالية:

(١) الآيتان ٣٠ ـ ٣١ من سورة النور.

(٢) رواه أبو داود والنسائي.

١ ـ الاختيار على أساس الدين والخلق الكريم:

شأن المسلم أن يعيش في الدنيا للآخرة دون أن ينسى نصيبه من الدنيا، وقد ينسى المسلم هذا المعنى في بعض الحالات، من المباح والحظور، فيقع تبعاً لذلك في تفاهات ومحرَّمات.

أ ـ فقد يختار المسلم الزوجة على أساس المال الكثير والخير الوفير في محل تجاري كبير، في عمارة ذات طوابق، في ترف ظاهري، فتخيَّل له نفسه زوجة تنفق عليه ولا ينفق عليها، وأب زوجة يقدِّم له بيتاً ويقدِّم له مالاً.. وينسى أن الغني قد يكون بخيلاً على نفسه فضلاً عن سواه، وينسى مهانة رجولته حين تنفق عليه زوجته، ويغفل عمَّا في فطرته من أن يكون هو الرجل المسؤول عن أسرته.

ومن يدريه أن غنى الزوجة قد يبطرها عليه، ويجعل الآمر مأموراً، والقوّام على الأسرة خادماً.

وبئست الحياة الزوجية التي تنعكس فيها الأصول وتنقلب فيها الأمور.

ب ـ وقد يختار المسلم الزوجة ـ على أساس الحسب والاعتبار في المجتمع ـ من أسرة شريفة عريقة في العلم وفعل الخيرات، وقوّة في السياسة، وإدارة أمور الناس، فتخيَّل له نفسه الشرف الرفيع الذي سيدركه، والمكانة الاجتماعية التي سوف يتبوأها بين الناس؛ هكذا بمجرد أنه ناسب أسرة كذا وكذا.

وينسى أن الأسرة ذات النسب والشرف ليست كذلك في سائر أفرادها، أرأيت نوحاً عليه السلام ذا العزم من الرسل كان ابنه

وزوجته من الكفار؛ وأي شرف مع الكفر والإلحاد..؟!

أرأيت الملك إسماعيل ـ ملك الشام ـ مع قرابته لصلاح الدين ـ مع ما له من الأصل، يتفق مع الصليبيين؟! فيأذن لهم في دخول دمشق ليشتروا منها السلاح الذي يقاتلون به إخوانه من المسلمين؟!.

بل وينسى أن العظام ليست هي الحسب، إنما هي الأعمال وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول لعشيرته ـ وهي أشرف عشيرة في الدنيا على عُمْر الدنيا ـ: «لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأحسابكم»[1].

وأجْمِلْ بقول القديم في بعضهم:

لئن فخرتَ بآباءٍ ذوي شرف
لقد صدقتَ ولكنْ بئسَ ما خلَفوا

ج ـ وقد يختار المسلم الزوجة على أساس جمال الوجه ونضارته، وحسن الجسم وكماله، فتخيل له نفسه أن الجمال لذّة كل ساعة وسرور كل لحظة، حتى ليرى أن السعادة تدوم له به ما دام في الحياة.

وينسى أن الجمال تزول لذته بالعادة، ويذهب رواء الجسم على الأيام، بل إن جمال المرأة مع سوء الخلق قد يكون بلاء وفتنة.

وكم من جميلة ما صبر عليها كرام الناس، وكم من حسناء جعلت عرضها في الرَّغام.

(١) انظر جامع العلوم والحِكَم للحافظ ابن رجب في شرح حديث: «ومن بطأ به عمله..».

د ـ وقد يختار المسلم زوجته على أساس من الدين القويم والخلق الكريم، فهو يؤمن في نفسه أن جمال الدين نَضِرٌ في كل لحظة، وأن كمال الخلق سعادة في النفس والأسرة، فإن المؤمنة ـ ولو كانت جميلة غنية ذات شرف مرموق ـ تقوم دائماً على برّ زوجها، ورعايته في قلبه وشعوره وماله وولده وعرضه.

هذا الاختيار جدير أن يُحض عليه المسلم ويُغرى به ويُرغَّب فيه، من الحريص بالمؤمنين والرؤوف الرحيم بهم ﷺ.

قال ﷺ: «تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفَر بذات الدين تَرِبَتْ يداك»[1].

وقال: «من تزوّج امرأة لعزِّها لم يزده الله إلاّ ذلاًّ، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلاّ فقراً، ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلاّ دناءة، ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلاّ أن يغض بصره ويحصن فرجه ويَصِلَ رَحِمَه؛ بارك الله له فيها وبارك لها فيه»[2].

وقال: «لا تَزَوَّجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديَهن، ولا تَـزَوَّجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تُطغيَهن، ولكن تَزَوَّجوهن على الدين، ولأمة خرماء ـ مثقوبة الأذن ـ سوداء ذات دين أفضل»[3].

إن المرأة المختارة على أساس الدين أولاً وبالذات هي الكنز،

---

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه الطبراني في الأوسط.
(٣) رواه ابن ماجه.

بل هي خير ما يكنزه المرء. كما قال ﷺ لعمر رضي الله تعالى عنه.

والله تعالى يقول: ﴿ فالصالحاتُ قانتاتٌ حافظاتٌ للغيبِ بما حَفِظَ الله ﴾[1]. إن الزوجة الصالحة عابدة تعين زوجها على العبادة، وتطبِّق أحكامَ الإسلام على الأسرة، وهي أمينة تحفظ عليه ماله وسرَّه، ولا تُدخل على نسبه من ليس منه، ولا تَرزأه في مال أو متاع.

فالدين القويم والخلق الكريم هو الأساس الأول في بناء الأسرة.

ثم نلاحظ

٢ ـ الكفاءة:

والمقصود بها تقارب الوسط الاجتماعي: من دين، وخلق، ومكانة، ومال، بين الزوجين، وذلك عون على التآلف والتعاون بين الرجل وزوجته، وما عسى أن يقول المسلم في شأن زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها وقد زوَّجها رسول الله ﷺ من زيد بن حارثة رضي الله عنه بأمر الله تعالى؟ ومع ذلك فإن شعور زينب أنها الحسيبة الكريمة بنت عمة رسول الله ﷺ، ثم تكون زوجة لرجل جرى عليه الرق ظلماً وعدواناً، هذا الشعور بالتمايز حال بينها وبين التآلف والتعاون مع زوجها زيد.. فكان أن طلَّق زيد زينب رضي الله تعالى عنها[2].

---

(١) الآية ٣٤ من سورة النساء.

(٢) والله أعلم. قال رسول الله ﷺ: «تخيَّروا لنطفكم فانكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم» رواه ابن ماجه والحاكم والبيهقي، وهو صحيح.

وكم في هذه الحياة نماذج لانعدام التآلف تبعاً لاختلاف الوسط الاجتماعي، وإن تكن في هذه الحياة نماذج أيضاً في أسر تجاوزت تلك الاعتبارات على قوة الدين وعظم اليقين، لكنها أمثلة يعيشها قلّة من الناس.

ثم نلاحظ

٣ ـ الألفة النفسية:

والمقصود بها استرواح قلوب الزوجين أحدهما إلى الآخر، لذا سنَّ الإسلام فيمن يريد الزواج بامرأة معينة ـ وقد سبق إلى علمه ما يرغِّبه فيها ـ أن ينظر إليها في مثل حجاب الصلاة بمحضر مَحْرَم من أهلها، فإنَّ الأرواح قد تأتلف على نظرة وقد تختلف على نظرة.

قال ﷺ: «الأرواح جنود مُجَنَّدة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»(١).

قال جابر رضي الله تعالى عنه: (قال رسول الله ﷺ: «إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر منها إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل» قال رضي الله عنه: فخطبت جارية فكنت أتخبأ لها حتى رأيت منها ما دعاني إلى نكاحها فتزوجتها)(٢).

وقال ﷺ للمغيرة بن شعبة ـ وقد خطب امرأة ـ: «انظر إليها، فإنه أحرَى أن يُؤدَمَ بينكما»(٣) أي يُوَفَّق.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أبو داود وأحمد.

(٣) رواه الترمذي والنسائي.

وإذا نظر الرجل الخاطب إلى المخطوبة فإنما ينظر إلى الوجه والكفين دون الشعر وغيره، فالوجه يعرف به الجمال أو ضدّه، والكفّان تعرف بهما خصوبة البدن أو ضدها، والنظر إلى ما وراء ذلك محظور لأنه أمر فوق الحاجة فيبقى على أصل الحظر.

ولا يخدعنَّك ظاهر أمر جابر رضي الله تعالى عنه أنه تخبأ لمخطوبته حتى رآها؛ أنَّه قد رأى منها غير الوجه، فإن المرأة المسلمة قديماً - كالفلاحة اليوم ولو كانت غير تقيّة - كان لا يبدو منها في بيتها إلاَّ وجهها وكفاها، وإن زاد فاليسير من شعرها.

فإذا ائتلف قلبه وسكن إلى مخطوبته وائتلف قلبها وسكن كذلك، فقَدِّر لتلك الأسرة التآلف والتعاون في طريق الحياة الطويلة بإذن الله تعالى.

وإذا لم تكفه النظرة الواحدة والجلسة الواحدة لشدة الحياء في كل منهما أو أحدهما من أجل وجود الوالدين مثلاً، فلا بأس من نظرة أخرى وجلسة أخرى بحضور أخيها مثلاً، ويكون في الجلسة حديث بقصد الفحص والاختبار.

وإذا تمت الخطبة فلا خلوة بين الخطيبين، ولا خروج لهما معاً إلى كذا وكذا، فإن الخطبة كلمة.. ووعد، لا يُبنى عليه حكم شرعي إلاّ مَنْعَ أن يخطب أحد على تلك الخطبة حتى يدع الخاطب أو يأذن.

وما يقوله الآخرون ويفعلونه، من الاختلاء بالمخطوبة والخروج معها إلى كذا وكذا، بل والسفر أحياناً بقصد إتمام التعارف

بين الخطيبين ذلك لا أساس له من الإسلام ولا اعتبار له في الشرع، وما يزعمونه من قصد اختبار الأخلاق قبل الزواج إنما هو نزغة من نزغات الشيطان.

وقد علم كل إنسان أن ليس ثمة مثل الإنسان قادراً على المخاتلة والمخادعة، فإذا كان الرجل راغباً في المرأة ـ لغاية معينة ـ فسيبدي لها ما تحبُّ من الصفات وقد لا تكون له، وإذا كانت المرأة راغبة فيه ـ لغاية معينة كذلك ـ فستبدي ما يحبُّ من الصفات وإن لم تكن لها.

أرأيت أن نسبة الطلاق تتكاثر في المجتمعات المختلطة وفي ميادين تجربة الأخلاق واختبارها، يردف كل مائة عقد زواج ثمانية وأربعون طلاق، والخطب في ازدياد.

وهذه همسة في أذن بنتي المسلمة: إن الخاطب إذا نال منك شيئاً من عرضك أثناء الخطبة لا يحترمك بل ربما أساء بك الظن! إنه قد يقول: ما يدريني إنها قد تستسلم لغيري كما استسلمت لي، وإنها ربما فعلت ذلك من قبل مع غيري.

فلا تظني يا ابنتي فيه أنك تحفظين الخاطب بالاستسلام له ومعصية الله تعالى. ولكن بحفظ نفسك منه وطاعة الله تعالى قد تحفظين الخاطب أكثر.

ثم نلاحظ

٤ ـ النزعة الفطرية:

والمقصود بها أن تكون المرأة ولوداً، يعرف ذلك من أخواتها وأقاربها من جهة أبويها.

وذلك لأن الرجل يريد من الزواج قضاء شهوته في راحة وحلال حقاً؛ لكنه يريد بأكثر ـ وعلى المستقبل خاصة ـ أن يرزقه الله تعالى الولد. وكم وكم من زيجات سعيدة توافر فيها التآلف والتعاون واسترواح النفوس ومكارم الأخلاق؛ نقضتها عقم المرأة أو الرجل.

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني أحب امرأة ذات حَسَب ومنصب، إلاّ أنها لا تلد أفأتزوجها؟ فنهاه، ثم أتاه الثانية فقال له مثل ذلك فنهاه، ثم أتاه الثالثة فقال له مثل ذلك، فقال له ﷺ: «تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم»[1].

وأنت أيها الأب أو الولي لاحظ في خاطب ابنتك أو وليتك ما يلاحظه الخاطب من الدين والخلق واسترواح القلب والألفة، ودعني أحدِّثك بحديث ثابت بن قيس، وكان مسلماً صالحاً لكنه كان أسود دميماً، فلم تطق زوجته الحياة معه.

جاءت زوجته إلى رسول الله ﷺ تقول له: إن ثابت بن قيس لا أعتب عليه في خُلُق ولا دين، ولكني أكره الكفر في الإسلام، فقال ﷺ: «أتردِّين عليه حديقته» ـ أي ما كان أمهرها وهو حديقة ـ فقالت: نعم. فأرسل رسول الله ﷺ فقال له: «طَلِّقْهَا[2] طَلْقَةً» فطلَّقها[3].

---

(١) رواه أبو داود والنسائي والحاكم.
(٢) آمراً له أمر إرشاد.
(٣) رواه البخاري.

وأهمس كذلك في أذنيكما أيها الخاطبان:

لا تتوهما أن الأسرة تقوم على الحب ابتداء، وأن رؤية أحدكما للآخر فرض لازم.

لا تستمعا إلى أقوال الفَسَقَة ودعاة الباطل: كيف أخلو إلى امرأة لا أعرفها وإنما كانت نظرة نظرتها إليها، أو كانت نظرة من الوالدة والأخت ولم أرها قط؟!.

فكم من الأسر هكذا بدأت دون رؤية سابقة، فغمرتها على الأيام أسباب السعادة، وكم من الأسر قامت على الحب ثم انحسرت على الواقع فإذا هي.. لا شيء بل نفور وفراق.

قال مهدي جواهري: غياب الحب ليس معناه الانصراف عن الزواج، وذلك لأن الحب سهل التولد إذا توافرت فيه النية، فنحن إذا مزجنا المعاشرة والتآلف مع الودِّ والتسامح، مع الرغبة والتعاون، مع الهدف المشترك والغاية المشتركة - إذا مزجنا هذه العناصر جميعاً حصلنا على أقوى أنواع الحب إطلاقاً في الحياة الدنيا. وهذا المزج أيسر في الحياة الزوجية منه في أي لون من ألوان العلاقات[1].

وقال الدكتور الشيخ نور الدين العتر: إن قوام التفاهم بين الزوجين - وهو طريق الحب الصحيح - إنما هو اتفاق الميول والأهداف، وقد أرشدت الأحاديث سابقاً لتحقيق ذلك باختيار صاحب

---

(١) طريقك إلى الثروة والنفوذ الشخصي نقلاً عن «ماذا عن المرأة» للدكتور الشيخ نور الدين العتر.

الدين والظفر بصاحبة الدين، لأن اعتصام الزوجين بأهداب الفضيلة واستمساكهما بعروة الدين سيوحد ميولهما العامة واتجاهاتهما، وسيوحد أهدافهما ورغباتهما، وسيجدان دائماً المرجع الذي يحتكمان إليه ويرتاحان لحلوله.

على هذا الأساس يتم اختبار كل من الزوجين للآخر، ثم على هذا الأساس يشيدان علاقاتهما قبل الزواج وبعده(١).

قال مسكين الدارمي يصف أمانة المُحْصَنَات:

وإنــي امــرؤ لا آلَــفُ الـبـيـتَ قـاعـداً
إلـى جـنـب عُـرْسـي لا أفـارقـهـا شـبـراً
ولا مُـقْـسِـمٌ لا تـبـرحُ الـدهـرَ بـيـتَـهـا
لأجـعـلـه قـبـل الـمـمـات لـهـا قـبـراً
إذا هــي لـم تَـحْـصُـنْ أمـام فِـنـائـهـا
فـلـيـس يـنـجِّـيـهـا بـنـائـي لـهـا قـصـراً
وهـبـنـي امـرءاً راعـيـتُ مـا دمـتُ شـاهـداً
فـكـيـف إذا غـبـتُ عـن بـيـتـهـا شـهـراً

شروط الزواج:

شروط الزواج عديدةٌ يُقتصر منها على ما يلي:

١ ـ إسلام الزوج إذا تزوج من مسلمة. قال الله تعالى: ﴿ ولَنْ يجعلَ الله للكافرينَ على المؤمنينَ سبيلاً ﴾(٢).

فلا يجوز لغير المسلم أن يتزوج مسلمة، لأن ولاية الرجل على

(١) عن كتاب «ماذا عن المرأة» ص ٤٨.
(٢) النساء: ١٤١.

زوجته ولاية ظاهرة، لما يملك عليها من الطاعة، ويملك عليها من القِوَامة.

٢ ـ الإسلام أو أي دين سماوي في الزوجة:

فيجوز للمسلم أن يتزوج كتابيّة غير مسلمة[١] قال الله تعالى: ﴿ والمُحْصَنات من المؤمناتِ والمُحْصَنات من الذين أُوتوا الكتاب من قبلِكم إذا آتيتموهُنَّ أجورهُنَّ.. ﴾[٢].

والحكمة في جواز زواج المسلم بكتابية لا عكسه ـ وهو زواج غير المسلم بالمسلمة ـ هي: أن الرجل المسلم لن يُهين زوجته غير المسلمة في أصلِ دينها، لأن إسلامه يفرض عليه أن يعتقد بقوله تعالى: ﴿ لا نُفَرِّقُ بينَ أحدٍ مِنْ رُسُلِهِ.. ﴾[٣].

أما الزوج غير المسلم فلا يعتقد حَقِيَّة دين زوجته، فقد يهينها في دينها ـ وهو الغالب ـ أو لا يأذن لها بإقامة شعائر دينها ـ وهو الأغلب ـ فيؤدي الأمر بينهما إلى نفار.. وطلاق، أو يؤدي ـ معاذ الله لما له عليها من سلطان وولاية ـ إلى ارتدادها عن دينها وذلك خسار الدارين.

أمر عمر بن الخطاب حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما بتسريح اليهودية التي تزوَّجها في (المدائن) فكتب إليه حذيفة يسأله أحرام هي يا أمير المؤمنين؟ فكتب إليه عمر: لا، بل حلال، ولكن في

---

(١) مع الكراهة لما يخشى عليه من التهاون معها في دينه، وما يخشى على ذريته منها، وفيما نلاحظه على كثير كفاية.

(٢) الآية ٥ من سورة المائدة.

(٣) الآية ٢٨٥ من سورة البقرة.

نساء الأعاجم خِلَابة، فإذا أقبلتم عليهن غلبنكم على نسائكم. فقال حذيفة: الآن ـ يعني اقتنعت ـ فطلّقها. وفي رواية أخرى أن عمر قال له: أخاف أن توافقوا المومسات منهن، وفي رواية ثالثة قال له: أعزم عليـك أن لا تضع كتابي هذا حتى تخلِّي سبيلها فإني أخاف أن يقتديَ بك المسلمون فيختاروا أهل الذمة لجمالهن. وكفى بذلك فتنة لنساء المسلمين[1].

وقال الأديب الإسلامي مصطفى صادق الرافعي، في التحذير من الزواج بغير المسلمات من الأجانب، لأن ذلك:

(١) ـ يسبب بوار امرأة مسلمة وضياع حقها في هذا الزواج، وتلك جريمة وطنية.

(٢) ـ إقحام الأخلاق الأجنبية عن طبائعنا وفضائلنا وهي جريمة أخلاقية.

(٣) ـ التمكين للأجنبي في بيت من بيوتنا، وهي جريمـة سياسية.

(٤) ـ ويجب أن يضاف إلى ذلك: التأثير السيء على الأولاد الذين تربِّيهم تلك الأمهات، بعيداً عن الإسلام، غربـاء عن أحكامه[2].

٣ ـ خلوُّ المحل من مَحْرَم، والمراد به: أن لا يكون ثَمَّة مانع شرعي يمنع من النكاح:

والمُحَرَّمات من النسـاء على نوعين: محرمات على التأبيد، ومحرمات على التوقيت.

(١) تاريخ الطبري /٣: ٥٨٨/.

(٢) وحي القلم له /١: ٢٨٥/ بتصرف.

١ ـ المحرمات على التأبيد:

تنقسم المحرمات على التأبيد إلى أقسام ثلاثة:

الأول: المحرمات على طريق القرابة النسبية وهي سبعة: قال الله تعالى: ﴿ حُرِّمت عليكم أمهاتُكم، وبناتُكم، وأخـواتُكم، وعماتُكم، وخالاتُكم، وبنات الأخ، وبناتُ الأخت. . ﴾[١]

الثاني: المحرمات على طريق الرضاع وهي سبعة أيضاً: قال الله تعـالى: ﴿ . . وأمهـاتُكم الـلاَّتي أرضَعْنَكُم وأخـواتُكم من الرضاعة. . ﴾[٢]. وقال ﷺ «يحرم من الرضاع ما يحـرم من النسب»[٣].

الثالث: المحرمات على طريق المصاهرة (السبب) وهي أربعة: قال الله تعالى: ﴿ وأمهاتُ نسائِكم ورَبائِبكُم اللاَّتي في حُجُوركم مِنْ نسائِكم اللاَّتي دخلتُم بهنَّ، فإنْ لم تكونوا دخلتُم بهنَّ فلا جُنَاحَ عليكم، وحَلائلُ أبنائِكُم الذين مِنْ أصْلابكم. . ﴾[٤] وقال: ﴿ ولا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤكُم مِنَ النساء ﴾[٥].

٢ ـ المحرمات على التوقيت عديدة منها:

أ ـ الجمع بين الأختين في عصمة النكاح، لا نكاحهما على التتابع: بـأن تكون ماتت الزوجة فتزوَّج أختها، أو طلَّقها فتزوَّج

---

(١) الآية ٢٣ من سورة النساء.

(٢) الآية السابقة.

(٣) رواه البخاري وغيره.

(٤) آية النساء السابقة.

(٥) الآية ٢٢ من سورة النساء.

أختها، قال تعالى: ﴿ وأن تجمعوا بين الأختين ﴾[1].

ب ـ زوجة الغير ما دامت في عصمته، سواء في النكاح أو عدّة الطلاق، لأن العدّة من أحكام النكاح. قال الله تعالى: ﴿ والمُحْصَنات من النساء.. ﴾[2].

جـ ـ الزانية حتى تتوب توبة نصوحاً، والمشركة حتى تؤمن، قال تعالى: ﴿ الزَّاني لا يَنْكِحُ إلاَّ زانيةً أو مُشركةً، والزانيةُ لا يَنْكِحُها إلاَّ زانٍ أو مشركٌ وحُرِّمَ ذلكَ على المؤمنينَ ﴾[3]. وقال الله تعالى: ﴿ ولا تَنْكِحوا المشركاتِ حتى يُؤْمِنَّ، وَلأَمَةٌ مؤمنةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْركةٍ ولو أعجبتكم ﴾[4].

د ـ المطلَّقة ثلاثاً: إذا طلَّق الرجل زوجته ثلاث طلقات مفرَّقة أو مجتمعة لم يحل له نكاحها حتى يتزوجها رجل آخر زواجاً عادياً، ويدخل بها ثم يطلِّقها أو يموت عنها، قال الله تعالى: ﴿ .. فإنْ طَلَّقها فلا تحلُّ له مِنْ بَعدُ حتى تَنْكِحَ زوجاً غيرَه ﴾[5].

٤ ـ حضور شاهدين عاقلين بالغين مسلمين، رجلين أو رجل وامرأتين، عدولاً كانوا أو غير عدول، أو محدودَين في قذف. قال الله تعالى: ﴿ واستشهدوا شهيدَين مِنْ رجالِكُم، فإن لم يكونا

---

(١) الآية ٢٣ من سورة النساء.
(٢) الآية ٢٤ من سورة النساء.
(٣) الآية ٣ من سورة النور.
(٤) الآية ٢٢١ من سورة البقرة، والمشركة من لا تؤمن بالإسلام أو بدين سماوي، فعابدة الصنم أو النار أو الطبيعة والملحدة مشركة.
(٥) الآية ٢٣٠ من سورة البقرة.

رجلَين فرجلٌ وامرأتان مِمَّنْ ترضَوْن مِنَ الشهداء . . ﴾[1].

وروي أنه ﷺ قال: «لا نكاح إلاّ بوليّ وشاهدين»[2].

عن مالك عن أبي الزبير المكي أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أُتي بنكاح لم يشهد عليه إلاّ رجل وامرأة، فقال: «هذا نكاح السرِّ ولا أجيزه، ولو تقدَّمتُ فيه لَرَجمت»[3].

٥ ـ وقوع النكاح على التأبيد، فلا يصح النكاح المؤقت، وهو أن يتزوج رجل امرأة بشهادة شاهدَين إلى عشرة أيام، ويشبهه نكاح المتعة الذي أباحه رسول الله ﷺ أياماً في خيبر، وأوطاس، ثم حرمه ﷺ أبداً، وقد أجمعت الصحابة على نسخ المتعة، وصح رجوع ابن عباس رضي الله عنهما عن القول بإباحتها لمَّا وصل إليه الخبر من كلام رسول الله ﷺ[4]. فهي محرَّمة إلى يوم القيامة.

ونكاح المتعة باطل باتفاق المسلمين، ولم يخالف فيه إلاّ طائفة الشيعة الاثنا عشرية التي ذهبت إلى إباحته، وقال الشيخ محمود شلتوت: إن الرأيين ـ يعني رأي المسلمين، ورأي بعض الشيعة ـ لا يمكن أن يوضعا في ميزان واحد فضلاً عن تساوي كفتيهما. وإن الشريعة التي تبيح للمرأة أن تتزوج في السنة الواحدة أحد عشر رجلاً، وتبيح للرجل أن يتزوج في كل يوم ما يمكن من النساء دون تحميله شيئاً من تبعات الزواج، إن شريعة تبيح هذا لا يمكن أن

---

(١) الآية ٢٨٢ من سورة البقرة.

(٢) رواه الدارقطني، وهو حديث حسن.

(٣) مالك في الموطأ.

(٤) انظر نكاح المتعة حرام للشيخ محمد الحامد، رحمه الله تعالى.

تكـون هي شريعـة الله رب العالمين، ولا شـريعة الإحصـان والإعفاف[1].

وكان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يقول بجواز نكاح المتعة، ثم ثبت رجوعه عنه، فانعقد الإجماع على تحريـم ذلك النكاح.

فقد روى محمد بن كعب عن ابن عباس أنه قال: كانت المتعة أول الإسلام، كان الرجل يقدم البلدة ليس له فيها معرفة فيتزوج المرأة بقدر ما يرى أنه يقيم، فتحفظ له متاعه وتصلح له شأنه، حتى نزلت الآية ﴿ إلَّا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: فكل فرج سواهما حرام[2].

٦ ـ الولي لنكاح الصغير أو الصغيرة، أما الكبيرة فَلها أن تزوج نفسها عند الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى، لأنها تتصرف في خالص حقها، وذلك التصرف قد وقع من أهله لكونها عاقلة مميزة، قال تعالى: ﴿ فلا تَعْضُلوهنَّ أن يَنْكِحْنَ أزواجهنَّ إذا تراضَوا بينهم بالمعروف.. ﴾[3].

ولكن يطالب الولي بالتزويج كيلا تنسب إلى الوقاحة.

وللولي الاعتراض عليها إذا أساءت الاختيار، بأن تزوجت غير كفء، أو دون مهر مثلها، لما يلحق أهلها من العَنَت.

وعند مالك والشافعي رحمهما الله تعالى لا تزوج الأنثى نفسها

(١) الفتاوى / ٢٥٠/.
(٢) نيل الأوطار /٦: ٢٦٩/.
(٣) الآية ٢٣٢ من سورة البقرة.

صغيرة كانت أو كبيرة، لقوله ﷺ: «لا نكاح إلاّ بولي»[(١)].

وقد ردَّ الإمام أبو حنيفة هذا الحديث بأنه مضطرب في إسناده في وصله وانقطاعه وإرساله. وهو معارض كذلك بقوله ﷺ: «الأيِّم أحقُّ بنفسها من وليها»[(٢)]. ولكل وجهة. والله أعلم.

٧ ـ المهر وهو يقدّم إلى المرأة هدية وتكرمة، وعقد النكاح يصح وإن لم يسمَّ فيه مهر، لكن بطلانه يظهر لو تزوجها على أن لا مهر لها مثلاً، أو أن مهرها ما لا يتقوم كالخمر والخنزير. وإن سمّى دون عشرة دراهم فلها العشرة لأنه أدنى المهر.

قال الله تعالى: ﴿وآتُوا النساءَ صَدُقاتِهن نِحْلةً﴾[(٣)]، وإذا لم يُسَمَّ مهرٌ اعتبر مهر المثل في أختها وقريبتها.

أركان الزواج:

هما ركنان: **الأول**: الإيجاب والقبول. كما في سائر العقود.

الإيجاب: هو الكلام المتلفَّظ به أولاً من أي جانب كان، من الزوج أو الزوجة.

والقبول: هو الكلام المتلفظ به ثانياً في جوابه من أي جانب صدر كذلك.

الثاني: رضى الطرفين، أي الزوجين.

أما رضى الزوج فظاهر وقلَّ أن يكره على الزواج أو على زوجةٍ معينة.

---

(١) رواه أبو داود والترمذي.

(٢) رواه مسلم وأبو داود والترمذي ومالك. والأيم من لا زوج لها بكراً كانت أو ثيباً.

(٣) الآية ٤ من سورة النساء.

وأما رضى الزوجة فقد جاءت الأحاديث باعتبار رضاها.

فإذا كانت ثيباً فلا بدّ من التصريح برضاها بالخاطب المتقدم إليها كزوج لها، لأنها قد عرفت الزواج فلا تستحيي من الكلام.

وإذا كانت بكراً، فيكفي منها في الموافقة ما يدل على القبول بالخاطب، وذلك مثل سكوتها سكوت رضى لا سكوت غضب، ومثل بكائها بكاء الحزن على الفراق لا بكاء الغضب والنفور.

قال رسول الله ﷺ: «لا تنكح الأيِّم حتى تُستأمر، ولا البكر حتى تستأذن» قالوا: يا رسول الله، كيف إذنها؟ قال: «أن تسكت»[1].

وليس للأب أن يكره ابنته البالغة على الزواج بكراً كانت أو ثيِّباً عند الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى. عن عائشة رضي الله تعالى عنها، أن فتاة دخلت عليها فقالت: إن أبي زوَّجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسته، وأنا كارهة، فقالت: اجلسي حتى يأتي رسول الله ﷺ، فجاء رسول الله ﷺ فأخبرتْه، فأرسل إلى أبيها، فجعل الأمر إليها، فقالت: (يا رسول الله قد أجزتُ ما صنع أبي، وإنما أردت أن أعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء)[2].

وقال الشافعي رحمه الله تعالى: «إن للأب أن يزوج ابنته البكر البالغة بغير رضاها لأنها جاهلة بأمر النكاح لعدم التجربة، وأما الثيِّب فليس له أن يكرهها».

قالت الخنساء بنت خِذام: (إن أبي زوجني من ابن أخيه وأنا لذلك

(١) رواه الستة.
(٢) رواه النسائي.

كارهة، فشكوت ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال لي: «أجيزي ما صنع أبوك» فقلت: ما لي رغبة فيما صنع أبي، فقال: «اذهبي فلا نكاح له انكحي من شئت» فقلت: قد أجزت ما صنع أبي، ولكني أردت أن يعلم الناس أن ليس للآباء من أمور بناتهم شيء)[1]، وقد ثبت في رواية أن الخنساء كانت ثيباً. ولكل وجهة.

حقوق الزوجين:

الإسلام دين الواقع لا يحيَى بأهله في مثاليات لا تعيش على أرض الواقع، لا يرتفع بأهله إلى بروج عالية عاجية طالما أن أجسادهم وحياتهم ملتصقة بالأرض والواقع.

وما نجد في الإسلام من الإحسان إلى من أساء، والعطاء لمن منع، والعفو عمن ظلم، والتجرد من الدنيا كلها لله تعالى، فإنما هي أمور إحسانية، وليست واجبات شرعية وإلزامات دينية.

الإسلام يقيم كل شيء على أساس من التقابل كريم. السماء تقابل بالأرض، والزرع بالحصاد، والإيمان يقابل بالثواب، والكفر يقابل بالعقاب، والحقوق بين الزوجين تقابل بالواجبات.

قال الله تعالى: ﴿ ولَهُنَّ مثلُ الذي عليهنَّ بالمعروفِ ولِلرجالِ عليهنَّ دَرَجَة ﴾[2].

واجبات الزوج لزوجته:

تنقسم هذه الواجبات إلى واجبات مادية، وواجبات أدبية.

---

(١) رواه البخاري وأبو داود.

(٢) الآية ٢٢٨ من سورة البقرة.

١ ـ الواجبات المادية:

أ ـ تقديم المهر المتفق عليه بينهما إليها في الوقت الذي تطلبه قبل الدخول أو بعده. ومن حقها أن تمتنع عن تسليم نفسها له حتى يعطيها المهر، ولا تعد بذلك عاصية لله تعالى، ولا خارجة على أمر زوجها فتسمَّى ناشزة تحرم بذلك من النفقة. فقال تعالى: ﴿ فآتوهن أجورهن فريضة ﴾[1].

ب ـ الإنفاق عليها على قدر حالته المادية:

والنفقة هي الطعام والشراب والملبس والمسكن وأن يكون ذلك حلالاً لا إثم فيه ولا شبهة، فكما يهمه ويلذه أن يلبس اللبس المناسب الجميل، وأن يأكل الطعام الطيب اللذيذ، وأن يشرب الشراب الحلال اللذيذ ـ فليهمه ذلك في حق زوجته أيضاً، فإنها قرينته وأم أطفاله، وليس من المروءة أن يتلذذ الزوج بما يشتهي في القهوات والنوادي والرحلات، ثم يبخل بشيء منه على زوجته؟.

وكم يقبُح بالزوج أن ينفق على أهله المشبوه والحرام فيفسد بذلك حياتهما معاً.

قال الله تعالى: ﴿ لِيُنْفِقْ ذو سَعَة من سَعته، ومَنْ قُدر عليه رزقُه فلينفقْ ممّا آتاه الله، لا يكلِّفُ اللهُ نفساً إلاَّ ما آتاها، سيجعلُ اللهُ بعد عُسْرٍ يُسْراً ﴾[2].

سأل معاوية بن حَيْدة رسول الله ﷺ قائلاً: ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «وأن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا

(١) الآية ٢٤ من سورة النساء.

(٢) الآية ٧ من سورة الطلاق.

تضرب الوجه، ولا تقبِّح، ولا تهجر إلاّ في البيت»[1].

وقال ﷺ: «ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن»[2].

وقال: «كفى بالمرء إثماً أن يضيِّع من يقوت»[3].

إن الذي ينفق على نفســه ومطالبها بسخاء، ثم يبخل على زوجته وأولاده ببعض ذلك، قد يدفع بزوجته ثم أولاده إلى طريق الفساد والانحراف سعياً وراء ما تراه حقاً لها، وانتقاماً ممن حرمها حقاً لها عنده، معاذ الله.

قال ﷺ: «إذا أنفق الرجل على أهله نفقة يحتسبهـا فهي صدقة»[4]. وقال: «دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة ـ أي في إعتاقها ـ، ودينار تصدَّقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك»[5].

٢ ـ الواجبات الأدبية:

أ ـ معاشرتها بالمعروف.

قال الله تعالى: ﴿ وعاشروهن بالمعروف.. ﴾[6].

ولَعَمْرُ الله إن هذه الكلمات تجمع كل جميل في الخلق وجميل في السلوك.

---

(١) رواه أبو داود.
(٢) رواه الترمذي وابن ماجه.
(٣) رواه أبو داود والحاكم وأحمد، وهو حديث صحيح.
(٤) رواه البخاري.
(٥) رواه مسلم.
(٦) الآية ١٩ من سورة النساء.

● فمن المعاشرة بالمعروف أن يتحبب إليها ويناديها بأحب الأسماء إليها، وأن يكرمها بما يرضيها. قال ﷺ: «ما أكرم النساء إلّا كريم»[1].

● ومن المعاشرة بالمعروف أن يكرمها في أهلها عن طريق الثناء عليهم أمام زوجته ومبادلتهم الزيارات ودعوتهم في المناسبات.

● ومنها أن يحلم عليها إذا غضبت، ويصبر عليها إذا حمقت، فإن عاطفتها أقوى من عاطفته، وتأثرها بما ترى وتسمع أكثر من تأثره، وصبرها على ما تكره أقل من صبره.

● ومنها أن يستمع إلى حديثها، ويحترم رأيها، ويأخذ بشوراها إذا أشارت عليه برأي جيد، ولقد أخذ رسول الله ﷺ برأي أم سَلَمة يوم الحديبية، فكان في ذلك سلامة المسلمين من الإثم ونجاتهم من عاقبة المخالفة[2].

● ومن المعاشرة بالمعروف أن يمازحها ويلاطفها ويدع لها فرصاً لما يحلو لها من لعب ومزاح - في حدود الدين -.

لقد سابق رسول الله ﷺ في المدينة المنوّرة - بعيداً عن المسجد والناس - عائشةَ رضي الله تعالى عنها فسبقته. ثم سابقها في تبوك بعيداً عن الناس فسبقها، فقال لها: «هذه بتلك»[3].

بل لقد دخل عليها يوم عيد فوجد عندها فتاتين قد أخذتا تغنّيان بأشعار حربية، ولما لم يكن له إلّا بيت واحد فقد استلقى على

---

(١) رواه ابن عساكر.

(٢) أين هذا مما ينسبونه كذباً إلى علي رضي الله عنه أنه قال: شاوروهن وخالفوهن.

(٣) رواه أحمد.

فراشه، وولّى ظهره إليهن، ولما دخل أبو بكر وسمع الصوت بالشعر عنّف ابنته، فقال له ﷺ: «دعهن يا أبا بكر فإن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا»[1].

● ومن تلك المعاشرة بالمعروف أن يقدم لها هدايا مناسبة في مناسبات يدخل بذلك السرور على قلبها، ويبلغ قصده من رضاها.

وبالجملة كل أمر يتصور في الدين والعرف أنه حسن فهو من المعاشرة بالمعروف التي أمر الله تعالى بها في قوله: ﴿ وعاشروهنَّ بالمعروفِ ﴾.

قال ﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي..»[2].

وكان آخر ما أوصى به ﷺ ثلاث كلمات ظل يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه، جعل يقول: «الصلاةَ الصلاةَ. وما ملكت أيمانكم، لا تكلفوهم ما لا يطيقون. اللهَ اللهَ في النساء؛ فإنهن عَوانٍ ـ أسيرات ـ في أيديكم، أخذتموهن بعهد الله، واستحللتم فروجهنَّ بكلمة الله»[3] وكان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يقول: (إني لأتزين لامرأتي كما تزيَّن لي).

ب ـ وقايتها من النار.

وذلك بأن يعلِّمها دينها: كيف تؤمن بالله تعالى الإيمان الحق، وتؤمن بأسمائه وصفاته على وجه التنزيه من مشابهة الخلق ومماثلتهم في شيء.

---

(١) أصل الحديث في البخاري.
(٢) رواه الترمذي وابن ماجه والطبراني والحاكم، وهو صحيح.
(٣) رواه النسائي وابن ماجه.

وتعرف ما يجب لله تعالى وما يجوز له سبحانه وما يستحيل عليه، وتؤمن بما جاء من عند الله تعالى من أركان الإيمان والإسلام، وسائر أحكام الإسلام وأصول الحلال والحرام.

ـ وأن يعلمها أحكام العبادات ويحضها على القيام بها، من الصلاة ـ خاصة ـ أول الوقت وشروطها وأركانها ومفسداتها ومكروهاتها، وسائر العبادات، وحقوق الله تعالى عليها وحقوق الزوجية.

ـ وأن يعلمها مكارم الأخلاق من وقاية القلب من أمراض الحسد والبغضاء، ووقاية اللسان من الغيبة والنميمة والسبِّ والكذب.

ويراقبها في ذلك كله ما استطاع إلى المراقبة سبيلاً.

قال الله تعالى: ﴿ يا أيُّها الذينَ آمنوا قُوا أنفسَكم وأهليكُمْ ناراً، وَقودُها الناسُ والحجارةُ، عليها ملائكةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لا يعصونَ الله ما أمرهم ويفعلونَ ما يؤمرون ﴾[1].

قال علي رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى: ﴿ قُوا أنفسكم وأهليكم ناراً ﴾: أدِّبوهم وعلموهم. وروي أن عمر رضي الله تعالى عنه قال حين نزلت: يا رسول الله نقي أنفسنا فكيف لنا بأهلنا؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «تنهوهم عما نهاكم الله، وتأمروهم بما أمركم الله به، فيكون بذلك وقاية بينهن وبين النار» وقال قتادة: تأمرهم بطاعة الله تعالى وتنهاهم عن معصيته،

(١) الآية ٦ من سورة التحريم.

وتقوم عليهم بأمر الله تعالى، وتأمرهم به وتساعدهم عليه، فإذا رأيت معصية قدعتهم وزجرتهم.

قال أبو الليث رحمه الله تعالى: حق المرأة على الزوج خمسة: أن يخدِّمها حال كونها من وراء الستر، ولا يدعها أن تخرج من الستر فإنها عورة وخروجها إثم عليها، وترك للمروءة منه. وأن يُعلمها ما تحتاج إليه كالوضوء والصلاة والصوم وما لا بد من أبواب الفقه. وأن يطعمها من الحلال. وأن لا يظلمها بما يكلفها من مصالح خارج البيت. وأن يتحمل تطاولها نصيحة لها[1].

سمع رجل أم كلثوم تطاول بلسانها على زوجها عمر رضي الله تعالى عنه، وقد جاء يشكو إليه زوجته وتطاولها، فلم يسأله، وأراد أن يعود، فأعاده عمر وقصَّ الرجل عليه قصته، فقال عمر: إني لأتجاوز عنها لما لها عليّ من أمور: أولها أنها سترة بيني وبين النار فيسكن بها قلبي عن الحرام. الثاني أنها كانت إذا خرجتُ من بيتي محافظة لي. الثالث أنها قصَّارة تغسل لي ثيابي. الرابع أنها ظئر ولدي. الخامس أنها خبَّازة لي. فقال الرجل إن لي مثل ذلك فما أتجاوز عنها. فجاوَزَ عنها[2].

وروى الحاكم وابن المنذر عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال في الآية: (علِّموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدِّبوهم).

(١) مجالس إرشادية (٣٢١).

(٢) المصدر نفسه، وتنبيه الغافلين للسمرقندي.

قال الألوسي: واستُدل بها على أنه يجب على الرجل تعلُّم ما يجب من الفرائض وتعليمه لهؤلاء، وأدخل بعضهم الأولاد في الأنفس لأن الولد بعضٌ من أبيه. وفي الحديث: رحم الله امرءاً قال: يا أهلاه صلاتكم، صيامكم، زكاتكم، مسكينكم، يتيمكم، جيرانكم، لعل الله يجمعكم معه في الجنة. وقيل إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة من جهَّل أهله(١).

ج ـ أن يغار عليها في دينها ونفسها وكرامتها.

المعلوم أن من حب الرجل لزوجته أن يغار عليها ويحفظها من كل ما يلم بها من أذى في نظرة أو كلمة.

ما يغلو عندك من ساعة أو كتاب لا تضعه أمام الناس أو تطرحه في أي مكان.

فالزوجة أعظم ما يكنزه المرء، أيجعلها زوجها مضغة في الأفواه، تلوكها الألسنة، وتتقحمها الأعين، وتجرحها الأفكار والخواطر؟.

لا.. إن الغيرة ـ كما قال الشيخ محمد الحامد رحمه الله تعالى ـ أخص صفات الرجل الشهم الكريم، وإن تمكنها منه ليدل دلالة فعلية على رسوخه في مقام الرجولة الحقَّة الشريفة، ومن هنا كان كرام الرجال وأفذاذ الشجعان يمتدحون بالغَيْرة على نسائهم والمحافظة عليهن، وإن من شر صفات السوء ضعف الغيرة وموت النخوة، ولا يركن إلى ذلك إلاّ الأرذلون(٢).

---

(١) روح المعاني للألوسي /٢٨: ١٥٦/.
(٢) رحمة الإسلام للنساء ص ٥٩.

ما معنى الغيرة وما دلالتها؟.

هل الغيرة سوء ظن بالمرأة واتهام لها بالفطرة كما كان يزعم اليونان ومن جاء بعدهم من الذين يقولون عند كل جريمة: فتش عن المرأة؟! لا.. إن المرأة ـ في الإسلام ـ صِنْوُ الرجل، وهي مسؤولة مسؤولية كاملة عند الله تعالى على ما قدمت وأخّرت، ولكن الرجل هو صاحب القِوامة والمسؤول الأول في الأسرة والمحافظة على أفرادها، وهو أبعد أهله نظراً وتبصراً في العواقب، فمن حقها عليه أن يغار عليها.

قال القرطبي: قال رسول الله ﷺ: «الغَيْرة من الإيمان والمذاء من النفاق» المذاء أن يجمع الرجل بين الرجال والنساء ثم يخليهم يماذي بعضهم بعضاً، مأخوذ من المذي. قيل هو إرسال الرجال إلى النساء، من قولهم مذيت الفرس إذا أرسلتها ترعى. وكل ذكر يمذي، وكل أنثى تقذي(١).

وقال رسول الله ﷺ: «ثلاثة قد حرم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاقُّ لوالديه، والدَّيُّوث الذي يقر الخبث في أهله»(٢).

وقال: «النساء عورة، وإن المرأة لتخرج من بيتها وما بها بأس فيستشرفها الشيطان ـ يرفع بصره إليها ويهمّ بها ـ فيقول: إنك لا تمرين بأحد إلّا أعجبته. وفي رواية: لايزال الشيطان بها حتى تخرج ذراعها»(٣).

---

(١) القرطبي: ١٢/٢٢٧.

(٢) أحمد والنسائي وغيرهما.

(٣) الطبراني بإسناد حسن.

لا يأذن الرجل لزوجته بالخروج من البيت إلاّ في مواضع:

١ ـ زيارة الوالدين.
٢ ـ عيادتهما إذا مرضا.
٣ ـ تعزيتهما إذا أصابتهما مصيبة.
٤ ـ زيارة المحارم أحياناً.
٥ ـ إن كانت قابلة تخرج لعملها، وكذا إذا كانت غاسلة للموتى.
٦ ـ إن كان لها حق على الغير أو للغير حق عليها، فتخرج لأدائه أو الوفاء به.
٧ ـ تخرج للصلوات إذا أمنت الفتنة، وللحج مع المحرم.
٨ ـ للضرورة من مراجعة الطبيب وما لا بد منه كأداء الشهادة، وسؤال أهل العلم عما تحتاج إليه إذا كان زوجها لا يعلم ما تحتاج هي إليه.
٩ ـ التفرج والتخفيف على النفس من رحلة أو قصد حديقة مع تمام السرّ، والبعد عن الاختلاط بالأجانب.
١٠ ـ شراء ما تحتاج إليه مما لا خبرة للرجال به، مع أمن الفتنة والوقوع في المخالفة.

وإذا أذن لها بالخروج إلى مواطن الفتنة، أو مخالطة الرجال، كان عاصياً بالإذن، وكانت عاصية بالمباشرة. وقد نظَّم الإسلام هذا الأمر فيما أُجمله بما يلي:

١ ـ أن لا تأذن لأحد بدخول بيته من رجل قريب، أو امرأة قريبة أو أجنبية إلاّ بإذنه، فهو أدرى بمصلحة الأسرة لأنه القيِّم

عليها، فقد يكون في دخول أبيها وأخيها وأمها مفسدة عليه في أسرته.

أما الأجنبي فلا تأذن له بدخوله ولو أذن بذلك الزوج لأنه إثم ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

ولا يُدخِل هو عليها من لا يخاف الله تعالى، فقد يخون بنظرة أو كلمة، ويرمي في البيت شرارة فتنة. قال رسول الله ﷺ: «إياكم والدخول على النساء، قالوا يا رسول الله، أرأيت الحَمْوَ؟ قال: «الحَموُ الموت»[1]. والحمو: أقارب الزوج أو الزوجة ممن ليس محرماً لها من أخ الزوج أو عمه.

وقال ﷺ: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، والعاقّ، والديُّوث، الذي يقر الخبث في أهله أو لا يبالي من دخل على أهله»[2]، وقال: «لا تصاحب إلاّ مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلاّ تقي»[3].

٢ ـ أن لا تخرج من بيته إلى الأسواق ومجتمعات الرجال، فتخالط الرجال في الأسواق وحافلات الركوب والمحلات التجارية. قال علي رضي الله تعالى عنه: (ألا تستحيون؟! ألا تغارون؟! يترك أحدكم امرأته تخرج بين الرجال تنظر إليهم وينظرون إليها؟!).

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه الطبراني وغيره.
(٣) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم، وهو حديث صحيح.

٣ ـ أن لا تخالط بحضوره أقاربه وأصدقاءه فربما أرادوها بسوء، وربما بلغوا منها ما يريدون من السوء مع وقوع الإثم بمجرد الاختلاط بهم.

قيل لأعرابية شريفة: كيف زنيت وأنت كريمة في قومكِ؟ فقالت: قُرْب الوِساد، وطول السَّواد.

٤ ـ أن لا يعرضها للفتن فيطيل غيابه عنها، ويدفعها إلى الفسوق في قراءة القصص الفاسقة، أو يأخذها إلى دور الملاهي والخيالة، أو يسمعها أغاني الخنا والفحش، أو يضع لها في بيتها المرناة ـ وهي من أهل أسباب الإفساد، والناس عنها في غفلة بل فيها على رغبة، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله ـ أو يجمعها مع الرجال الأجانب، فإن المرأة تشتهي ما يشتهي الرجل، والحرام قد يُشتهى أكثر من الحلال.

لقد كان عمر رضي الله تعالى عنه لا يؤخر الجندي عن أهله أكثر من أربعة أشهر، لمّا علم من ابنته حفصة أن المرأة إلى هذا الحد تصبر عن زوجها. ثم قد يُخشى عليها الفتنة، وما أحسن قول فاطمة رضي الله تعالى عنها لما سئلت: ما خير للمرأة؟ فقالت ألاّ ترى الرجال ولا يراها الرجال. فضمها ﷺ إلى صدره وقال: «ذرية بعضها من بعض»(١).

كان أصحاب النبي ﷺ يسدون الثقب والكوى في الحيطان لئلا

(١) رواه البزار والدارقطني.

تطلع النساء على الرجال. ورأى معاذ امرأته تطّلع في كوة فضربها[1].

ولكن ليس من الغَيْرة أن يسيء الرجل بزوجته الظن دون ريبة، ويتحين مناسبات يسعى أن يأخذها فيها على غرَّة، فتلك غَيْرة ذميمة. (نهى رسول الله ﷺ أن يطرق الرجل أهله ليلاً يتخونهم، أو يطلب عثراتهم)[2].

وقال ﷺ: «إن من الغَيْرة غَيْرة يبغضها الله، وهي غَيْرة الرجل على أهله من غير ريبة»[3].

فأفٍّ لرجال يدفعون بنسائهم إلى الآخرين في سهرات عائلية، أو يفتحون بيوتهم لأصدقائهم في غيابهم.. ثم يعيبون الغَيْرة..!

لا يأمننَّ على النساء أخٌ أخاً
ما في الرجال على النساء أمين
كل الرجال وإن تعفف جهده
لا بد ان بنظرة سيخون[4]

د ـ أن يصبر عليها، ويتحمل أذاها، ويتغافل عن كثير مما قد يبدو منها، رحمة بها وشفقة عليها. قال الله تعالى: ﴿ وعاشروهنَّ بالمعروف ﴾. وقال أنس رضي الله عنه: (ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ.. كان أزواجه ﷺ يراجعنه

---

(١) مجالس إرشادية ٣٢٠.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه أبو داود والنسائي.
(٤) ابن الرومي الشاعر المشهور.

بالكلام وتهجره الواحدة منهن يوماً إلى الليل)[1].

وقال أنس رضي الله تعالى عنه: (كان ﷺ أرحم الناس بالصبيان والعيال)[2] وقال ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وألطفهم بأهله»[3].

لقد اجتمعت نساء رسول الله ﷺ يوماً يطالبنه بما لا يقدر عليه ـ ويكلفنه ما لا يطيق من النفقة عليهن ـ وهنّ نساء رسول الله ﷺ، ولن يلوم أحد ويعتب أن تعيش نساء رسول الله ﷺ كما تعيش نساء أكثر الصحابة ـ وفيما هو في مجلسه ذلك إذ دخل عليه عمر رضي الله تعالى عنه، فرأى النبي ﷺ غضبان، فقال: لأضحكنّه، فقال يا رسول الله: لو رأيت زوجة عمر تعارضني، فصككت وجهها. فقال ﷺ إشارة إلى نسائه: «هنّ حولي يسألنني النفقة» فقام عمر إلى حفصة يريد ضربها لما تؤذي رسول الله ﷺ، فنهاه ﷺ، وأنزل الله تعالى آية التخيير: ﴿ .. إنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحياة الدنيا وزينتها فتعالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وأُسَرِّحْكُنَّ سَراحاً جميلاً ﴾[4]. وقد اختارت جميعهن رسول الله ﷺ والعيش معه على شَظَف العيش وقلّة النفقة، رضي الله تعالى عنهن.

وقال ﷺ: «استوصوا بالنساء خيراً، فإنَّ المرأة خُلِقت من ضِلَع، وإن أعوج ما في الضِّلَع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته،

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه ابن عساكر وأبو داود الطيالسي، وهو ضعيف.
(٣) رواه الترمذي والنسائي، وهو حديث صحيح.
(٤) الأحزاب: ٢٨.

وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً»[١]. وقال: «لا يَفْرَك مؤمن مؤمنة؛ إن كره منها خُلُقاً رضي منها آخر»[٢].

هـ ـ أن ينبسط لها في البيت ويستمع إلى حديثها، إيناساً لها وإشعاراً بحبه لها وإكرامه إياها في حدود المروءة والدين.

ومن حق المرأة على زوجها ـ وهي إنسان كريم وشريك حياة ـ أن يظهر الرجل السرور والرضى بما يكون من أهله في بيته، من إعداد للطعام جيد، من ثوب حسن تلبسه، من خبر أو قصة تذكرها له.

لقد أباح الإسلام للزوج أن يكذب عليها يترضّاها بذلك ويتحبَّب إليها بأكثر مما في قلبه نحوها، من أجل أن ذلك يزيد في سرورها ورضاها به.

من هذا الانبساط أن يعاونها في شؤون البيت أحياناً، خاصّة فيما فيه من مشقة من أعمال، أو يكون عليها من إرهاق، من قيام على مريض، ومن إعداد دعوة لجماعة أو غير ذلك.

ولقد كان ﷺ يقوم في بيته أحياناً ببعض أعمال أهله، قالت عائشة رضي الله عنها ـ وقد سئلت عنه ﷺ ما يعمل في بيته ـ: «كان يكون في مِهْنة أهله، يَقُمُّ بيته، ويرفو ثوبه، ويَخْصِف نعلَه، ويحلب شاته»[٣].

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه مسلم و غيره. ومعنى لا يفرك: لا يبغض.
(٣) رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد.

ولقد قال ﷺ لأبي الدرداء لمَّا بلغه قيامه الليل وصيامه النهار وإهماله أهله: «... وإنَّ لأهلك عليك حقاً»[1].

فينبغي للزوج أن يخاطب زوجته بلطف، ويناديها برقّة، ويتجاوز منها عن بعض الهفوات، ومن أحرى من المرأة أن يظهر لها سرور زوجها بها، ورضاه عنها وهي قعيدة بيت لا تخرج من بيتها ولا تخالط الرجال؟! قال ﷺ: «إن أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً، الموطّؤون أكنافاً، الذين يألفون ويُؤلفون»[2].

وقال عمر رضي الله تعالى عنه: ينبغي للرجل أن يكون في بيته كالصبي ـ أي في الأنس والبشر وسهولة الخلق ـ فإذا كان في القوم وُجد رجلاً.

و ـ ومن حقوقها عليه أن لا يعزل عنها الزوج إلا برضاها. وفي الحديث: «تُستأمر الحرّة في العزل» عبد الرزاق، أي اتخاذ وسيلة لعدم الإنجاب.

واجبات الزوجة لزوجها:

١ ـ طاعة الزوج في المعروف، وهذا أمر طبعي تقتضيه هذه الحياة المشتركة بين الرجل وزوجته، فقد:

أ ـ أمر رسول الله ﷺ بذلك فقال: «إذا صلّت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت بَعْلها دخلت الجنة»[3].

أتت أسماء بنت يزيد الأنصارية رسول الله ﷺ وهو بين

---

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه أبو داود والترمذي.
(٣) رواه أحمد والبزار والطبراني، والحديث صحيح.

أصحابه، فقالت بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أنا وافدة النساء إليك: إن الله عزّ وجل بعثك إلى الرجال والنساء كافة فآمنا بك وبرسالتك، إنا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم وحاملات أولادكم، وإنكم معاشر الرجال فُضِّلتم علينا بالجُمَع والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عزّ وجل، وإن أحدكم إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مجاهداً حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا لكم أثوابكم، وربَّينا لكم أولادكم؛ أفنشارككم في هذا الأجر والخير؟ فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه بوجهه كلِّه، ثم قال: «هل سمعتم مسألة امرأة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها من هذه؟!» فقالوا: يا رسول الله ما ظننا امرأة تهتدي إلى مثل هذا! فالتفت النبي ﷺ إليها فقال: «افهمي أيتها المرأة، وأعلمي مَنْ وراءَك: أن حُسْنَ تَبَعُّل المرأة لزوجها وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته تعدل ذلك كله»[1].

هذا وتخرج المرأة من بيتها دون إذن زوجها في أحوال منها:

١ ـ أن تخرج لخدمة أحد أبويها إذا كان في حاجة إلى خدمتها ولو كان غير مسلم.

٢ ـ أن تخرج لزيارة أبويها الغنيين عن خدمتها كل جمعة إن كانا غير قادرين على المجيء إليها.

٤ ـ أن تخرج لمسألة دينية إذا لم يسأل لها زوجها[2].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) الفقه على المذاهب الأربعة، للجزيري /٤: ١٥٩/.

وجاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ[1] فقالت: أنا وافدة النساء إليك. هذا الجهاد كتبه الله تعالى على الرجال، فإن أُصيبوا أُثيبوا، وإن قتلوا كانوا أحياء عند ربهم يُرزقون، ونحن معشر النساء نقوم عليهم فما لنا من ذلك الأجر؟ فقال ﷺ: «أبلغي من لقيت من النساء: إن طاعة للزوج واعترافاً بحقه يعدل ذلك ـ أي أجر المجاهدين في سبيل الله تعالى ـ وقليل منكن من يفعله»[2].

ب ـ وحياة الأسرة تقوم على واجبات وتكاليف، والزوج هو المسؤول الأول عن الأسرة، فمن الطبيعي أن يكون مطاعاً فيما يراه مصلحة للأسرة، وإبقاءً للحياة، كما يطاع المدير في المدرسة ورئيس الدائرة في الدائرة.

ج ـ والمرأة عادة تكون أصغر من الزوج سناً، ومن شأن الكبير أن يأمر من يكون أصغر منه، وشعور المرأة عادة يستريح إلى طاعة زوجها، فإن الأنثى مطبوعة على الخضوع للرجل بل الطاعة.

د ـ وطاعة المرأة لزوجها يقيم الأسرة المتلائمة، والتعاون القدوة، فينشأ الأولاد على طاعة الوالدين لمَّا يرون في برّ الوالدين ببعضهما النموذج الكريم للتطاوع وعدم التخالف.

وكم يسيء إلى الأولاد موقف الأم النَشَاز من أمر الوالد، ويثير فيهم النفور والتمزق، وربما دفع إلى عدم احترام الوالدين على الكبر؛ لـما يرون في الوالدين من خلاف ونزاع وشقاق، إلخ.

---

(١) هي زينب وكانت تلقب خطيبة النساء.

(٢) رواه البزار والطبراني.

هـ ـ والرجل هو الذي يتزوج، فالمرأة تشعر من أول زواجها وهي تنتقل إلى بيت غير بيتها أن عليها الطاعة والانقياد للقائم على البيت الجديد، كما كان لأبيها في بيتها السابق الطاعة والانقياد.

و ـ ولن يضير المرأة طاعة زوجها بشيء فإنما أمر زوجها إليها في شأن من شؤون البيت، وشؤون البيت فطرة في الأنثى، نلمس مظاهرها في اهتمامها ـ وهي صغيرة ـ بخدمة البيت من كنس وغسل وترتيب وعناية بلعبة.

وفوق ذلك جميعاً أن الأمر إلى الله تعالى ـ كما سبق ـ فزوجها إنما يأمرها بما فيه طاعة الله تعالى أو بما هو مباح، ولن يكون له عليها سلطان إن أمرها بمعصية الله تعالى ـ معاذ الله ـ.

ز ـ ولا شك أن طاعة المرأة لزوجها يحفظ حياة الأسر ويحفظ قلب الزوج، فيتجه ـ إن كان خِلْواً ـ إلى حبها وإكرامها وحفظ شعورها وتلبية ما تريد من طلبات.

وهؤلاء الذين يدعون المرأة إلى الخروج على طاعة الزوج فيما لا تهوى، هم هم الذين يرون الخضوع للقانون كيفما كان، والتبعية للتقليعات ـ الموضات ـ والآراء والأفكار كيفما كانت، هم هم الذين يدعون إلى طاعة الأهواء ليعيشوا كما يعيش المنحرف عن طاعة الله تعالى.

ثم يزعمون أن مخالفة الزوج حق من حقوق المرأة ـ ولكن لا زوجة أحدهم معه ـ لأنهم بهذا يرضون سيدهم الشيطان،

ويدغدغون الأهواء، وربما وصلوا بذلك إلى مآرب من مال ومركز وزنى.

ح ـ وكل شركة لا بد لها من أمير ومأمور. إن الاشتراك في طريق يقتضي في الإسلام أن يكون له أمير مسؤول يأمر فيطاع.

لما قدم معاذ بن جبل من الشام سجد للنبي ﷺ فقال: «ما هذا؟» قال: يا رسول الله قدمت الشام فرأيتهم يسجدون لبطارقتهم وأساقفتهم، فأردت أن أفعل ذلك بك، قال: «فلا تفعل فإني لو أمرت شيئاً أن يسجد لشيء لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذي نفسي بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها»(١).

وعن حُصَين بن مِحصن أن عمة له أتت النبي ﷺ، فقال لها: «أذات زوج أنت؟» قالت: نعم، قال: «فأين أنت منه؟» قالت: ما آلوه إلّا ما عجزت عنه، قال: «فكيف أنت له فإنه جنتك ونارك»(٢).

وقال ﷺ: «اثنان لا تجاوز صلاتهما رؤوسهما: عبد أبق من مواليه حتى يرجع إليهم، وامرأة عصت زوجها حتى ترجع»(٣).

وقال ﷺ: «لعن الله المسوِّفات: التي يدعوها زوجها إلى فراشه، فتقول: سوف، حتى تغلبه عيناه»(٤).

(١) رواه ابن حبان.
(٢) رواه أحمد والطبراني في الكبير، وصححه الذهبي.
(٣) رواه الطبراني في الصغير.
(٤) رواه الطبراني عن ابن عمر وهو صحيح.

عن جابر رضي الله تعالى عنه أنه ﷺ رأى امرأة فأعجبته، فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج، فقال: «إن المرأة إذا أقبلت أقبلت في صورة شيطان، فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأتِ أهله فإن ذلك يرد ما في نفسه» مسلم والترمذي. وفي رواية ابن أبي شيبة أنها أم سلمة. والله أعلم[1].

وقال ﷺ: «أيما امرأة ماتت وزوجها راضٍ عنها دخلت الجنة»[2].

قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: سألت رسول الله ﷺ أيُّ الناس أعظم حقاً على المرأة؟ قال: «زوجها»، قلت: فأيُّ الناس أعظم حقاً على الرجل قال: «أمه»[3].

٢ ـ رعاية كرامته وشعوره بحفظ عينه وأذنه وإحساسه فلا يرى منها في البيت إلاّ ما يحب، ولا يسمع منها إلاّ ما يرضى، ولا يقابَلُ منها بما يكره.

إن الرجل إنما يطلب سكينته في بيته.. أما الطريق.. أما العمل، فكم تؤذَى أذنه مما يسمع، وتُؤذَى عينه مما يبصر، ويُؤذَى شعوره مما يجد، فإذا لم يجد في بيته الزوجة النظيفة المتجمِّلة، ذات البسمة الحلوة، والاستئناس المحبوب، والحب الظاهر، والكلام المعسول فأين يجد ذلك؟! وأشقى إنسان في المجتمع ـ والله أعلم ـ ذلك الذي يشقى في أسرته..!.

قالت أسماء بنت خارجة الفَزَارية وهي تزف ابنتها إلى زوجها

(١) كشف الخفاء ٢٤٩، وانظر ميزان الاعتدال /٤: ٣٩/.
(٢) رواه الترمذي والحاكم، وهو حديث حسن.
(٣) رواه البزار بسند حسن.

ليلة عرسها: (يا بنية، إنك خرجت من العش الذي فيه درجت، فصرت إلى فراش لم تعرفيه وقرين لم تألفيه، فكوني له أرضاً يكن لك سماء، وكوني له مهاداً يكن لك عماداً، وكوني له أَمَةً يكن لك عبداً، لا تلحفي به فَيَقْلاك ـ أي لا تلحِّي عليه فيكرهك ـ ولا تَبَاعدي عنه فينساك، إن دنا منك فادني منه، وإن نأى عنك فابعدي عنه، واحفظي أنفه وسمعه وعينه، فلا يشمنَّ منك إلّا طيِّباً، ولا يسمع إلّا حسناً، ولا ينظر إلّا جميلاً).

٣ ـ حفظه في دينه وعرضه. وذلك ببعدها عن التبرُّج والتعرُّض للأجانب في البيت وخارجه، في الشرفة أو على الباب، أو في الطريق والمحلات التجارية.

وقد سبق أن ذلك من حق المرأة على زوجها بأن يحفظها من ذلك، لذا فالمرأة لا تبدي زينتها إلّا لزوجها ولذوي محارمها على التأبيد مع أمن الفتنة، ولا تخلو بأجنبي ولو كان شقيق زوجها، ولا تأذن لمن لا يرضى الزوج دخوله عليها من محارم ونساء أجنبيات.

إن الزوجة فاصـرةَ الطرف على زوجها، تعلو ـ ولا شك ـ قيمتها عند زوجها، وذلك خير لها عند الله وعند الناس. إن الزوجة التي لا تتطلع إلى الناس من شقوق الأبواب وخلف الستائر، والتي إذا جاء صديق لزوجها فلا تفتح له الباب، وتجيبه بصوت لا خضوع فيه ولا تكسر، ولا تطيل معه الحديث في من هو؟ وماذا يريد؟ وغير ذلك، إن تلك الزوجَة قانتة عابدة لله مطيعة للزوج.

قال الله تعالى: ﴿ فالصالحاتُ قانتاتٌ حافظاتٌ للغيب بما حفظ الله ﴾.

فالصالحة عابدة لله تعالى تعين زوجها على تطبيق الإسلام على نفسه وعلى الأسرة، والعيش بالإسلام دعوة وسلوكاً، وهي حافظة لزوجها في غيابه من عرض فلا تزني، ومن سرٌ فلا تفشي، وسمعة فلا تجعلها مضغة في الأفواه.

٤ ـ حفظه في حياته الخاصة والاجتماعية، فلا تقطع عليه أعماله في بيته ومطالعاته ومحابِّه، وتبعد عنه مكارهه ومساخطه، ولا تقطع عليه صِلاته بأمثاله وخروجه من البيت لذلك كله، فلا تكلف زوجها في شيء من ذلك كله شططاً، فيضيق بها ذرعاً، وربما بحث عن أنسه وراحته في غير بيته، ولا تكلفه من المطالب المعاشية ما لا يقدر عليه، وربما آذته في شعوره فيبحث عن وسائل الكسب الحرام لإرضاء زوجته.

وقد كانت الزوجة من السَّلَف الصالح تقول لزوجها إذا خرج إلى عمله: اتّق الله، وإياك والكسب الحرام، فإنا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار.

ولَعَمْرُ الله إن المرأة العاقلة هي التي تقدِّر أحوال زوجها المادية والمعنوية، الفردية منها والاجتماعية، وهي بذلك تضمن عيشاً كريماً لها ولزوجها وللأسرة جميعاً.

٥ ـ قيامها بتدبير المنزل. فتنشط للعمل كي تبقى لها صحتها وتحفظ قوتها، فإن العمل ينفي عن صاحبه الأمراض والأدواء.

ويتحقق هذا الأمر في:

أ ـ خدمة زوجها وأداء مطالبه من الأمور المعنوية والمادية.

ب ـ العناية بمرأى الرجل ومسمعه، ذلك بأن يرى البيت النظيف الرَّتيب، وأن يرى النظام والذوق في متاعه، وأن يرى في أولاده النظافة والأدب. وأن يجد الاهتمام بالطعام والراحة، والإكرام له والتلطُّف له.

وقد يصبح من حقه عليها أن تعينه جهدها على تدبير أمور المعيشة.

وخدمة المرأة في بيت زوجها واجب عليها ديانة لا قضاء[1]. ولا شك أن العمل من الزوجة أدلُّ على تعاون أفراد الأسرة.

قالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما: (تزوجني الزبير وما له في الأرض من مال ولا شيء غير فرسه وناضحه ـ أي بعيره الذي يستقي عليه ـ فكنت أعلف فرسه ـ زاد مسلم: وأسوسه ـ وأدق النَوى لناضحه، وأستقي الماء، وأخرز غَرْبه ـ أي أخيط دلوه بالخرز ـ وأعجن، وكنت أنقل النَوى على رأسي من ثلثي فرسخ ـ وهو نحو من مشي ساعة ـ حتى أرسل إليّ أبو بكر بخادم، فكان يكفيني سياسة الفرس، فكأنما أعتقني، فجئت يوماً والنَوى على رأسي، فدعاني رسول الله ﷺ فقال: إخ، إخ ـ يستنيخ ناقته ليحملني خلفه ـ فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغَيرته ـ وكان أغيرَ الناس ـ فعرف رسول الله ﷺ أني قد استحييت، فجئت الزبير فحكيت له ما جرى، فقال: والله لَحملك النَوى على رأسك أشدُّ عليّ من ركوبك معه ﷺ)[2].

---

(١) أي أن القضاء لا يجبر الزوجة على العمل في بيت الزوجية لما قد يكون لها من موانع ظاهرة أو خفية.

(٢) رواه البخاري.

قال أنس رضي الله تعالى عنه: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا زَفُّوا امرأة إلى زوجها يأمرونها بخدمة الزوج ورعاية حقه.

وعن علي رضي الله تعالى عنه: أنَّ رسول الله ﷺ لما زوَّج فاطمة بعث معه بخَميلة، ووسادة أَدَم حَشْوها ليف، ورَحاءَين وسِقاءَين. قال: فقال علي لفاطمة يوماً: لقد سَنَوتُ[1] حتى اشتكيتُ صدري، وقد جاء الله أباك بسَبْيٍ فاذهبي فاستخدمي. فقالت: وأنا ـ والله ـ قد طحنت حتى مَجَلَتْ يداي[2]، فأتت النبي ﷺ فقال: ما جاء بك أي بنيَّة؟ فقالت: جئت لأسلِّم عليك. واستحيتْ أن تسأله ورجعت، فأتياه جميعاً، فذكر له عليٌّ حالهما، فقال ﷺ: «لا والله لا أعطيكما وأدَعُ أهل الصفة تتلوَّى بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم، ولكن أبيع وأنفق عليهم أثمانهم» فرجعا فأتاهما وقد دخلا في قطيفتهما، إذا غطيا رؤوسهما بدت أقدامهما، وإذا غطيا أقدامهما انكشفت رؤوسهما، فثارا فقال: «مكانكما. ألا أخبركما بخير مما سألتماني؟» فقالا: بلى، فقال: «كلمات علَّمنيهن جبريل: تسبحان الله دبر كل صلاة عشراً، وتحمدان عشراً وتكبِّران عشراً، وإذا أويتما إلى فراشكما تسبحان ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، وكبِّرا أربعاً وثلاثين» قال علي: فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن[3].

وقال علي رضي الله عنه قلت لأمي: اكفي فاطمة سقاية الماء

---

(١) سنوتُ الدلو: إذا جررتها من البئر.
(٢) مجلتْ يداي: ثخن جلدها، وظهر فيها ما يشبه البثر.
(٣) الإصابة عن طبقات ابن سعد /٤: ٢٣٨/.

والذهاب في الحاجة وتكفيك الطحن والعجن[١].

٦ ـ حفظ مال زوجها وصيانته أياً كان نوعه، وكثيراً ما كانت إضاعة المرأة مال زوجها موجباً للنفرة بينهما وباعثاً على الشقاق.

ولهذا فلا يجوز لها أن تعطي أحداً من أهلها أو فقيراً شيئاً من مال زوجها أو متاعه، إلاّ إذا أذن لها بذلك أو تعلم أنه إذا علم بذلك يرضى، فإذا أنفقت شيئاً من ماله دون إذنه أثمت هي وأُجر هو لما نقص من ماله. قال ﷺ: «.. ولا تعطي شيئاً من بيته إلاّ بإذنه، فإن فعلت ذلك كان له أجر وعليها الوزر»[٢].

٧ ـ أن لا تصوم نَفْلاً بدون إذنه إذا كان مقيماً في البلد غير مسافر، فقد يعرض له فيها ما يتعارض مع صيامها من خدمة وعمل، وإعداد طعام لضيوف أو حاجة تتنافى مع الصيام. قال ﷺ: «لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلاّ بإذنه، ولا تأذن في بيته إلاّ بإذنه، وما أنفقت من نفقة عن غير أمره فإنّما يُؤدَّى إليه شطره»[٣].

٨ ـ أن تسعى إلى إرضائه وإدخال السرور على قلبه إذا جاء بيته، فتستقبله متزيِّنة متنظِّفة، لا تبدي تعباً من عمل، ولا نفوراً من أمر، متحرِّية لإدخال السرور على قلبه، فتحمل متاعه، وتعينه على نزع ثيابه، وتقدم إليه ما يلبس في بيته، وذلك مدعاة لسروره وسعادته بامرأته.

---

(١) الإصابة: ترجمة فاطمة بنت أسد.
(٢) رواه البيهقي والطيالسي.
(٣) رواه البخاري.

وشتان ما بين هذا وبين الرجل الذي يدخل بيته فيجد زوجته في طبخها الذي قد تأخرت فيه، بَذِلة الثياب، تعبة، ضيقة الصدر، وإذا جلس ليرتاح شكت إليه من أعمالها ومن كذا وكذا.

شتان بين من يرى زوجته تتزيَّن لجاراتها وأمثالها، وتنسى ذلك كله أمام زوجها.

أوصت أم ابنتها عند زواجها فقالت لها: (أي بنية، لا تغفلي عن نظافة بدنك، فإن نظافته تضيء وجهك، وتحبِّب فيك زوجك، وتبعد عنك الأمراض والعلل، وتقوِّي جسمك على العمل: فالمرأة التَّفِلة ـ الوسخة ـ تمجُّها الطباع، وتنبو عنها العيون والأسماع. وإذا قابلتِ زوجك فقابليه فرحة مستبشرة، فإن المودة جسم روحه بشاشة الوجه)[1].

وأن لا تستقل ما يقدِّم لها من طعام وشراب وثياب وغير ذلك مما هو في قدرته، وتشكره على ذلك جميعاً، وتدعو له بالعِوَض والإخلاف، ولا ريب أن ذلك يسرّه منها ويحفظ حبه لها.

٩ ـ أن تبر أهل زوجها من والدَين وأخوات، فإن حقاً على الزوجة أن تؤثر رضى الله تعالى على رضى نفسها، ورضى زوجها على رضاها كذلك. فإذا كانت تقيم مع والدَي زوجها فلتبرهما ولتكرمهما إكراماً لكبرهما، وشكراً لهما على ما أنعم الله عليهما من ولدهما الذي أصبح زوجها، وتطيعهما في أمرهما ونهيهما، فإن الطاعة عليها حق.

---

(١) رحمة الإسلام للنساء للشيخ محمد الحامد رحمه الله تعالى.

وتُعدّ شؤون البيت من رئاسة ومسؤولية أولى لأبوي زوجها، وعليها لذلك البر والطاعة، ولن تضيع زوجة مطيعة في بيت والدي زوجها.

وما يذكره بعضهم من الخلاف اللازم بين الحماة والكنّة فأمر مبالغ فيه، وما يقع في تلك الأسرة من بعض خلاف فشيء طَبيعي بين عاطفتين، وبين كبير وصغير، وبين تعجُّل وحلم، ولكن حين يتوفر أدب الإسلام في أفراد الأسرة، ويعرف كل فرد في الأسرة حقه وواجبه، فإن الحياة تسير رضية سعيدة في أغلب الأحيان، والله أعلم.

١٠ ـ وأن تحسن القيام على تربية أولادها منه في صبر وحلم ورحمة، فلا تغضب على أولادها أمامه، ولا تدعو عليهم ولا تسبهم، أو تضربهم، فإن ذلك قد يؤذيه منها، ولربما استجاب الله تعالى دعاءها عليهم فيكون مصابهما بذلك عظيماً.

قال رسول الله ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة، فينزل فيها إعطاء فيستجاب لكم»[(١)].

وأن تربِّي أولادها على الطهارة والنظافة والعفَّة والشجاعة، والزهد في سفاسف الأشياء وملاهي الحياة كي ينشأوا مسلمين، يعيشون بالإسلام وللإسلام، يكثر الله تعالى بهم الخير في المجتمع، ويتباهى بهم وبأمثالهم رسول الله ﷺ غداً.

---

(١) رواه أبو داوود والبزار.

حقوق مشتركة بين الزوجين

وهي حقوق معنوية ومادية:

الحقوق المعنوية:

١ ـ غض النظر عن الهفوات والأخطاء وخاصة غير المقصود منها السوء في الأقوال والسلوك بين الزوجين، إذ أين ذلك الذي تُرضي سجاياه كلها؟!!.

إنَّ أحدنا لتمر عليه فترات لا يرضى فيها عن نفسه، فهو لا يرضى لها الضعف في مجال القوة، أو الغضب في مجال الحلم، والسكوت في مجال الكلام الحق.. ولكنه يتحمَّل نفسه ويتعلَّل بما يحضره من المعاذير، فليكن هذا الشأن بين الزوجين يلتمس أحدهما لقرينه المعاذير.

ويقيناً إنه حين تحسن النوايا، وتتحابّ القلوب، ويكون التعقُّل هو مدار المعيشة يتوفر هذا الجانب الكريم في حياة الأسرة.

٢ ـ سعي كل منهما إلى مشاركة الآخر أفراحه وأحزانه، همومه ومطالبه، وما أصدق كلام عمر رضي الله تعالى عنه وقد دخل على رسول الله ﷺ فرآه يبكي، بعد قبوله الفداء في أسرى بدر ونزول العتاب: (فإن وجدتُ دمعاً بكيت وإلاّ تباكيت)[١].

وتخفيف أحدهما على الآخر ما يجد ممّا ينغِّصُه.

وما أجمل كلامٍ أبي الدرداء رضي الله عنه ولزوجته: (إذا رأيتني غضبت فرضِني، وإذا رأيتك غَضْبى رضَّيْتك، وإلاّ لم نصطحب). وأي هم ومصاب إذا عمّ يخف وقعه (المصيبة إذا

(١) انظر «سيدنا محمد رسول الله ﷺ» لفضيلة الشيخ عبد الله سراج الدين.

عمَّت خفَّت). فليتعاون الزوجان على السرّاء والضرّاء، على جلب السرور ودفع الحزن؛ والله في عون العبد، ما دام العبد في عون أخيه.

٣ ـ وأن ينصح كل منهما قرينه في طاعة الله تعالى من تفقيه في الدين وحض على العبادة.

ولقد أثنى رسول الله ﷺ على الزوجين يعين أحدهما الآخر على الطاعة في صورة الإيقاظ لصلاة الليل فقال: «رحم الله رجلاً قام من الليل فصلّى، وأيقظ امرأته فصلَّت، فإن أبت نضح في وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلَّت، وأيقظت زوجها فصلَّى، فإن أبى نضحت في وجهه الماء»(١).

٤ ـ أن يشعر كلٌّ منهما بالمسؤولية المشتركة في البيت، وأن يسعى كل منهما ليسعد قرينه وأولادهما، فلا يفكر الرجل في بيته ـ مثلاً ـ في راحته فقط، ثم يدع زوجته على التعب والحرمان، فإنهما شريكان. وليس من المروءة أن يربح شريك على حساب شريكه.

٥ ـ أن لا يذكر أحدهما قرينه بسوء بين الناس، وأن لا يفشي السرَّ الذي بينهما، ولا يحدث أحداً بما بينه وبين أهله من الصلة الجنسية، أو يخبر بما يعرف من العيوب الخفية، فإن ذلك إثم ومفسدة.

---

(١) رواه أحمد وأبو داود وغيرهما، وهو حديث صحيح.

الحقوق المادية:

١ ـ حرمة المصاهرة، فلا يتزوج والد الزوج زوج ولده، ولا الزوج أم زوجته وغير ذلك.

٢ ـ ثبوت التوارث بينهما بموت واحد منهما، على الوجه المشروع في القرآن والسنة.

٣ ـ حِلُّ المتعة الزوجية بينهما كما يشاءان، إلّا ما قد حرم الله تعالى من الإتيان حال الحيض والنفاس، أو الإتيان في غير محل الحرث ـ معاذ الله ـ.

٤ ـ نسبة الولد إلى الأبوين وحمله لقب أسرة أبيه، قال الله تعالى: ﴿ وعلى المولودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وكِسْوتُهنَّ بالمعروفِ ﴾[١].

أشارت الآية إلى أن الولد ينسب إلى أبيه.

تعدد الزوجات[٢]

تعدد الزوجات حكم شرعي معروف في الشرائع السابقة، لقد كان لسليمان عليه السلام تسع وتسعون زوجة كما أخبر القرآن الكريم بذلك، وكان ليعقوب عليه السلام زوجتان كما أخبرت التوراة بذلك، لقد عرف المصريون القدماء تعدد الزوجات وعرفه الهنود كذلك، ولقد عرف الأوروبيون التعدد بعد دخولهم

(١) البقرة: ٢٣٣.

(٢) كان حق هذا البحث أن يضاف إلى الفروق الدينية بين الرجل والمرأة، وأفرد هنا لأهميته.

النصرانية، وطبَّقوه، كما عرفه العرب قبل الإسلام ممَّا بقي فيهم من شريعة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

وقد قَصَرَ الله تعالى تعدد الزوجات في الإسلام إلى أربع ـ بعد أن كان قبلُ غير محصور بعدد ـ قال الله تعالى: ﴿ فانْكِحُوا ما طابَ لكم من النساء مَثْنى وثُلاثَ ورُباعَ، فإن خفتم ألَّا تعدلوا فواحدة أو ما ملكتْ أيمانُكم، ذلك أدنى أن لا تَعُولوا ﴾(١).

وتعدد الزوجات مشروع في الإسلام كما سبق، وهو نظام خاضع لرضى الزوجين كالزواج الأول، وخاضع للعدل بين الزوجات وعدم الظلم، وخاضع للإنفاق على الزوجة الأولى وأولادها، والزوجة الثانية وأولادها من بيت وطعام وكسوة.

فإذا أطاق الرجل ذلك كلَّه، ووجد الزوجة الثانية التي ترضى الزواج به، وأن تكون الزوجة الأولى أسوتها، فما الذي يمنع هذا الزواج الثاني ويقبِّحه؟(٢).

أهل الأهواء والشهوات. لصوص الأعراض. الجهال من الناس. الحمقاوات من النساء.

أما أهل الأهواء فما لهم قيام، لأنهم لا يصدرون عن حق ولا

---

(١) الآية ٣ من سورة النساء.

(٢) قال مالك رحمه الله تعالى: إذا اشترط الرجل للمرأة وإن كان ذلك الشرط عند عقدة النكاح أن لا أنكح عليك ولا أتسرَّى؛ إن ذلك ليس بشيء إلاَّ أن يكون في ذلك يمين بطلاق أو عتاقة فيجب ذلك عليه ويلزمه. اهـ الموطأ /٢: ٦/.

يبالون به فهم هاوون ﴿ ولو اتَّبَعَ الحقُّ أهواءَهُمْ لَفَسَدَتِ السمواتُ والأرضُ ومَنْ فيهنَّ ﴾[1].

أما لصوص الأعراض، وهم أولئك الذين يتخذون زوجات شرعيات، ثم لا يتورعون عن التلصُّص على أعراض الأصدقاء والأقارب، وعن قضاء أوطارهم مع المومسات والساقطات، مع الصديقات وزوجات الشوارع.

أما هؤلاء اللصوص فلا مجال لمناقشتهم فهم لصوص. وهل يسرق اللص ويعتدي إلّا أن يكون رضي بالجريمة وزُيِّنت له؟!.

ثم يرجع بعد جريمته بل جرائمه خفيف الظهر عديم المسؤولية عن ثمار الجريمة!.

أما الجهَّال من الناس، وهم أولئك الذين يجهلون العدل الذي يوجبه الله تعالى بين الزوجات، فهم أولئك الذين يرون التطبيق المغرض المنحرف الجائر من بعض الناس، ويظنون أن ذلك نظام التعدد في الإسلام.

ومن حقِّ الجاهل أن يُعلَّم، ومن حقِّه أن يتعلم، وسيأتي ما به يعلم.

وأما الحمقاوات من النساء والتي تقول إحداهن إنها ترضى بأن يزني زوجها بغيرها وغيرها، وأن يتخذ الصديقات، ولا يتزوج عليها لأن الزاني سيترك زناه يوماً ويعود إلى زوجته. وهل هذا حق ومنطق؟! ترضى أن تكون زوجة الزاني وزواج الزاني للمؤمنة حرام.

---

(١) المؤمنون: ٧١.

والزاني عرضة لأن يصاب بالأمراض السرية الجنسية، وقد يعدي زوجته ويورث أمراضه إلى أولاده.

الزاني ينفق ماله في سبيل شهواته، وبذلك يهدم أسرته بيده ورضى زوجته، معاذ الله.

والزاني قد يقنع بمزنيته، فيطلق زوجته، فتضيع الزوجة دينها ودنياها حين رضيت لزوجها بالإثم، والرضى بالإثم إثم والرضى بالكفر كفر.

ثم ما الذي سيمنع تلك المسكينة أن تزني كما يزني زوجها، ومن هانت عليه أعراض الناس هان عليه عرضه.

وصدق رسول الله ﷺ في قوله: «مَنْ يَزْنِ يُزن به ولو بحيطان داره»[1] وقد ضمّن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى معنى هذا الحديث حين قال:

من يَزْنِ يُزنَ به ولو بجداره
إن كنت يا هذا لبيباً فافهمِ
إن الزنى دَيْن فإن أقرضته
كان الوفا من أهل بيتك فاعلمِ

أما أولئك الحمقاوات فيُبَصِّرْنَ طريق الحق من الرجال ويُلزمن إياه.

أما الجهال الذين يتصوّرون في تعدد الزوجات تقاتل الزوجات الدائم والأولاد، وتنازعهم، وتفكك الأسرة، وتشرد الأطفال إلخ ما

---

(١) رواه ابن النجار عن أنس. قال الإمام السيوطي: صحيح.

يقولون. أما هؤلاء فيقال لهم: إن تعدد الزوجات تشريع الله الحكيم الذي لا يقع منه سبحانه خطأ، ولا ظلم، ولا جهالة، ويكفي للعاقل أن يقال له: إن الله تعالى قد شرع تعدد الزوجات ليقبله ويقنع به، لما يعلم أن الله تعالى ما شرع لعباده إلّا ما يجلب لهم سعادة الدنيا والآخرة.

ما وجه الفساد في حياة رجل أقام أسرتين في بيتين يبيت كل ليلة في بيت، يضم زوجته وأولاده في كل بيت، ويقوم على تربيتهم والعناية لهم، وينفق عليهم على قدر جهده وطاقته؟!.

إن الرجل قد يكون موظفاً وتقتضي وظيفته أن يبيت ليلة في دائرته وليلة في بيته، هل يقول أحد إن هذا الرجل يهدم أسرته ويشرد أولاده؟ إن عمار الأسرة وانهدامها يكون بسلوك الزوجين.

وكم من الأسر هنا وهناك تقوم على زوجين وأولاد، ثم تجد الأسرة المفككة والأولاد المشردين، لأن الأب لا يبالي بأولاده قدر ما يبالي بسهرته وناديه وأصحابه، والزوجة قد انصرفت عن أولادها إلى الاستقبالات ودور السينما وسهرات الاختلاط؟!..

ولن يضيق رزق الأطفال إذا كثروا في أسرة أو أسرتين، فإنَّ الله هو الرزّاق ذو القوّة المتين، قال الله تعالى: ﴿ ولا تقتلوا أولادَكم خَشْيَةَ إملاقٍ نحن نرزُقهم وإياكُم إن قَتْلَهم كان خِطْئاً كبيراً ﴾[1].

بل المشاهد أنه على كثرة الأولاد يوسِّع الله تعالى في الرزق.

وواقع بعض الذين يعددون في الزوجات بقصد الإغاظة

(١) الآية ٣١ من سورة الإسراء.

للزوجة الأولى، أو الذين ينسون الزوجة الأولى عند الزواج بالثانية، أو يسكنون الزوجة الثانية مع الزوجة الأولى، ويفتحون أبواب فتنة الغَيْرة، وآثارها بين الزوجات.

واقع هؤلاء أنهم ليسوا قدوة، لأنهم منحرفون والإسلام حجة عليهم، وما كان الناس أبداً حجة على الإسلام، بل الإسلام كان ويكون حجة لهم أو عليهم.

والتشرد، وتفكك الأسرة، وجرائم الأحداث، والخلافات الزوجية، يُبحث عنها في غير الأسر الملتزمة بالإسلام سواء كان للزوج زوجة واحدة أو أكثر.

كما يبحث عنها في الأسر القائمة على غير أحكام الإسلام، ويتخذ الرجل أكثر من زوجة واحدة.

قد تقول لماذا يتزوج الرجل أكثر من امرأة؟

أقول: قَدِّرْ أي سبب من الأسباب إلاَّ أن يكون أذى الزوجة، فذلك إثم والمسلم يتهرب عن الوقوع في الإثم، ويتجنب جهده الأذى.

١ ـ قد يكون السبب أنه يود الاقتداء برسول الله ﷺ الذي كانت له أكثر من زوجة، والحب يدفع إلى الاقتداء.

٢ ـ قد يكون أن الرجل قوي البنية، موفور الرغبة الجنسية، فلا يقنع بامرأة.

٣ ـ قد يكون أن الرجل يحب أن يكثر نسل المسلمين، وذلك أمر يسره ﷺ.

٤ ـ وقد يكون أن الزوجة الأولى لا ولد لها، أو لها أولاد قليلون، وهو يريد الولد أو كثرته.

٥ ـ قد يكون أن أخاه مات وترك أولاداً فهو يخشى على زوجة أخيه وأولاده الضياع والتشتت.

إن تعدد الزوجات بأي سبب وقع يُعظم مسؤولية الرجل، فلن يقدم عليه إلاّ إذا رأى الحاجة، والقدرة على القيام بالواجب.

والعجب العجيب حقاً تكاثر الفساد الخُلقي، وانتشار الزنى في الأمة، وزيادة نسبة الطلاق بسبب ما يسمونه الخيانة الزوجية.

العجب العجيب أن هناك أصواتاً ترتفع تريد منع تعدد الزوجات المشروع، ولكنها لا ترتفع ضد الفساد الخلقي من التبرج والاختلاط والعهر والزنى وانتهاك الأعراض، على الأقل باسم حفظ شرف المرأة وكرامتها!.

وهذا الذي يظهر صراحة لكل ذي عينين أن أولئك الآخرين يمقتون الإسلام وأحكامه، ثم لا يبالون بشرف وكرامة إلاّ على مقاييسهم هم!.

والله ما مثلهم لدى أصحاب العقول إلاّ كما قال القديم:

كناطحٍ صخرةً يوماً ليوهِنَها
فلم يِهِنْها وأوهى قرنَه الوَعِلُ

حكمة تعدد زوجات الرسول ﷺ:

وأجد مناسبة في هذه الرسالة لأورد بإيجاز الحكمة من تعدد زوجات الرسول ﷺ، فقد زادت جرأة بعضهم، وحرية الكلام على ألسنتهم، حتى تكلّموا في رسول الله ﷺ، وحاولوا التنقيص من ذاته الشريفة.

كان رسول الله ﷺ الإنسان الكامل في كل شيء؛ في إيمانه وعبادته، في عقله وعاطفته، في قوته الروحية والجسمية، في إدراك المصلحة وتقدير الظروف لكل حالة.

فكان أن جمع تسع نساء عنده. ولكن متى كان ذلك؟.

كان ذلك بعد أن عاش مراهقته وفتوته وشبابه إلى الخامسة والعشرين من عمره الشريف ولم يقارف زنى ولم يرتكب فاحشة، وقد كانت الساقطات أيامه يرفعن الأعلام على بيوتهن ليعرفهن الناس، وكان العرب لا يرون في هذا غضاضة خاصة مع الجواري المهيآت لذلك.

وبعد أن تزوج في الخامسة والعشرين من عمره الشريف بخديجة رضي الله تعالى عنها وأقام معها خمساً وعشرين سنة، لم يتزوج أثناء ذلك غيرها ولم يقارف زنى، وقد كانت تكبره بخمس عشرة سنة.

وبعد أن أقام عقب وفاة خديجة رضي الله تعالى عنها قرابة ثلاث سنوات وليس له إلاّ زوجة واحدة، هي سودة بنت زمعة.

إذن فقد عدّد رسول الله ﷺ في الزوجات بعد الثالثة والخمسين من عمره الشريف، وهو سن لَعَمْرُ الله تضعف فيه الرغبات الحيوية المختلفة من رغبات الجسم والعاطفة.

فما الحكمة إذن من جمعه ﷺ لتسع نساء عنده؟.

يمكن حصر حكمة تعدد الزوجات للرسول ﷺ فيما يلي:

١ ـ الحكمة التعليمية: فكانت نساؤه ﷺ يَذْكُرْنَ للناس من

أقواله وأفعاله وأحواله ﷺ في نفسه وبينه وبين أهله، ما يصعب أن يطلِّع عليه إلاّ الزوجات.

وتعد عائشة رضي الله عنها رابعة ثلاثة رجال في كثرة الرواية عن رسول الله ﷺ.

٢ ـ الحكمة التشريعية: كما كان في زواجه ﷺ من زينب زوجة ولده بالتبنِّي، ليهدم بذلك بدعة اعتبار الولد المتبنَّى كالصُّلْبي في حرمة نكاح زوجته.

وللأسف إن بعضاً من المسلمين مع علمهم بحرمة التبني، وعدم بناء أي حكم عليه من دخول على الزوجة والخلوة بها، والإرث، يتبنَّون ويسجلون أولئك أولاداً، لهم ما للأولاد، ساء ما يفعلون!!.

٣ ـ الحكمة الاجتماعية: ائتلفت عليه ﷺ قبائل وأعيان حين تزوج منهم.

٤ ـ الحكمة السياسية: كما كان حين تزوج ﷺ صفية بنت حُيَيّ رئيس بني النضير بعد فتح خيبر.

٥ ـ الحكمة التكريمية: فقد شرَّف الله تعالى بعض النساء فجعلهن بزواجه ﷺ بهنَّ أمهات للمؤمنين، وزوجاته في الدنيا والآخرة.

فلتقطع تلك الألسنة التي تسعى أن تلوِّث سيرة أطهر إنسان في الوجود وتتهمه. وشرف تلك الألسنة وأمثالها أن تثني عليه ﷺ

وتمدحه، وتقول فيه بقول الله تعالى: ﴿ وإنَّك لَعلَى خُلُقٍ عظيم ﴾[1].

تعدد الزوجات في ألمانيا منع أن ينفذ:

عقد مؤتمر للشباب العالمي في ميونيخ بألمانيا سنة ١٣٦٨ - ١٩٤٨ واشترك بعض الأعضاء المسلمين من البلاد العربية. وكان من لجان ذلك المؤتمر لجنة تبحث مشكلة زيادة عدد النساء في ألمانيا أضعافاً مضاعفة بعد الحرب. وقد استعرضت مختلف الحلول لهذه المشكلة، وتقدَّم الأعضاء المسلمون في هذه اللجنة باقتراح إباحة تعدد الزوجات. وقد أقرت اللجنة هذا الاقتراح لأنه لا حلّ غيره في معالجة المشكلة. وفي عام ١٩٤٩ تقدَّم أهالي «بون» بألمانيا بطلب إلى السلطات المختصة يطلبون فيه أن ينص في الدستور الألماني على إباحة تعدد الزوجات. ونشرت الصحف أن الحكومة الألمانية أرسلت إلى مشيخة الأزهر تطلب منها نظام تعدد الزوجات في الإسلام، لأنها تفكر في الاستفادة منه في مشكلة زيادة عدد النساء. ثم تبع ذلك وفد من علماء الألمان اتصل بمشيخة الأزهر لهذه الغاية[2].

ولم ينفذ مبدأ تعدد الزوجات بألمانيا رغماً عن إرادتها، لأن الدول التي احتلتها خشيت «حين تجد كل فتاة زوجاً شرعياً» أن لا يجد جنود الاحتلال متعتهم المحرمة التي يجدونها اليوم بغاية

---

(١) سورة القلم: ٤.

(٢) تنظيم الإسلام للمجتمع نظام الأسرة والعقوبات للدكتور رمزي نعناعة ص ٦٢.

اليسر، كما أن فساد الأخلاق في ألمانيا المحتلة كان هدفاً من أهداف الاحتلال، لكي يؤخر قَوْمة الغول الذي يهدد المحتلين[1]. وقال شوبنهور: لقد أصاب الشرقيون مرة أخرى في تقريرهم لمبدأ تعدد الزوجات ـ بل الله تعالى قرر ذلك ـ لأنه مبدأ تحتمه وتبرره الإنسانية. والعجب أن الأوروبيين الذين يستنكرون فيه هذا المبدأ نظرياً يتبعونه عملياً. فما أحسب أن بينهم من ينفذ مبدأ الزوجة الواحدة على وجهه الصحيح.

الطلاق

سبق الكلام على بعض الدوافع والأسباب التي تدفع إلى الطلاق، وعلى الحكمة من كون الطلاق بيد الزوج، وهنا يأتي الحديث باختصار على نظام الطلاق من خلال النقاط التالية:

أ ـ كان العرب قبل الإسلام يطلِّقون نساءهم لأتفه الأسباب ويطلِّقون ما شاؤوا من الطلقات، فجاء الإسلام يقرر أن: «أبغض الحلال إلى الله الطلاق»[2] «لا يَفْرَك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خُلُقاً، رضي منها آخر..»[3]. ﴿ وعاشروهنَّ بالمعروفِ، فإنْ كرهتموهُنَّ فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعلَ الله فيه خيراً كثيراً ﴾[4].

---

(١) انظر المرأة بين الفقه والقانون للشيخ مصطفى السباعي رحمه الله تعالى ص ٧٥.

(٢) رواه أبو داود والبيهقي والحاكم، وهو صحيح.

(٣) رواه مسلم.

(٤) الآية ١٩ من سورة النساء.

ويحدِّد الطلقات بثلاث لا يملك الزوج على زوجته طلقة بعدها، ولا سبيل له إليها إلّا بعد زواج عادي لها من غيره ومعاشرتها ثم يطلقها أو يموت عنها.

فنفَّر الإسلام من الطلاق بهذا الأسلوب المبين، وأمر بمعاشرة الزوجة بالمعروف، ومقابلة الحقوق بالواجبات كما سبق.

وإذا ظهر الخلاف بين الزوجين، واستبد، وأضحت الحياة الزوجية نكداً وشقاوة، فإن على الزوج اتباع الوسائل التالية لعلها تحول دون وقوع الطلاق المكروه:

١ ـ يذكِّرها بالله تعالى، وأن له عليها حق الطاعة في طاعة الله تعالى ومباح الأمر، دون مكروهه ومحرَّمه، ويذكِّرها بسوء عاقبة نقض الزوجية وقد أفضى فيها أحدهما إلى الآخر، وأبدى كل منهما لزوجه من نفسه وجسمه وأحوال قلبه ما لم يُبْدِ حتى لأبويه، ويذكِّرها بضياع الأولاد إذا تفرق شمل الأسرة.

فإن أجدى هذا كان خيراً، وحيل به بينه وبين الطلاق.. وإلّا،

٢ ـ فإنه يهجرها في فراشها، وفيما يكون بين الزوجين، وله أن يضربها في غير وجهها ضرباً غير مبرِّح[1] ـ ولا يفعل ذلك خيار

(١) قال صاحب الخلاصة: (للزوج أن يضرب المرأة على أربع خصال: إحداها: خروجها من منزله بغير إذنه. الثانية: ترك الزينة له. الثالثة: ترك الإجابة إذا أراد الزوج الجماع وهي طاهرة. الرابعة: تركها الصلاة وبمنزلة ترك الصلاة ترك الغسل من الجنابة والحيض. وإذا نشزت عن الزوج يضربها بعد النصيحة ولا يجوز ضربها بغير هذه الخصال الأربع فإن ضربها يكون فاسقاً عاصياً). عن مجالس إرشادية ص ٣٢٠ للشيخ محمد أمين حسن.

الناس ـ ولا يحرمها في ذلك النفقة الواجبة والمؤانسة بالجلوس بعض الوقت في البيت، وإنه لكثير على المرأة أن ترى زوجها ينفق عليها ثم هو يستغني عنها في فراشه وقد لا تحتمله. فإن أجدى هذا كان خيراً وحيل به بينه وبين الطلاق.. وإلاَّ،

٣ ـ فإن الزوج يعلن بهذا الخلاف إلى أهله، وتعلن الزوجة إلى أهلها، ويختار كل من الزوجين من يتكلمٌ باسمه ويكون لذلك المختار سلطة إمضاء ما يراه وتنفيذه. قال الله تعالى: ﴿ وإنْ خِفْتُم شِقَاقَ بَيْنِهما؛ فابعثُوا حَكَماً مِنْ أهْلِهِ وحَكَماً مِنْ أهلِها، إنْ يُرِيدا إصلاحاً يُوَفِّقِ اللهُ بينهما ﴾(١).

فإن أجدى ذلك كان خيراً وحِيلَ به بينه وبين الطلاق.. وإلاَّ،

٤ ـ فإذا استمر الخلاف والنزاع، وضاق صدر الزوج ونفد صبره، وأراد طلاقها، كان عليه أن: ينتظر طُهْـرَ زوجته من الحيض، ثم يطلِّقها في ذلك الطهر دون أن يجامعها فيه، طلقة واحدة.

وذلك الطلاق طلاق واحد رَجْعي من طَلَقات ثلاث.

فإذا ظهر الندم منهما على الفراق، وشق عليهما هدم عش الزوجية وتفريق الأولاد، وقررا العودة إلى سابق الحياة الزوجية؛ جاز للزوج أن يعيدها إلى عصمته دونما حاجة إلى عقد نكاح أو مهر، ودونما حاجة إلى رضاها، ودونما حاجة إلى شهود إلاّ على سبيل النَّدب، بكلمة تدل على الرجعة، فتعود الزوجة إلى

---

(١) الآية ٣٥ من سورة النساء.

عصمته، ويبنيان الحياة على بنائها السابق، وقد بقي له عليها طلقتان فقط.

فإن دبَّ الخلاف بينهما من جديد، ولم تُجْدِ الطرق السابقة في حلِّ النزاع، جاز للزوج أن يطلقها طلقة واحدة في طهر لم يجامعها فيه.

فإذا ندما على الفراق وشق عليهما، صح للزوج أن يعيدها إلى عصمته كما سبق. وقد بقي له عليها طلقة واحدة.

فإن اختلفا من جديد تبيَّن بذلك صعوبة استمرار الحياة الزوجية بينهما، فإذا طلَّقها على الصورة التي ذكرتُ من قبل، كان ذلك الطلاق الأخير الذي يحرِّمها عليه، ولا يجوز لهما العودة إلى سابق حياتهما مهما رغبا في ذلك؛ إلّا بعد أن يتزوجها رجل آخر زواجاً شرعياً بشروطه وأركانه ويدخل بها دخولاً فعلياً، ثم يطلِّقها لخلاف يقع بينهما، أو يموت عنها.

فإذا انقضت عدّتُها من الزوج الثاني لحالة الطلاق أو الوفاة، جاز لزوجها الأول أن يتزوجها زواجاً شرعياً بشروطه وأركانه ويُعد هذا الزواج زواجاً جديداً فيملك عليها فيه ثلاث طلقات كما لو كان لم يتزوجها من قبل.

قال الله تعالى: ﴿ الطَّلاقُ مَرّتانِ فإمْساكٌ بمعروفٍ أو تسريحٌ بإحسان.. فإنْ طلَّقها فلا تحلُّ له من بعد حتى تنكحَ زوجاً غيره ﴾[1]. وقال ﷺ للتي طلَّقها زوجها ثلاثاً وتزوجت بغيره،

(١) الأيتان ٢٢٩ ـ ٢٣٠ من سورة البقرة.

فأرادت أن تعود إلى زوجها الأول: «لا، حتى تذوقي عُسَيلته ويذوق عُسَيلتك»[1].

هذا هو الأصل في الطلاق، وهذا نظامه الشرعي.

١ ـ ولكن قد يأثم الرجل في حالة نفاد الصبر من أذى شديد لا يطيقه، فيجمع الطلقات الثلاث بلفظ واحد، بأن يقول لزوجته هي طالق ثلاثاً، أو عشراً، أو مائة.

فتقع عليه الطلقات الثلاث، وتحرم عليه زوجته، ولا تحلُّ إلاَّ بعد زواج من زوج آخر بشروطه وأركانه.

من الأدلة على وقوع الطلقات الثلاث بلفظ واحد ثلاثُ طلقاتٍ حديث عويمر العجلاني ـ المخرَّج في البخاري ـ حيث قال في مجلس ملاعنته زوجته التي اتهمها بالزنى وليس له شهود: كذبتُ عليها إن أمسكتها يا رسول الله، فطلَّقها ثلاثاً قبل أن يأمره رسول الله ﷺ قال مالك: قال ابن شهاب فكانت تلك سنة المتلاعنين.

ولم يرد في رواية أنه عليه الصلاة والسلام أنكر عليه ذلك، فدلَّ على وقوع الثلاث مجموعة، لأن رسول الله ﷺ لم يكن ليدَع الناس يفهمون وقوع الطلقات الثلاث بلفظ واحد لو لم يكن هذا الفهم صحيحاً، وقد فهم منه ذلك الأمة جمعاء، حتى ابن حزم حيث قال: إنما طلَّقها وهو يقدِّر أنها امرأته، ولولا وقوع الثلاث مجموعة لأنكر ذلك عليه. وفهم الإمام البخاري كذلك من الحديث ما فهمته الأمة جمعاء من وقوع الثلاث المجموعة ثلاثاً،

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

حيث ساق الحديث في صحيحه في باب: من أجاز طلاق الثلاث، ثم حديث العسيلة، ثم حديث عائشة فيمن طلّق ثلاثاً. ومراده بالجواز عدم الإثم كما هو رأي الشافعي وابن حزم. والأكثرون على أن وقوع الثلاث مجموعة مقرون بالإثم، كما بسطه ابن عبد البر في كتابه: الاستذكار[1].

وهو ما فهمه أئمة المذاهب الأربعة التي عليها أكثر المسلمين وأتباعهم؛ إلاّ من شذّ منهم كابن تيمية الحنبلي، ولا عبرة بقوله فيما شذ فيه.

روى مالك بسنده إلى عطاء بن يسار، قال: جاء رجل فسأل عبد الله بن عمرو بن العاص عن رجل طلّق امرأته قبل أن يمسها. قال عطاء: فقلت إنما طلاق البكر واحدة، فقال عبد الله بن عمرو بن العاص: إنما أنت قاصٌ! الواحدة تبينها، والثلاثة تحرمها حتى تنكح زوجاً غيره.

وروى أيضاً بسنده إلى معاوية بن أبي عيّاش الأنصاري أنه كان جالساً مع عبد الله بن الزبير وعاصم بن عمر بن الخطاب، قال فجاءهما محمد بن إياس بن البُكير، فقال: إن رجلاً من أهل البادية طلّق امرأته ثلاثاً قبل أن يدخل بها فماذا تريان؟ فقال عبد الله بن الزبير: إن هذا الأمر ما لنا فيه قول فاذهب إلى عبد الله بن عباس وأبي هريرة فإني تركتهما عند عائشة فسَلْهما ثم ائتنا فأخبرنا، فذهب فسألهما، فقال ابن عباس لأبي هريرة أفته يا

(١) انظر الإشفاق على أحكام الطلاق للشيخ الفقيه المحدث محمد زاهد الكوثري رحمه الله تعالى ص ٢٩.

أبا هريرة فقد جاءتك معضلة، فقال أبو هريرة: الواحدة تبينها والثلاثة تحرمها حتى تنكح زوجاً غيره.

وقال ابن عباس مثل ذلك. وقال مالك بعد روايته هذا الأثر: وعلى ذلك الأمر عندنا. والثَّيب إذا ملكها الرجل فلم يدخل بها إنها تجري مجرى البكر. الواحدة تبينها، والثلاث تحرِّمها حتى تنكح زوجاً غيره.

وعن مالك أنه بلغه أن رجلاً جاء إلى عبد الله بن مسعود فقال: إني طلَّقت امرأتي ثماني تطليقات. قال ابن مسعود فماذا قيل لك؟ قال: قيل لي إنها قد بانت مني. فقال ابن مسعود: صدقوا. من طلَّق كما أمره الله فقد بيَّن الله له ومن لَبَّس على نفسه جعلنا لَبْسه ملصقاً به. لا تُلَبِّسوا على أنفسكم ونتحمله عنكم، هو كما يقولون[1].

وأما حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر بن الخطاب: (إن الناس قد استعجلوا في أمر قد كانت لهم فيه أناة، فلو أمضيناه عليهم فأمضاه عليهم)[2].

فقد قال فيه الحافظ ابن رجب - تلميذ ابن تيمية زماناً ثم هجره - في كتابه (مشكِل الأحاديث الواردة في أن الطلاق الثلاث

(١) تنوير الحوالك شرح موطأ الإمام مالك، الجزء الثاني مفرقاً، من كتاب الطلاق ما جاء في السنة.
(٢) رواه مسلم.

واحدة): فهذا الحديث لأئمة الإسلام فيه طريقان: **أحدهما**: مسلك الإمام أحمد ومن وافقه، وهو يرجع إلى الكلام في إسناد الحديث بشذوذه، وانفراد طاووس به، وأنه لم يتابَع عليه. وانفراد الراوي بالحديث ـ مخالفاً للأكثرين ـ وإن كان ثقة هو علّة في الحديث توجب التوقف فيه، وأن يكون شاذاً منكراً إذا لم يرد معناه من وجه يصح.

وهذه طريقة أئمة الحديث المتقدمين كالإمام أحمد ويحيى بن مَعِين ويحيى بن القطان وعلي بن المديني وغيرهم. وهذا الحديث ما يرويه عن ابن عباس غير طاووس. قال الإمام أحمد في رواية ابن المنصور: أصحاب ابن عباس روَوا عنه خلاف ما روى طاووس.

وقال الجوزقاني (صاحب الجرح): هو حديث شاذ، وقد عَنيتُ بهذا الحديث في قديم الدهر فلم أجد له أصلاً.

ثم قال ابن رجب: ومتى أجمعت الأمة على اطِّراح العمل بحديث وجب اطِّراحه وترك العمل به. ثم قال: وقد صحّ عن ابن عباس ـ وهو راوي الحديث ـ أنه أفتى بخلاف هذا الحديث ولزوم الثلاث المجموعة، وقد علل بهذا أحمد والشافعي كما ذكره ابن قُدامة في «المغني»، وهذه أيضاً علّة في الحديث بانفرادها. كيف وقد انضم إليها علّة الشذوذ والإنكار وإجماع الأمة على خلافه.. الخ.

المسلك الثاني: هو مسلك ابن راهَويه ومن تابعه. وهو: الكلام في معنى الحديث وهو: أن يُحمل على غير المدخول بها.

نقله ابن منصور عن إسحق بن راهويه وإليه مال الحُوفي في

(الجامع) وبوَّب عليه أبو بكر بن الأثرم في سننه.

وفي سنن أبي داود من رواية حمَّاد بن زيد عن أيوب عن غير واحد عن طاووس عن ابن عباس: (كان الرجل إذا طلق امرأته ثلاثاً قبل أن يدخل بها جعلوه واحدة على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وصدر من إمارة عمر، فلما رأى الناس قد تتابعوا فيها قال: أجيزوهن عليهن) وأيوب إمام كبير.

فإن قيل تلك رواية مطلقة؟ قلنا: نجمع بين الدليلين ونقول: هذا قبل الدخول إ هـ، فلا نلتفت إلى قول ابن تيمية وابن القيِّم الحنبليين[1] والشوكاني الزيدي في مخالفة رجال الحديث والمذاهب الذين قالوا بوقوع الثلاث ثلاثاً على من جمع العدد في لفظ واحد.

ولعلّه ظهر بهذا البيان أن إمضاء عمر رضي الله تعالى عنه حكمٌ شرعي مستمد من الكتاب والسنة، مقارن بإجماع فقهاء الصحابة، فضلاً عن التابعين ومن بعدهم، وليس بعقوبة سياسية ضد حكم شرعي، فالخارج على إمضاء عمر خارج على ذلك كلِّه[2].

٢ ـ وقد يخالف الرجل فيطلِّق زوجته وهي حائض، أو في طهر قد جامعها فيه، فإن فعل ذلك عُدّ ذلك الطلاق.

---

(١) والمذهب الحنبلي الذي يُقضى به في السعودية يجعل الطلقات الثلاث المجموعة ثلاثاً.

(٢) الإشفاق على أحكام الطلاق من مواضع. وحبذا قراءة الكتاب كله فهو كتاب جامع نافع. وانظر (أضواء البيان) للشيخ محمد أمين الشنقيطي، الجزء الأول.

عن أنس بن سيرين قال: (طلَّق ابن عمر امرأته وهي حائض)، فذكر عمر للنبي ﷺ فقال: «ليراجعها» قلت: تحسب عليه؟ قال: «فمَهْ»[1].

أي قال أنس لعمر بعد ذلك: هل حسب رسول الله ﷺ تلك الطلقة مع وقوعها بدعة؟ فقال عمر: فماذا يكون إذا لن تحسب طلقة.

وقد بوَّب البخاري على وقوع طلاق الحائض في صحيحه حيث قال: (باب إذا طُلِّقت الحائض يعتد بذلك الطلاق) بدون أي إشارة إلى خلاف في ذلك، وساق حديث ابن عمر في طلاق امرأته وهي حائض: «مُرْه فليراجعها».

ونصَّ مسلم أيضاً على احتساب تلك التطليقة حيث قال: وحسبت لها التطليقة التي طلقها.

ونصوص مذاهب الأئمة الأربعة متوافرة على وقوع الطلاق في الحيض مع الإثم، كما يقع الظِّهار وتُبنى عليه آثاره مع كونه إثماً كـذلك. فـلا يلتفت إلى قول ابن تيميـة وتلميذه ابن القيم، والشوكاني وصديق حسن خان.

٣ ـ وقد يخالف الزوج الأصل في الطلاق فيعلِّق الطلاق بأن يقول لزوجته: إن ذهبتِ إلى بيت فلانة فهي طالق. فإذا ذهبت الزوجة إلى بيت فلانة وقع الطلاق، سواء قصد بذلك الطلاق أو قصد تهديد الزوجة بعدم الذهاب.

---

(١) رواه البخاري.

سئل عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه عن رجل قال لامرأته: إن فعلتْ كذا وكذا فهي طالق، ففعلته. قال ابن مسعود: (هي واحدة)(١).

قال نافع: طلَّق رجل امرأته البتة إن خرجت، فقال ابن عمر: (إن خرجت فقد بانت منه)(٢).

وإنما قال بانت منه لأن البتة من ألفاظ الكناية عن الطلاق، وبألفاظ الكناية يقع الطلاق بينونة صغرى.

وقد أجمعت الأمة على وقوع الطلاق المعلَّق عند تحقُّق الشرط، سواء كان على وجه اليمين أو لا على وجه اليمين، وقد نقل هذا الإجماع أئمة لا يرتاب في صحة نقلهم، فمنهم الإمام الشافعي، وأبو عبيد ـ وكان من أئمة الاجتهاد ـ وأبو ثَوْر، وابن جرير الطبري، وابن المنذر، ومحمد بن نصر المروزي، والحافظ ابن عبد البر في كتابه الاستذكار، وابن رشد، والإمام الباجي، وغيرهم.

وأما أبو حنيفة والشافعي ومالك وأتباعهم فلم يختلفوا في هذه المسألة، بل كلُّهم نَصُّوا على وقوع الطلاق. وهذا مستقر بين الأمة.

والإمام أحمد أكثرهم نصاً عليها، فإنه نص على وقوع

(١) رواه البيهقي بسند صحيح.
(٢) رواه البخاري.

الطلاق، ونص على أن يمين الطلاق والعتاق ليست من الأيْمان التي تكفَّر ويدخل فيها الكفارة.

ودعوى ابن تيمية ومقلِّده ابن القيِّم التفريق في الطلاق المعلَّق بين أن يقصد به التهديد أو الطلاق، قول خارج عن الإجماع ومذاهب الأئمة الأربعة ومنها مذهب أحمد. والله أعلم.

الطلاق على الرجل للمرأة:

إذا كان إساءة العشرة الزوجية راجعة إلى الزوج، فقد جعل الإسلام للمرأة حقَّ طلب الطلاق، وذلك في حالات:

١ ـ إذا اشترطت المرأة لنفسها حقَّ الطلاق عند عقد النكاح ووافق الزوج على ذلك. والشرط أملك، «والمؤمنون عند شروطهم، إلاّ شرطاً أحلَّ حراماً أو حرّم حلالاً»[١].

٢ ـ إذا خافت على نفسها الوقوع في إثم العقوق ومخالفة الزوج الذي لا تحبه. جاءت امرأة ثابت بن قيس ـ وهي جميلة أخت عبد الله بن أبيّ ـ إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خلق ولا دين، ولكن أكره الكفر في الإسلام. فقال ﷺ: «أتردِّين عليه حديقته؟» قالت: نعم، قال رسول الله ﷺ ـ أي لثابت ـ: «اقبل الحديقة وطلِّقها تطليقة»[٢].

٣ ـ إذا ساءت عشرة زوجها لها بأن يظلمها في نفسها أو دينها، فتتفق معه على أن يطلِّقها على قَدْر من المال تعطيه إياه، قال الله

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

تعالى: ﴿ فإنْ خفْتُم أنْ لا يُقيما حدودَ اللهِ فلا جُناح عليهما فيما افْتَدَتْ به ﴾[1].

وقد كره إمامنا أبو حنيفة رحمه الله تعالى للزوج المسيء إلى زوجته أن يأخذ شيئاً من مهرها حين يطلِّقها بطلبها ذلك منه، فإن الإسلام دين المروءة وليس من المروءة أن يسيء إليها، وإذا طلَّقها أخذ مالها، قال الله تعالى: ﴿ وإنْ أردتُمُ استبدالَ زَوْجٍ مكان زَوْجٍ وآتيتُم إحداهُنَّ قِنْطاراً، فلا تأخذوا منه شيئاً، أتأخذونه بُهتاناً وإثماً مُبيناً ﴾[2].

٤ ـ إذا عجز الزوج عن الوصول إلى زوجته بأن كان عِنِّيناً أو خَصِيّاً، فإنها ترفع أمرها إلى القاضي الذي يمهل الزوج سنة، فإذا لم يستطع الوصول إليها وطلبت التفريق، فرّق القاضي بينهما[3].

٥ ـ إذا جُنَّ الزوج أو ظهر به بَرَص أو جُذام، فإن للزوجة أن تطلب من القاضي التفريق بينها وبين زوجها، ويفعل القاضي ذلك[4]، وتفريق القاضي يعدّ طلاقاً بائناً لا يحق للزوج إرجاع زوجته إلاّ برضاها وعقد ومهر جديدين.

الطلاق عند الآخرين:

والآن، لِنُلْقِ نظرة مجملة على نظام الطلاق في أمم الغرب

---

(١) الآية ٢٢٩ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٢٠ من سورة النساء.

(٣) الهداية للمرغيناني.

(٤) هذا على قول الإمام محمد. أما الإمام أبو حنيفة وأبو يوسف فقالا: لا خيار لها. انظر الهداية وشروحها (٢٦٨/٣).

النصراني، وهو النظام الذي يريدنا التقدميُّون على السير عليه ويطلبون إلى أولياء أمورنا أن يستوردوه إلى بلادنا.

ترجع جميع المذاهب النصرانية التي تعتنقها أمم الغرب النصراني إلى ثلاثة مذاهب: المذهب الكاثوليكي، والمذهب الأرثوذوكسي، والمذهب البروتستانتي.

فالمذهب الكاثوليكي يحرِّم الطلاق تحريماً باتاً، ولا يبيح فَصْمَ الزواج لأي سبب مهما عظم شأنه، وحتى الخيانة الزوجية نفسها لا تعدّ في نظره مبرراً للطلاق، ويبيح في هذه الحالة التفرقة الجسمية..!.

وتعتمد الكاثوليكية على ما جاء في إنجيل «متّى» على لسان عيسى عليه السلام فيما يقول متى الذي لم يَلْقَ عيسى عليه السلام: لا يصح أن يفرِّق الإنسان ما جمعه الله[1].

وبعض الفرق التي تشعبت عن الكنيسة الكاثوليكية تبيح الطلاق في حالة الخيانة الزوجية من الزوج أو الزوجة، ولكنها تحرم ـ كالأصل في الكاثوليكية ـ على كِلا الزوجين أن يتزوَّج بعد ذلك.

والمذهبان النصرانيان الآخران الأرثوذكسي والبروتستانتي يبيحان الطلاق في بعض حالات محدودة من أهمها الخيانة الزوجية، ولكنهما كذلك يحرِّمان على الرجل والمرأة كليهما أن يتزوجا بعد ذلك.

---

(١) إن الجمع والتفريق كليهما بإذن الله تعالى ﴿قُلْ كلّ مِنْ عِنْد الله﴾.

وتعتمد المذاهب النصرانية التي تبيح الطلاق في حالة الخيانة الزوجية على ما ورد في إنجيل «متّى» على لسان عيسى عليه السلام: من طلّق امرأته إلّا بسبب الزنى يجعلها تزني.

وقد استحدث النصارى الأوربيون من القوانين المدنية ما يفتح لهم أبواب الطلاق، ولكن دون القيود والأخلاق التي جاء بها الإسلام. فقد أضحى الطلاق في بعض ولايات أمريكا وروسيا أمراً سهلاً ميسوراً يقره القضاء ولو كان لأتفه الأسباب، ولا ينبني عليه عدّة ولا نفقه أثناءها، فمن الممكن أن يتزوج الرجل المرأة اليوم ويطلقها بعد أسبوع فيتزوج غيرها وتتزوج سواه.

وبقي الأمر في معظم الدول المنتسبة إلى النصرانية متأثّراً بروح الكنيسة، فلم تُبِحْ الطلاق إلّا في حالات محدودة وبطرق وإجراءات معقّدة كل التعقيد، ولا تنتهي إلى الطلاق إلّا بعد أمد طويل كما هو الحال في فرنسا وأمثالها. فالقانون المدني الفرنسي لا يبيح الطلاق إلّا لواحد من ثلاثة أسباب: **أحدها** الزنى من أحد الزوجين. **وثانيها** تجاوز الحد والإهانة البالغة في معاملة أحد الزوجين للآخر. **وثالثهما** الحكم على أحد الزوجين بعقوبة قضائية مهينة.

أما المرض والإصابة بعاهة والجنون نفسه ـ ولو أدى إلى تجاوز الحدّ في المعاملة ـ والغَيْبة الطويلة، والشقاق البالغ، واتفاق الطرفين على الفرقة.. أما هذه وما إليها فلا تبيح الطلاق في نظر القانون الفرنسي.

وأحد الأسباب الثلاثة التي ذكرها هذا القانون وهو:

الحكم بعقوبة قضائية مهينة لا يتحقق إلّا في حالات المجرمين.

والسبب الثاني وهو تجاوز الحد والإهانة البالغة في معاملة أحد الزوجين للآخر يصعب إثباته، ولذلك يعتمد معظم من يريدون الطلاق هناك على السبب الثالث وهو الزنى، فيجمعون الأدلة اللازمة لإثباته وإقناع القضاء به إن كان حدث بالفعل من أحد الزوجين، أو يلفِّقونه تلفيقاً ويقدمون لإثباته أدلة مزيفة ووثائق مختلفة، ويقرّون باقترافه كذباً أمام القضاء لتسهل عليهم الفرقة.

فلا يكاد يُستطاع الطلاق إذن بحسب هذه الطائفة من القوانين إلّا إذا تهيأ له سبب واحد؛ وهو عار الأبد للزوج والزوجة وأولادهما ونسلهما وأسرتيهما وجميع من يلوذ بهما. ومع ذلك لا يتم الطلاق إلّا بنفقات باهظة لا يقوى عليها كبار الأغنياء، وبعد إجراءات طويلة معقّدة تستغرق في الغالب عدة سنين، ويحكم فيها أولاً بالتفرقة الجسمية فحسب، ثم تستغرق مدة أخرى حتى يحكم فيها بالطلاق.

ولهذا كثر في تلك الشعوب اتخاذ الزوجات للأخلّاء والعشّاق، واتخاذ الأزواج للخليلات والعشيقات، وهجر الأزواج والزوجات لمنزل الزوجية، وفرار الزوجات مع عشّاقهن ـ كما فرت زوجة رئيس وزراء بريطانيا «إيدن» مع عشيقها ـ والأزواج مع عشيقاتهم، وأصبحت هذه الأمور وما إليها من تبادل الزوجات فترة من الزمن بين الأزواج، في كثير من بلاد أوروبا وأمريكا شيئاً عادياً، وأصبحت الأسرة شيئاً لا قيمة له، وأصبحت علائق النسب

الصحيح بين الآباء والأولاد موطن الشك وفريسة الارتياب[1].
فروع:

نسبة الطلاق في السويد ٦٠٪ من عدد الزيجات، وفي أمريكا ٤٠٪ منها، وفي الدانمرك ٣٩٪ منها، وفي ألمانيا الشرقية ٣٠٪ منها، وفي روسيا ٢٨٪، وفي فنلندا ٢٤٪ منها، ثلث الراغبات في الطلاق بفرنسا اللاتي يمارسن عملاً أو مهنة ما.

٢٢٪ من حالات الطلاق بألمانيا الشرقية نتيجة الخيانة الجنسية، و ١٠٪ لأسباب جنسية، و ١٠٪ بسبب إدمان المشروبات الكحولية.

٨٤٪ من الرجال و٤٠٪ من النساء كانت لهم صلات جنسية قبل الزواج. ثم ٤٠٪ من المتزوجين و٢٥٪ من المتزوجات على صلات جنسية بغير أزواجهم[2].

---

(١) عن (صلح الحديبية) للكاتب المعروف عبد الحميد جودت السّحار ص ٣٢٥ وما بعد.

(٢) عن المجتمع الكويتية تحت عنوان عام المرأة. ذو القعدة سنة ١٣٩٦ هـ.

الفصل الرابع

حجاب المرأة المسلمة

١ ـ الأصل في الحجاب أنه عبادة ووقاية:

أما أنه عبادة فلأمر الإسلام به. قال الله تعالى: ﴿ يا أيُّها النبيُّ، قُلْ لأزواجك وبناتِكَ ونساءِ المؤمنينَ يُدْنينَ عليهنَّ مِنْ جَلابيبهنَّ ذلك أدنى أن يُعرفْنَ فلا يُؤذَينَ، وكان الله غفوراً رحيماً ﴾[1].

وأما أنه وقاية فلأنه يساعد على غضِّ البصر الذي أمر الله تعالى به، ويساعد على قطع أطماع الفَسَقة الذين في قلوبهم مرض، ويبعد المرأة عن مخالطة الرجال ومداخلتهم، كما أنه يساعد على ستر العورات التي تثير في النفوس كوامن الشهوات.

(١) الآية ٥٩ من سورة الأحزاب.

٢ ـ الأصل أن الشرائع جميعها فرضت حجاب المرأة عن الرجال:

وقد بقيت لها في كتبها المحرَّفة بقية تشير إلى ذلك[١] ومن الدليل البيِّن لباس الراهبات، ودخول المرأة الكنيسة وقد غطَّت رأسها بساتر.

فالتبرج ليس تحرّراً من شريعة الإسلام فحسب.. إنه تحلُّل عن دين الله تعالى على مدى الأزمان، وخروج على شرائع الله تعالى من ملَّة إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام. فلينظر العاقل الفرق بين التحرُّر والتحلُّل، وليعلم أن المرء غداً يكون مع من أحب في الدنيا.

٣ ـ الدين أصول وشرائع، فالأصول كالإيمان بالله تعالى وما جاء من عنده، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالرسل الخ..، وذلك أمر تتفق فيه جميع الشرائع، فلذا فهي دين واحد واحد.

والشرائع كالقيام بأوامر الله تعالى واجتناب نواهيه من الصلاة والجهاد الخ.

وذلك أمر قد تختلف فيه شريعة عن شريعة من حيث الصورة والطلب، لذا كانت شرائع الأنبياء عديدة ﴿لِكلٍّ جَعَلْنَا منكم شِرْعَةً ومِنْهاجاً﴾[٢].

٤ ـ لا شك أن رافض الشرائع مثل رافض الأصول، يعد

---

(١) انظر المرأة في القرآن للعقاد.

(٢) المائدة: ٤٨.

خارجاً عن الإسلام، فيصبح مرتداً مستباح الدم، وإذا مات على ذلك كان حقاً على المسلمين أن لا يغسلوه ولا يكفّنوه ولا يصلّوا عليه ولا يدفنوه في مقابر المسلمين، وأن لا يرثه أحد من أهله المسلمين كما لا يرث هو من مات من أهله أثناء ردته؛ لأنه بردته قد قطع كل صِلَة بينه وبين أهله.

٥ ـ خضوع المسلم لأصول الدين وشرائعه جميعها هو مجموع الإيمان والإسلام، فمن رفض شريعة من شرائع الإسلام ثبتت بالقرآن الكريم والسنة المتواترة، تبعاً لشبهات وأهواء، أو تقليداً واتّباعاً ـ كالحجاب ـ لم يعدّ من المسلمين. قال الله تعالى: ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قَضَى الله ورسُوله أمراً أن يكونَ لهم الخِيَرَةُ مِنْ أمرهم ﴾[1] وقال سبحانه في شأن المنافقين: ﴿ وإذا دُعوا إلى الله ورسولهِ لِيَحْكُمَ بينهم إذا فريقٌ منهم مُعْرِضون * وإنْ يَكُنْ لهمْ الحقُّ يأتوا إليه مُذْعِنين * أفي قلوبهم مرضٌ، أم ارتابوا، أم يخافونَ أن يَحيفَ اللهُ عليهم ورسولُه؟! بل أولئك هم الظالمون * إنّما كان قولَ المؤمنين إذا دُعوا إلى الله ورسولِهِ ليحكمَ بينهم أن يقولوا سَمِعْنا وأطَعْنا، وأولئك هُمُ المفلحون ﴾[2].

٦ ـ تصنيف الشرائع بين لازم وألزم ليس إلى البشر، ولكن إلى الله تعالى ورسوله ﷺ، فليس لمسلم أن يقول: إن حجاب المرأة اليوم أمر سهل هيِّن لا بأس بتركه ـ وقد كفر أكثر الناس بأصول

---

(١) الآية ٣٦ من سورة الأحزاب.
(٢) الآيات ٤٨ ـ ٥١ من سورة النور.

الإسلام وشرائعه العظيمة ـ طالما أن القصد هو التوقِّي عن معصية النظرة المغرضة والزنى وهما ممكنان مع السفور. .![1].

فكيف يحل أن يكون في المسلمين من يدعو المسلمين إلى الخروج على بعض شرائع الإسلام كالحجاب؟ حقاً إن الدعاة إلى سفور المرأة المسلمة وخروجها متحلِّلة عن أحكام الإسلام مرتدون خارجون عن الإسلام. هم أئمة أكثر من المرأة السافرة إذا كانت تخرج سافرة وهي تعلم أنها تعصي الله تعالى بخروجها كذلك، أما إذا استحلَّت ذلك السفور؛ فقد اشتركت معهم في الكفر والرِّدة، معاذ الله.

٧ ـ الدعوة إلى سفور المرأة المسلمة كانت أول ما كانت دعوة يهودية في المدينة المنورة أيام الإسلام الأولى فيها.

قال أبو عون: كان من أمر بني قَيْنُقَاع أن امرأة من العرب قدمت بجَلَب لها فباعته بسوق بني قَيْنقاع، وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا بها، فوثب رجل من المسلمين إلى الصائغ فقتله ـ وكان يهودياً ـ فشدَّ اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فغضب المسلمون فوقع الشر بينهم وبين بني قَيْنقاع[2].

---

(١) نعني بالسفور ما هو أكثر من إظهار الوجه واليدين وبعض الذراعين وقليل من الشعر.

(٢) سيرة ابن هشام /٣: ٤٨/.

ثم تبع اليهودَ بعد ذلك من تبعهم في دعوة المرأة وحضها على التحلّل من شرائع الإسلام بأسماء عديدة، فكان أن قام «مرقص فهمي القبطي» يدعو إلى تحرير المرأة من الحجاب وكثير من شرائع الإسلام، أيام كانت بريطانيا تستعبد مصر..!

وكان أن قام قاسم أمين ـ العائد من دراسته الحقوق بفرنسا وقد أعجب بحياة الفرنسيين ونسائهم أيما إعجاب ـ يدعو إلى تحرير المرأة المسلمة لتكون شبيهة بالمرأة الغربية، أيام كانت بريطانيا تستعبد مصر، وقد حاول هذا الأخير، أن يُلبِّس على المسلمين باسم الدين فيقرَّ فيهم أحكاماً تخالف أحكام الإسلام في النساء، مستعيناً ببعض من أضلَّه الله تعالى على علم[1].

ثم كان أن صديق بريطانيا «سعد زغلول» هتك حجاب المرأة المسلمة في مصر بيده ـ يا ويله ـ وإليك المأساة: نفت بريطانيا سعد زغلول وجماعته إلى جزيرة «سيسل» فترة.. ثم أعادته إلى مصر لتولِّيه رئاسة الوزراة، وتوقِّع معه معاهدة، فيكون احتلال بريطانيا لمصر شيئاً رسمياً متفقاً عليه! هُيِّىء الجو في الإسكندرية لاستقبال سعد، وأعدَّ سُرادق كبير للرجال، وآخر للنساء المحجبات، وأقيمت الزينات في كل مكان، ونزل سعد من الباخرة، وعلى استقبال حافل وهتافات أخذ طريقه إلى سرادق النساء ـ دون سرادق الرجال ـ، فلما دخل على النساء المحجَّبات استقبلته «هدى شعراوي» بحجابها، فمدَّ يده فنزع الحجاب عن وجهها ـ تبعاً لخطَّة لعينة ـ وهو يضحك، فصفَّقت هدى وصفقت

(١) انظر مؤامرة ضد الأسرة المسلمة للأستاذ عطية خميس.

النساء لهذا الهتك المشين، ونزعن الحجاب، ومن ذلك اليوم أسفرت المرأة المصرية استجابة لرجل الوطنية سعد..! وأصبح الحجاب نشازاً في حياة المسلمة المصرية.

لقد فعل سعد بيده ما دعا إليه اليهودي القديم بلسانه فكلّفه ذلك دمه. أمّا سعد.. ثم تولّت السلطة بعد ذلك نزع حجاب المرأة المسلمة، وهي سلطة تحكم أنت بمدى صلتها بالإسلام، فعل ذلك «أتاتورك» بقانون، وراقب تنفيذه، وعاقب مخالفيه، وشنق معارضيه، وفعل ذلك «رضا بهلوي» في إيران بقانون، «ومحمد أمان» في الأفغان بقانون، «وأحمد زوغو» في ألبانيا بقانون، ثم روسيا في تركستان والقوقاز والتشن والقرم وسائر ما تحتل من بلاد المسلمين ـ وهم يبلغون ستين مليوناً ـ «وتيتو» في يوغوغسلافيا، ثم «أنور خوجا» في ألبانيا مرة أخرى بعد أن عادت المرأة المسلمة الألبانية إلى الحجاب أيام الحرب العالمية الثانية..! ثم، وثم، وثم.

٨ ـ ومن ينظر إلى دعاة سفور المرأة وخروجها على أحكام الشريعة يرى أنهم ـ رجالاً ونساءً ـ ليسوا قدوة كريمة في الدين والتزام أحكامه، وليسوا قدوة في متانة الأخلاق والبعد عن مواضع الفتنة والتهمة.

فهؤلاء الدعاة إلى سفور المرأة المسلمة وخروجها على أحكام الشريعة كَفَرة مَرَدَة! قد خرجوا على أمة الإسلام وعقيدتها، وحياتهم وسلوكهم شواهد عليهم بغربتهم عن الإسلام أفهؤلاء يقتدي بهم مسلم أو تتبعهم امرأة مسلمة؟! معاذ الله.

﴿ إنَّما وليُّكُم الله ورسولُه والذين آمنوا، الذين يقيمون الصلاةَ ويؤتونَ الزكاةَ ﴾[1].

كان أول من حاول نزع حجاب المرأة المسلمة في الولايات الإسلامية غير العربية يهود الدونمة[2]، فقد أرادوا عام ١٩١٤ تنظيم حفل ليلي في أحد المسارح في مدينة سالونيك «مقرّ تجمعهم في ذلك الوقت»، يعلنون فيه إلغاء الحجاب. وقد استدعوا بعض النساء اليهوديات من سالونيك يحملن أسماء إسلامية ليقمن بتمزيق الحجاب على خشبة المسرح أمام الناس. لكن الحكومة في ذلك الوقت، وجدت أن الخطوة غير مناسبة، وقد تثير عواطف المسلمين، فمنعت هذا الحفل.

ومن هنا اتجه الدونمة إلى حرب الحجاب من خلال رسائل وكتب ومقالات في مجلتهم التي كانوا يصدرونها هناك. ويهود الدونمة هم أول من زعم أن الحجاب ليس من الإسلام في شيء، وأنه عادة يونانية إفرنجية ينبغي الانصراف عنها. وقد انطلت هذه الفرية على عدد من النساء يترددن على محافلهم ومجتمعاتهم ويأتمرن بأوامرهم.

جاء في مجلة الدعوة ما يلي: طالب القبطي «مرقص فهمي» في كتابه (المرأة والشرق) سنة ١٨٩٤ بالقضاء على الحجاب،

---

(١) الآية ٥٥ من سورة المائدة.

(٢ الدونمة: العودة. وتطلق اليوم على اليهود في تركيا الذين يتظاهرون بالإسلام وهم على قلة عددهم كان لهم نشاط رائد في هدم الخلافة ونشر القوميات، وما يزال نشاطهم ظاهراً في الصحافة والتجارة، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله.

وإباحة اختلاط المرأة المسلمة بالأجانب، وتقييد الطلاق بحيث لا يقع إلّا أمام القاضي، وإباحة الزواج بين المسلمات والأقباط. ثم جاء قاسم أمين ـ بعد عودته من فرنسا ـ فردَّد أفكار ذلك القبطي الخبيث. ومع ذلك فقد كانت زوجته على غير دعوته، كانت لا تخالط الرجال، ولا تخرج من بيتها إلّا لضرورة، ولما ماتت سنة ١٩٤٧ لم ينتبه لها أحد.

وقد وقف «مصطفى كامل» ضد تلك الدعوة فقال: لا يليق بنا أن نكون قِرَدَة مقلدين للأجانب تقليداً أعمى، بل يجب أن نحافظ على الحسن من أخلاقنا، ولا نأخذ عن الغرب إلّا فضائله. فالحجاب في الشرق عصمة وأي عصمة. فحافظوا عليه في نسائكم وبناتكم. وكتب في /اللواء/ في ٩ ـ ٢ ـ ١٩٠١ يقول: إن كتاب تحرير المرأة قد انتشر في أنحاء الهند واهتم الإنكليز ببثّ قضاياه وإذاعة مسائله اهتماماً عظيماً لما وراء العمل به من فائدة لهم.

أراد المؤرخ «رفيق العظم» أن يداعب قاسم أمين بأسلوب عملي مفحم فطرق منزله يوماً، ولما رآه الخادم أسرع فأخبر قاسم أمين، فخرج لاستقباله، فقال له رفيق العظم: أنا في هذه المرَّة إنما جئت لزيارة حرمكم لأسألها بعض مسائل اجتماعية أنا معنيٌّ بها، فأجابه قاسم أمين: إن زوجتي وأعني حرمي لا تقابل الرجال! فقال رفيق العظم عجباً: كيف تدعو إلى شيء وتمنع أهلك منه؟ إذن فأنت تدعو الأمة إلى غير ما تريد لنفسك؟ قال قاسم أمين: إن زوجتي تلقّت تربيتها وعاداتها من والديها وهي لم تألف ما أدعو إليه، وأنا غير مسؤول عن ذلك. فقال رفيق العظم: كلنا هكذا

والخير في ذلك، وتهذيب المرأة لا يتوقف على لقائها بالرجال. وقد أردت أن أبرهن لك أن ما تدعو إليه يمجُّه الناس جميعاً حتى أهل بيتك[١].

وجاء في جريدة الجمهورية القاهرية ما يلي: أن السيدة «هدى شعراوي» رائدة الحركة النسائية المصرية، وزعيمة الحركة النسائية وسيدة المبادرات في عصرها - كما يزعمون - أوفدت على نفقتها الخاصة بعثة من ثلاث فتيات ليتعلمن الفنون والصناعات اليدوية في تركيا، وأنها ساهمت من مالها بما يساوي عشر رأسمال بنك مصر عند تأسيسه - وهو أول مؤسسة مصرفية عربية أقرت الربا ونظمت سمومه -[٢].

وجاء في الجريدة نفسها ما يلي: كان قصرها في ناحية قصر النيل وجاردن سيتي منتدى فريداً في عالم الدعاية لمصر، وقد بذلت في إخراجه على أجمل نمط عربي أصيل ما لا يتصوره العقل من جهد ومال إ هـ[٣]. هذه السيدة المذكورة التي يُنسب إليها ما ينسب هي ابنة سلطان باشا الذي كان يرافق جيش الاحتلال البريطاني في زحفه على القاهرة محرِّضاً الناس ضد «أحمد عرابي» وصحبه داعياً إلى عدم مقاومة الاحتلال البريطاني.

وهو الذي قدَّم - كما يذكر الرافعي المؤرخ في كتابه «الثورة العربية» - هدية من الأسلحة الفاخرة إلى قادة جيش الاحتلال

---

(١) عدد صفر سنة ٣٩٧.

(٢) ٨ - ١١ - ١٩٧٩.

(٣) مجلة الأمة القطرية.

شكراً لإنقاذهم البلاد، وقد أنعمت عليه بريطانيا بلقب «سير». وأمر الخديوي توفيق بمنحه عشرة آلاف من الجنيهات الذهبية في ذلك الوقت. وهذا يمكن أن يفسِّر لنا شيئاً من هذا الثراء الفاحش التي كانت تنعم به ابنته التي حدَّدت أهداف الاتحاد النسائي والذي قام في ظل الاحتلال وبحماية حراب الأجنبي بالقضاء على الحجاب، وإباحة الاختلاط بين الجنسين، وتقييد الطلاق، ووجوب إيقاعه أمام القاضي، ومنع الزواج بأكثر من واحدة.

لقد طالب المؤتمر النسائي الذي انعقد عام ١٩٤٤ أيام الحرب بدعوة من الاتحاد النسائي المصري، طالب بتقييد الطلاق ومنع تعدّد الزوجات، وبالمساواة مع الرجال، وحذف نون النسوة. وكان في مقدمة اللواتي رحَّبْنَ بالمؤتمر آنذاك حرم الرئيس الأميركي «روزفلت» التي أبرقت إلى زعيمة الاتحاد النسائي المصري «هدى الشعراوي»، بعد أن عبّرت عن سرورها بهذا المؤتمر العظيم تقول: وإني لواثقة من أن النساء العربيات سيقمن بدورهن إلى جانب شقيقاتهن في بلدان العالم، أملاً في نشر التفاهم والسِّلم في المستقبل[١].

ولم يكن عجباً على ذلك أن تقوم حكومات بتفسير السفور الذي تريده في أن يكون تقليداً للنساء الأخريات اللاتي تحلّلن من أديانهن وشرائعهن، وأن تقوم صحافة معينة خاصة صحافة الماسونية الصليبية في القاهرة، أن تقوم بتشجيع ذلك السفور، وأن تستكتب فسقة في السفور.

---

(١) مجلة الأمة القطرية صفر سنة ١٤٠١.

وقد شحن الكتاب القيم «الاتجاهات الوطنية» للدكتور محمد محمد حسين بنقول من أعمال حكومات، ومقالات كتّاب، ومنه أنقل ما يلي:

نشرت السياسة المصرية مقالاً تحت عنوان /فتاة تركيا/ تصف فيه باخرة اتخذتها وزارة التجارة التركية معرضاً عاماً؛ وفي رحلة على نفقة الحكومة تنتقل فيها موانىء أوروبا، فتقول إن هذه الباخرة كانت تقل خمساً وعشرين فتاة من فتيات تركيا الجديدة، كلُّهن جميلات مقصوصات الشعور لا يكاد يميزهن الرائي من فتيات لوندرة وباريس. وتقول إحدى الفتيات في بعض الموانىء الانكليزية: إن المرأة التركية اليوم حرّة، فلن تسير في الطرقات في ظلام ـ تعني المسكينة: بحجاب ـ وإننا نعيش اليوم مثل نساءكم الإنكليزيات، نلبس أحدث الأزياء الأوروبية والأميركية، ونرقص، وندخن، ونسافر ونتنقل بغير أزواجنا.

وكتب الطهطاوي في وصف رحلة باريس، كتب في وصف حفلة راقصة، كتب يقول: إن الرقص في مصر من خصوصيات النساء لأنه لتهييج الشهوات، أما في باريس فإنه نمط مخصوص لا يشم منه رائحة العهر أبداً[1]، وكل إنسان يعزم امرأة يرقص معها، فإذا فرغ الرقص عزمها آخر للرقصة الثانية. وهكذا سواء كان يعرفها أم لا.

بل يكتب آخر لا أود أن أذكر اسمه، أنه رأى رجلاً يقبل امرأة

---

(١) السياسة الأسبوعية المصرية /٧ ـ ١٩٢٦/.

في باريس، ويذكر أنها قبلة بريئة مثل قبلة الرجل لأخته. لا كما يقع في بلاده..!.

وصدق رسول الله ﷺ «.. إذا لم تستح فاصنع ما شئت».

آيات الحجاب:

١ ـ قال الله تعالى: ﴿ يا أيُّها الذينَ آمنوا لا تدخلوا بيوتَ النبيِّ إلَّا أن يُؤذَنَ لكم إلى طَعامٍ غَيْرَ ناظرينَ إناهُ ولكنْ إذا دُعيتُمْ فادخلوا فإذا طَعِمْتُم فانتشروا، ولا مُسْتأنسينَ لحديثٍ، إنَّ ذلكم كان يُؤذي النبيَّ فَيَسْتَحْيي منكم، واللهُ لا يستحيي من الحقِّ، وإذا سألتموهنَّ مَتاعاً فاسألوهنَّ مِنْ وَراءِ حِجاب، ذلكم أطهرُ لقلوبكم وقلوبهنَّ، وما كان لكم أن تؤذوا رسولَ اللهِ ولا تَنْكِحُوا أزوَاجه مِنْ بَعْدِهِ أبداً..﴾[1].

قال عمر رضي الله تعالى عنه: (وافقت ربي عز وجل في ثلاث قلت: يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلًّى فأنزل الله تعالى: ﴿واتَّخِذُوا مِنْ مقام إبراهيم مصلًّى﴾ وقلت: يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البَرُّ والفاجر فلو حجبتهن، فأنزل الله آية الحجاب ـ وهي المكتوبة قبل أسطر ـ وقلت: لأزواج النبي ﷺ لمَّا تمالأن عليه في الغَيْرة: ﴿ عَسَى ربُّه إن طلَّقَكُنَّ أن يُبْدِلَه أزواجاً خيْراً منكن﴾ فنزلت كذلك)[2].

وذكر أنس رضي الله تعالى عنه ما كان من وليمة رسول الله ﷺ

---

(١) الآية ٥٣ من سورة الأحزاب.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

بزينب، وفيه: وتخلّف رجال يتحدّثون في بيت رسول الله ﷺ، وزوج رسول الله التي ـ دخل بها ـ معهم مولّية وجهها إلى الحائط، فأطالوا الحديث، فشقّوا على رسول الله ﷺ، وكان أشد الناس حياء(١).

وكان زواجه ﷺ بزينب بنت جحش في ذي القعدة في السنة الخامسة من الهجرة، وفي صبحة عرسه بها نزلت آية الحجاب، فاحتجبت المرأة المسلمة، وما تزال.

وقبل ذلك كانت المرأة المسلمة تستر رأسها وصدرها، ويبدو ما قد يبدو من شعر رأسها وعنقها وبعض صدرها.

وفي الجاهلية كانت المرأة تخرج تمشي بين يدي الرجال، وكانت لها مشية تكسُّر وتغنُّج، تلقى فيه الخمار على رأسها ولا تشدّه، فيواري قلائدها وقرطها وعنقها، ويبدو ذلك كله منها(٢) فأين خروج المرأة اليوم من خروج أختها في أيام الجاهلية الأولى؟!.

قال ابن كثير: فقوله تعالى: ﴿لا تدخلوا بيوتَ النبي..﴾ حظر على المؤمنين أن يدخلوا منازل رسول الله ﷺ بغير إذن كما كانوا قبل يصنعون في بيوتهم في الجاهلية وابتداء الإسلام، حتى غار الله تعالى لهذه الأمة فأمرهم بذلك، وذلك إكرام من الله تعالى لهذه الأمة، ولهذا قال رسول الله ﷺ: «إياكم والدخول على النساء» الحديث.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم وغيره.

(٢) تفسير ابن كثير /٣: ٤٨٢/.

يشير ابن كثير بكلامه هذا إلى ما صرّح به علماء الأصول: أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، أي لئن كانت الآيات نزلت في نسائه ﷺ وحجابهن، فإنها تعم بأحكامها سائر نساء المسلمين.

ومما يؤكد هذا الحكم:

أ ـ قوله تعالى: ﴿إن ذلكم كان يؤذي النبي..﴾ أي دخول الضيف في البيت بدون إذن، وكذا مع الإذن قبل نضج الطعام، والجلوس بعد الطعام استرسالاً في الحديث، وإن الإيذاء كما لا يحل في جنب رسول الله ﷺ لا يحل في حق أحد من المسلمين..

ب ـ وكذا قوله تعالى في الحجاب: ﴿ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهنَّ﴾ فطهارة القلوب عن الخواطر الشيطانية مطلوبة في حق أزواجه ﷺ وسائر المسلمين، بل الطهارة من هذه الخواطر المفضية إلى المعاصي مطلوبة في حق كل مؤمن ومؤمنة، بل أمره في غير أمهات المؤمنين آكد وأشد لمظنَّة الريبة في سائر نساء المسلمين لما أنَّ نساء رسول الله ﷺ أبعد الناس عن ظن السوء، ولأنهن لُقِّبْنَ أمهاتِ المؤمنين، ولأنهن نساء رسول الله ﷺ.

وقوله تعالى لنساء رسول الله ﷺ: ﴿وقَرْنَ في بيوتِكُنَّ ولا تَبَرَّجْنَ تبرُّج الجاهليّة الأولى﴾[1] يقصد به تعميم الحكم على

---

(١) قال الزمخشري: كانت ـ أي نساء أهل الجاهلية الأولى ـ جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حواليها، ولكن يسدلن الخُمُرَ من ورائهن فتبقى ـ أي أعناقهن وصدورهن ـ مكشوفة، فأمرن بأن يسدلنها من قدّامهن حتى يغطينها. ٢/ ٩٠.

نساء المسلمين عامة، فإن قرار النساء في البيوت وعدم خروجهن لغير حاجة أمر مقرر في الإسلام، وكذا النهي عن التبرُّج بالتكسُّر في المشي وإظهار بعض الرأس والصدر أمر مقرر في النساء عامة.

قال الأستاذ المودودي ـ رحمه الله تعالى ـ عند قوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ في بُيوتِكُنَّ ﴾: قد ذهب بعض الناس ـ يريد بعض المعاصرين ـ إلى أن هذا الأمر خاص لأزواج النبي ﷺ لابتداء الآية بخطاب ﴿ يا نساء النبي ﴾ ولكنا نسأل: أي وصية من الوصايا الواردة في هذه الآية مخصوصة بأمهات المؤمنين دون سائر النساء؟! فقد قيل فيها: ﴿ إن اتقيتُنَّ فلا تَخْضَعْنَ بالقول، فيطمعَ الذي في قلبه مرضٌ، وقُلْنَ قولاً معروفاً، وقَرْنَ في بيوتكُنَّ، ولا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهليّة الأولى، وأقمنَ الصلاةَ وآتينَ الزكاة، وأطِعْنَ اللهَ ورسولَه، إنما يريدُ الله ليذهبَ عنكم الرجسَ أهلَ البيتِ ويطهِّرَكم تطهيراً ﴾[1].

فتأمل هذه الوصايا والأوامر وقل لي: أي أمر منها لا يتصل بعامة النساء المسلمات؟ وهل النساء المسلمات لا يجب عليهن أن يتقينَ الله تعالى، أو قد أبيح لهنَّ أن يخضعنَ بالقول ويكلِّمنَ الرجال كلاماً يغريهم ويشوقهم؟ أوَ يجوز لهنَّ أن يتبرجنَ تبرج الجاهلية؟ ثم هل ينبغي لهن أن يترك الصلاة والزكاة ويُعْرِضْنَ عن طاعة الله ورسوله؟ وهل يريد الله أن يتركهن في الرجس؟.

فإذا كانت هذه الأوامر والإرشادات عامة لجميع المسلمات فما

(١) الأحزاب: ٣٢ ـ ٣٣.

المبرر لتخصيص كلمة ﴿ وَقَرْنَ في بيوتكنّ ﴾ وحدها بأزواج النبي ﷺ؟!.

إن مصدر الفهم الخاطىء في الحقيقة هو مبتدأ الآية ﴿ يا نساء النبي لَسْتُنَّ كأحدٍ من النساء ﴾ ولكن هذا الأسلوب لا يختلف ـ مثلاً ـ عن قولك لولد نجيب: يا بني لستَ كأحد من عامة الأولاد حتى تطوف في الشوارع وتأتي بما لا يليق من الحركات، فعليك بالأدب واللياقة. فقولك هذا لا يعني أن سائر الأولاد يحمد فيهم طواف الشوارع وإتيان الحركات السيئة، ولا يطلب منهم الأدب واللياقة.

بل المراد بمثل قولك هذا تحديد معيارٍ لمحاسن الأخلاق وفضائلها، لكي يصبوا إليها كل ولد يريد أن يعيش كنجباء الأولاد فيسعد في بلوغه. وقد اختار القرآن الكريم هذه الطريقة لتوجيه النساء لأن نساء العرب في الجاهلية كُنَّ على مثل الحرية التي توجد في نساء العرب في هذا الزمان، وكان العمل جارياً على تعويدهن الحضارة الإسلامية بشيء من التدريج، وتعليمهن حدود الأخلاق وقيود الضابط الاجتماعي على يد النبي ﷺ.

ففي تلك الأحوال عُني الإسلام بضبط أمهات المؤمنين بضابطة على وجه خاص حتى يكنَّ أسوة لسائر النساء، وتتبع طريقتهن وعاداتهن في بيوت عامة المسلمين.

هذا الرأي نفسه ـ وهو تعميم نساء المسلمين بالخطاب ـ أبداه العلامة أبو بكر الجصّاص في كتابه (أحكام القرآن) فقال: (وهذا الحكم وإن نزل خاصاً في النبي ﷺ وأزواجه فالمعنى فيه عام فيه

وفي غيره، إذ كنا مأمورين باتّباعه والاقتداء به. إلّا ما خصّه الله تعالى به دون أمته). (الجزء الثالث ص ٤٤٥) إ هـ[١].

٢ ـ وقال تعالى: ﴿ يا أيُّها النبيُّ قُلْ لأزواجِكَ وبناتِكَ ونساءِ المؤمنينَ يُدْنينَ عليهنَّ مِنْ جلابيبِهنَّ، ذلك أدنى أن يُعْرَفْنَ فلا يُؤذينَ، وكان الله غفوراً رحيماً ﴾[٢].

الجلباب: قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فيه: هو الذي يستر من فوق إلى أسفل. وقال سعيد بن جبير: هـو المقنّعة (الملاءة). وقيل: كل ثوب تلبسه المرأة فوق ثيابها، والثوب الذي تشتمل به المرأة فوق الدِّرع والخمار.

الإدناء: هو التقريب. يقال أدنى الشيء إذا قربه وضُمِّن معنى الإرخاء والسَّدْل ولذا عُدِّي بعَلَى. قال سعيد بن جبير: يسدلن عليهن. والظاهر أن المراد بـ (عليهن) على جميع أجسادهن، وقيل على رؤوسهن أو على وجوههن لأن الذي كان يبدو منهن في الجاهلية هو الوجه.

قالت أم سلمة رضي الله تعالى عنها: لما نزلت هذه الآية ﴿ يُدْنين عليهن.. ﴾ خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغِرْبان من السكينة، وعليهن أكسية سود يلبسنها. إ هـ[٣].

الحجاب الشرعي:

للحجاب الشرعي المأمور به ثلاث درجات بعضها فوق بعض

(١) عن كتاب «الحجاب» للأستاذ المودودي ٢٣٥ ـ ٢٣٦ تعليقاً.
(٢) الأحزاب: ٥٩.
(٣) أخرجه عبد الرزاق وغيره، روح المعاني (٢٢/ ٦٨ وما بعد).

في الاحتجاب والاستتار، دلَّ عليها الكتاب والسنة[1].

الأولى: حجاب الأشخاص في البيوت بالجدر والخدر، وأمثالها: بحيث لا يرى الرجال شيئاً من أشخاصهن ولا لباسهن ولا زينتهن الظاهرة ولا الباطنة، ولا شيئاً من جسدهن من الوجه والكفين وسائر البدن.

وقد أمر الله تعالى بهذه الدرجة من الحجاب فقال: ﴿ وإذا سألتموهنَّ متاعاً فسألوهنَّ مِنْ وراءِ حِجاب ﴾ إذ أن هذا يدل على أن سؤال أي شيء منهن يكون من خلف ستر يستر الرجال عن النساء والنساء عن الرجال، وما ذكر من سبب نزول الآية يقرر هذا الأمر ويؤكده.

وأمر بها في قوله تعالى: ﴿ وقَرْنَ في بيوتكنَّ ولا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهلية الأولى ﴾، قال محمد بن سيرين: نبئت أنه قيل لسَوْدة بنت زمعة زوج النبي ﷺ: مالك لا تحجِّين ولا تعتمرين كما تفعل أخواتك؟ فقالت: قد حججتُ واعتمرت، وأمرني الله تعالى أن أقرّ في بيتي، فوالله لا أخرج من بيتي حتى أموت. قال: فوالله ما خرجت من باب حجرتها حتى خرجت جنازتها[2].

وهذا الحكم العام قد استثني بالخروج للحاجة، قال ﷺ: «أُذن لكنّ في الخروج لحاجتكنّ»[3].

---

(١) انظر جواهر القرآن لمفتي عموم باكستان العلامة الفقيه محمد شفيع، رحمه الله تعالى.

(٢) كذا في السراج المنير للخطيب الشربيني (٣٤٣/٣).

(٣) رواه البخاري.

ويرشِّح هذه الدرجة أحاديث تحبِّب إلى المرأة القرار في البيت وعدم الخروج حتى إلى صلاة الجماعة مع رسول الله ﷺ، فإن قرارها في بيتها أرجَى لها في الأجر عند الله تعالى.

جاءت أم حُميد الساعدي إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إني أحب الصلاة معك، فقال: «قد علمتُ أنك تحبين الصلاة معي، وصلاتك في بيتك خير لك من صلاتك في حجرتك، وصلاتك في حجرتك خير لك من صلاتك في دارك، وصلاتك في دارك خير لك من صلاتك في مسجد قومك، وصلاتك في مسجد قومك خير لك من صلاتك في مسجدي» قال: فأمرت فبني لها مسجد في أقصى شيء من بيتها وأظلمه، فكانت تصلِّي فيه حتى لقيت الله عز وجل[1].

نَعَمْ للنساء الكبار الخروج إلى المساجد بالليل كصلاة المغرب والعشاء والفجر، فإن الليل أستر وأخفى وأبعد عن الفتنة. قال ﷺ: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، وإذا استأذنت امرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها»[2]. وقال: «ائذنوا للنساء بالليل إلى المساجد»[3].

ويشترط لخروجهن إلى الصلاة أمور:

١ ـ أن يكون ذلك في صلوات الليل لما ذكرنا من حديث الترمذي.

---

(١) رواه أحمد.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم والترمذي وأحمد.

٢ ـ أن يبادرن بالانصراف من المسجد فور سلام الإمام من صلاته. قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: (كان رسول الله ﷺ ليصلِّي الصبح فينصرف النساء متلفِّفات بمروطهن ما يُعرفن من الغَلَس)[١].

٣ ـ أن لا تختلط النساء بالرجال في الجماعة، ولا يسبقنهم إلى الصفوف الأمامية، بل يجب عليهن أن يقمن خَلْف صفوف الرجال. قال ﷺ: «خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها»[٢].

٤ ـ أن لا يكون خروجهن إلى المسجد متزيِّنات. قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: (يا أيها الناس انهوا نساءكم عن الزينة والتبختر في المسجد، فإن بني إسرائيل لم يُلعنوا حتى لبس نساؤهم الزينة وتبخترن في المساجد)[٣].

ولما رأت السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها خروج النساء في زمانها على شيء من الزينة إلى المساجد. قالت: لو أدرك رسول الله ﷺ ما أحدثت النساء لـمنعهنَّ الـمساجد كما مُنعت نساء بني إسرائيل[٤].

٥ ـ أن يَسْكُنَّ في الصلاة ولو لـلاستدراك على الإمام في خطئه. إلاّ أن يكون التصفيق بباطن اليد اليمنى على ظاهر اليد

(١) رواه الترمذي.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه ابن ماجه.
(٤) رواه مسلم.

اليسـرى دون كلام. قـال ﷺ: «التسبيح للرجـال، والتصفيق للنساء»(١).

الدرجة الثانية من الحجاب: خروجهن من البيوت مستورات.

قال الله تعالى: ﴿ يا أيُّها النبيُّ قُلْ لأزواجِكَ وبناتِكَ ونساء المؤمنينَ يُدْنِينَ عليهنَّ مِنْ جلابيبِهنَّ، ذلك أدنَى أن يُعرفنَ فلا يُؤذينَ، وكان الله غفوراً رحيماً ﴾.

سئل ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن قوله تعـالى: ﴿ يدنين عليهن من جلابيبهن ﴾ فقال: أن تغطِّي وجهها من فوق رأسها بالجلباب وتبدي عيناً واحدة. ومثله رُوي عن السُّـدِّيّ وعَبيدة السَّلْماني.

وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ للمؤمنينَ يغضُّوا من أبصارهم ويحفظوا فروجَهم ﴾. ﴿وقُلْ للمؤمناتِ يَغْضُضْنَ من أبصارهنَّ ويحفظنَ فروجهنَّ ﴾. تدل هاتان الآيتان على خروج المرأة من بيتها، وإلاّ لم يكن الأمر موجهاً إلى الرجال والنساء بغض البصر على حد سواء.

وقال الله تعالى: ﴿ والقواعدُ من النساء اللاتي لا يـرجونَ نِكاحاً، فليسَ عليهنَّ جنـاحٌ أن يضعنَ ثيابهنَّ غيـرَ متبرجـاتٍ بزينةٍ ﴾.

المراد بالثياب هو الجلباب والرداء وغيرها من الثياب الظاهرة

---

(١) رواه البخاري. وانظر كتاب الحجاب للمودودي رحمه الله تعالى.

التي لا يفضي وضعها إلى كشف العورة. كذا نقل عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه.

وقال ﷺ: «ليس للنساء وسط الطريق»(١).

فقد أذن الله تعالى للنساء بالخروج من بيوتهن خروجاً مقيَّداً بالحاجة.

وقد عقد الإمام البخاري في كتاب النكاح من صحيحه باباً قال فيه: باب استئذان المرأة زوجها في الخروج إلى المسجد وغيره، عن سالم عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «إذا استأذنت امرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها»، قال الحافظ ابن حجر: قاس ـ البخاري ـ غير المسجد على المسجد والجامع بينهما ظاهر، ويشترط في الجميع: الأمن من الفتنة(٢).

الدرجة الثالثة: أي خروجهن مستورات الأبدان من الرأس إلى القدم، مع كشف الوجه واليدين عند أمن الفتنة على مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه.

والعلماء في هذا الأمر على قولين: أباح بعضهم كشف الوجه واليدين عند أمن الفتنة، ولم يبح ذلك آخرون إلاّ عند الاضطرار. وعلى القول الأول أبو حنيفة، وعلى القول الثاني مالك والشافعي وأحمد.

مذهب المالكية: أنه لا يجوز النظر إلى شيء من بدن المرأة لا إلى الوجه ولا إلى الكفَّين ولا إلى غيرها، ولا يجوز للمرأة

---

(١) رواه البيهقي.قال السيوطي: ضعيف.

(٢) فتح الباري (٩/٣٢٧).

إبداء الوجه والكفَّين للأجانب وقد صرح ابن المنير المالكي بذلك فقال: (إنَّ كل بدن الحرّة لا يحل لغير الزوج، والمحرَّم النظر إلى شيء منها إلاّ لضرورة كالمعالجة وتحمُّل الشهادة)[١].

وقال القاضي أبو بكر بن العربي في كتابه (أحكام القرآن) عند قوله تعالى: ﴿ وإذا سألتموهنَّ متاعاً فاسألوهنَّ مِنْ وَراء حجاب﴾: وهذا يدل على أن الله تعالى أذن في مساءلتهن من وراء حجاب في حاجة تعرض أو مسألة يُستفتى فيها، والمرأة كلها عورة: بدنها وصورتها، فلا يجوز كشف ذلك إلاّ لضرورة، أو لحاجة كالشهادة أو داء يكون ببدنها[٢].

مذهب الشافعي: أنه لا يجوز النظر إلى شيء من بدن المرأة لا الوجه ولا الكفين، ولا يجوز للمرأة إبداء شيء من بدنها للأجانب إلاّ لضرورة.

قال الإمام النووي: ويحرم نظر فَحْل بالغ إلى عورة حرة أجنبية، وكذا إلى وجهها وكفَّيها عند خوف الفتنة، وكذا عند الأمن على الصحيح[٣].

مذهب الحنابلة: أنه لا يجوز النظر إلى شيء من بدن المرأة لا الوجه ولا الكفين، ولا يجوز للمرأة إبداء شيء من بدنها للأجانب إلاّ لضرورة. قال الشيخ مرعي بن يوسف: وحُرِّم في غير ما مر ـ والذي مرَّ هو نظر الخاطب ونظر الزوج إلى زوجته وغير ذلك ـ:

(١) روح المعاني.
(٢) أحكام القرآن (٢/١٨).
(٣) نيل الأوطار (٢/١١٢)، وانظر نهاية المحتاج للإمام الرملي الشافعي /٦: ١٨٤/.

قصد نظر أجنبية حتى شَعَرٍ متصلٍ لا بائنٍ. قال أحمد: ظفرها عورة، فإذا خرجت فلا تبين شيئاً ولا خفَّها فإنه يصف القدم، وأحب أن تجعل لكمها زراً عند يدها[1].

مذهب **الحنفية**: أنه يجوز للمرأة كشف وجهها وكفَّيها عند أمن الفتنة.

قال الكاساني: فلا يجوز النظر من الأجنبي إلى الأجنبية الحرة إلى سائر بدنها إلاَّ الوجه والكفين لقوله تعالى: ﴿ قل للمؤمنين يَغُضُّـوا مِنْ أبصارهم ﴾، إلاّ أن النظر إلى مواضع الزينة الظاهرة وهي ـ الوجه والكفان ـ رُخِّص بقوله تعالى: ﴿ ولا يبدينَ زينتهنَّ إلاّ ما ظهر منها ﴾ والمراد من الزينة مواضعها، ومواضع الزينة الظاهرة الوجه والكفان، ولأنها تحتاج إلى البيع والشراء والأخذ والعطاء، ولا يمكنها ذلك عادة إلاّ بكشف الوجه والكفَّين، فيحل لها الكشف. وهذا قول أبي حنيفة رضي الله عنه. وروى الحسن عن أبي حنيفة أنه يحل النظر إلى القدمين أيضاً. ثم قال: إنه يحل النظر إلى مواضع الزينة منها من غير شهوة، وأما عن شهوة فلا، لقوله ﷺ: «العينان تزنيان» وليس زنى العينين إلاّ النظر عن شهوة. ثم قال: والأفضل للشاب غض البصر عن وجه الأجنبية وكذا الشابة؛ لما فيه من خوف حدوث الشهوة والوقوع في الفتنة، ويؤيده المروي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال في قوله تعالى: ﴿ إلا ما ظهر منها ﴾ أنه الرداء والثياب. فكان غض البصر وترك النظر أزكى وأطهر[2].

---

(١) غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى (٣/٧) وانظر المغني ٦/ : ٥٥٨/ .
(٢) بدائع الصنائع.

وجاء في الدُّرِّ المختار: يُعَزِّر المولى عبده والزوج زوجته على تركها الزينة، أو كلمة ليسمعها أجنبي، أو **كشفت وجهها لغير مَحْرَم**[1].

وجاء فيه كذلك: وتمنع المرأة الشابة من كشف الوجه بين الرجال، لا لأنه عورة بل لخوف الفتنة كمسه، وإن أمن الفتنة لأنه أغلظ ولذا ثبتت به حرمة المصاهرة. قال ابن عابدين في شرحه عليه: المعنى تمنع من الكشف لخوف أن يرى الرجال وجهها فتقعِ الفتنة، لأنه مع الكشف قد يقعِ النظر إليها بشهوة. قوله كمسِّه: أي كما يمنع الرجل من مسِّ وجهها وكفيها وإن أمن الشهوة.

وقال أبو بكر الجصّاص ـ وهو حنفي ـ عند قوله تعالى: ﴿ يُدْنِينَ عليهن من جلابيبهن ﴾ في هذه الآية دلالة على أن المرأة الشابة مأمورة بستر وجهها من الأجنبي وإظهار الستر والعفاف عند الخروج، لئلا يطمع أهل الرِّيْب فيهن[2].

فأصل مذهب الإمام أبي حنيفة جواز كشف المرأة وجهها وكفيها في الحالات العامة، على وجود المجتمع المسلم العفيف في رجاله ونسائه. أما إذا تغيرت الحالة العامة ولم يؤمن فيها من الفتنة فيجب على المرأة أن تستر جميع بدنها ووجهها وكفيها، سداً لذرائع الفساد وعوارض الفتن. فحكم وجه المرأة وكفيها في المذهب الحنفي في مثل أيامنا هذه هو كحكمه في باقي المذاهب الأربعة وهو:

(١) هامش ردّ المحتار شرح الدر لابن عابدين (٢٦١/٣).
(٢) أحكام القرآن (٤٥٨/٣).

حرمة كشف المرأة وجهها لغير ضرورة. والله أعلم[1].

وبالجملة فقد اتفقت مذاهب الفقهاء وجمهور الأمة على أنه: لا يجوز للنساء الشوابِّ كشف الوجوه والأكف بين الأجانب، ويستثنى منه العجائز لقوله تعالى: ﴿والقواعد من النساء﴾. والضرورات مستثناة من الجميع بالإجماع.

فلم يبق للحجاب المشروع إلاّ الدرجتان الأوليتان، الأولى: القرار في البيوت وحجاب الأشخاص وهو الأصل. والثانية: خروجهن لحوائجهن مستترات بالبراقع والجلابيب وهو الرخصة للحاجة. ولا شك أن كلتا الدرجتين منه مشروعتان، غير أن الغرض من الحجاب لما كان سدّ الذرائع، وفي خروجهن من البيوت ولو للحوائج والضرورات مظنة فتنة، شرط الله تعالى ورسوله ﷺ عليهن شروطاً يجب عليهن التزامها عند الخروج[2].

- أن يتركن الطيب ولباس الزينة عند الخروج، بل يخرجن تَفِلات، ويمشين على حوافي الطرقات.
- أن لا يتحلَّين حلية فيها جَرَس يصوِّت بنفسه.
- أن لا يضربن بأرجلهن ليصوِّت الخلخال وأمثاله.
- أن لا يكون حجابها خفيفاً رقيقاً يصف ما تحته.

---

(١) وانظر الفقه الإسلامي وأدلته للدكتور وهبة الزحيلي /١: ٥٩٣/، ونصب الراية لأحاديث الهداية /٤: ٢٣٩/، و«اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية» للدكتور عبد العزيز عمرو.

(٢) ذكر الشيخ محمد علي الصابوني في تفسير آيات الأحكام /٢: ٣٨٦ - ٣٨٨/ شروط حجاب المرأة في خروجها من البيت مع الأدلة. جزاه الله خيراً.

قال دِحية الكلبي رضي الله تعالى عنه: أُتي رسول الله ﷺ بقَباطي ـ جمع قُبطية نسبة إلى قبط مصر ـ وكانت ثوباً رقيقاً يُرى ما تحته، وأعطاني منها قبطية فقال: «اصدعها صدعين، فاقطع أحدهما قميصاً واعط الآخر امرأتك تختمر» فلما أدبر قال: «وأمر امرأتك أن تجعل تحته ثوباً، لا يصفها»(١).

وقد سبق ذكر آداب خروج المرأة المسلمة من بيتها عند الكلام على الفروق بين المرأة والرجل.

ما يدل على وجوب ستر الوجه مطلقاً:

قال القرطبي عند قوله تعالى: ﴿ولا يبدينَ زينتهنَّ﴾ الزينة على قسمين: خَلْقية ومكتسبة، فالخَلْقية وجهها، فإنه أصل الزينة وجمال الخِلْقة، ومعنى الحيوانية، لما فيه من المنافع وطرق العلوم، وأما الزينة المكتسبة فهي ما تحاوله المرأة في تحسين خلقتها كالثياب والحلي والكحل والخضاب، ومنه قوله تعالى: ﴿ خذوا زينتكم ﴾، وقال الشاعر:

يأخذنَ زينتهنَّ أحسنَ ما ترى
وإذا عَطِلْن فهنَّ خَيْرُ عَواطِل

وقال: ومن الزينة: ظاهر وباطن. فما ظهر فمباح أبداً لكل الناس من المحارم والأجانب. وقد ذكرنا ما للعلماء فيه، وأما ما بطن فلا يحل إبداؤه إلاّ لمن سماهم الله تعالى في هذه الآية أو حلَّ محلهم(٢).

---

(١) رواه أبو داود.
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٢٩/١٢).

وقال القاضي البيضاوي: ﴿ولا يبدين زينتهن..﴾ كالحُلي والثياب والأصباغ فضلاً عن مواضعها لمن لا يحل أن تبدي له ﴿إلّا ما ظهر منها﴾ عند مزاولة الأشياء كالثياب والخاتم، فإن في سترها حرجاً. وقيل: المراد بالزينة مواقعها على حذف المضاف، أو ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية، والمستثنى هو الوجه والكفان لأنهما ليستا بعورة. والأظهر أن هذا في الصلاة لا في النظر فإن كل بدن الحرة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر إلى شيء منها إلّا لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة إ هـ[1].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه: الزينة زينتان: زينة ظاهرة وزينة باطنة لا يراها إلّا الزوج. فأما الزينة الظاهرة فالثياب وأما الزينة الباطنة فالكحل والسوار والخاتم[2].

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطِّين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب، ويبدين عيناً واحدة) من رواية علي بن أبي طلحة وهي رواية البخاري لتفسير ابن عباس في صحيحه[3].

قال رسول الله ﷺ: «لا تنتقب المُحْرمة ولا تلبس القفازين»[4].

وهذا يعني أن غير المُحْرمة تنتقب، بأن تستر الوجه، وتستر اليدين بأن تلبس القفازين.

---

(١) البيضاوي مهمشاً بالجلالين (٢/١٣٨).

(٢) رواه ابن أبي شيبة وابن جرير وفي الدر المنثور للسيوطي نُقول عديدة في هذا المعنى من اعتبار الوجه عورة مستورة.

(٣) رواه الطبري وعنه البيهقي، وأخرجه ابن أبي شيبة. وانظر نصب الراية /٤: ٢٣٩/.

(٤) رواه البخاري.

ومع ذلك فإن المرأة المُحْرِمة إذا احتاجت إلى ستر وجهها لمرور الرجال قريباً منها فإنها تسدل الثوب من فوق رأسها على وجهها. روي ذلك عن عثمان وعائشة وبه قال عطاء ومالك والثوري والشافعي وغيرهم.

قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: (كان الركبان يمرون بنا ونحن محرمات مع رسول الله ﷺ، فإذا حاذَوا بنا سدلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها، فإذا جاوزوا كشفنا)(١).

قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: (يرحم الله نساء المهاجرات الأول، لما أنزل الله تعالى: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ على جُيوبِهِنَّ ﴾ شَقَقْنَ مُروطَهن فاختمرن بها)(٢).

قالت صفية بنت شيبة رضي الله تعالى عنها: بينما نحن عند عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: فذكرتُ نساء قريش وفضلهن، فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: إن لنساء قريش لفضلاً، وإني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار، وأشد تصديقاً لكتاب الله، ولا إيماناً بالتنزيل، لقد أنزلت سورة النور: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ على جُيوبِهِنَّ ﴾ فانقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل الله فيهن، ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته وعلى كل ذي قرابته، فما منهن امرأة إلّا قامت إلى مِرْطها المرحَّل ـ كساء من صوف ونحوه يؤتزر به ـ فاعتجرت به ـ جعلته مِعْجراً وهو الخمار يلبس على الرأس ـ تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله تعالى في كتابه، فأصبحن وراء رسول الله ﷺ في صلاة الفجر معتجرات كأن على رؤوسهن الغِرْبان(٣).

---

(١) رواه أبو داود ومالك من عمل أسماء رضي الله عنها.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه أبو داود وغيره.

قال شيخ الأزهر الشريف الشيخ عبد الحليم محمود رحمه الله تعالى في مقال (مظهر المرأة) بعد كلام: وأوجب الإسلام أن تكون ثياب المرأة فضفاضة لا تجسِّد بدنها، وأن تكون سميكة لا تشفُّ عمّا تحتها، وأن تكون سابغة بدنها كلَّه عدا الوجه والكفَّين ما لم تكن خشية الفتنة؛ فإن كان جمالها مفرطاً ـ قلت ومثلها كل ما يُشتهى من النساء ـ وجب عليها ستر الوجه والكفين سداً للذرائع إلى المفاسد، فإنَّ درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة(١).

رأي شاذ:

وهناك رأي شاذ في شأن كشف المرأة وجهها ليس هو رأي الحنفية، ولا رأي المذاهب الثلاثة الباقية، ولا جماهير الأئمة من السلف الصالح، ذلك هو رأي الشيخ ناصر الألباني الذي ألف كتاباً لقبه (حجاب المرأة المسلمة) وذهب فيه إلى إباحة كشف المرأة وجهها مطلقاً، خُشيت الفتنة أو لا. فقال في مقدمة كتابه آنف الذكر بعد ذكر حديث الخَثْعَمِيَّة: فهذا الحديث الصحيح يقرر أن كشف المرأة عن وجهها ولو كانت جميلة حقّ لها إن شاءت أن تأخذ به فعلت، وليس لأحد أن يمنعها من ذلك خشية الافتتان بها(٢).

وقال كذلك: فإذا كان بعض العلماء اليوم يرون أن كشف المرأة وجهها مع سترها لما سواه من بدنها مما أمر الله تعالى به خطر عليها ـ زعموا ـ فنرى أنه لا يليق بهم أن يكتفوا من المسألة بإظهار الإنكار الشديد على من يخالفهم في الرأي واتخاذ القرار

(١) صوت العرب البيروتية كانون الثاني سنة ١٩٦٧.
(٢) صفحة (٥) من الكتاب المذكور أعلاه

بمنع دخول الكتاب إلى بلادهم[١]، بل أن عليهم أمرين لا بدَّ لهم من القيام بهما:

الأول: أن يبينوا للناس حكم الله تعالى فيها مستدلِّين عليه بالكتاب والسنة لا تقليداً للمذهب أو اتباعاً للتقاليد، وبذلك فقد يظهر للناس الصواب من الخطأ بل الحق من الباطل ﴿ فأمّا الزَّبَدُ فيذهبُ جُفاءً، وأمَّا ما ينفعُ الناسَ فيمكثُ في الأرض ﴾[٢] إنهم إن فعلوا ذلك استجاب لهم النساء المؤمنات فهل يفعلون؟..

والآخر: أن يُعْنَوا بتربية الفتيات المسلمات تربية إسلامية صحيحة، وخصوصاً في المدارس والمساجد والجامعات، بتعليمهن وتثقيفهن الثقافة الشرعية النافعة، ومنع المجلات الخليعة أن تتسرب إليهن وتفسد عليهن أخلاقهن، ونحو ذلك من الوسائل المبذولة في العصر الحاضر مما يمكن استعمالها في الشر والخير ﴿ ونَبْلُوكُم بالشَرِّ والخيرِ فِتْنة.. ﴾.

إلى أن قال: فمثل هؤلاء النِّسوة يمكن أن تؤمر بستر الوجه إن كان واجباً، وأما أمر السواد الأعظم من النساء بذلك في مثل بلادنا سورية وغيرها كمصر ونحوها من البلدان الأخرى التي انتشر أو بدأ ينتشر فيها التبرج والخلاعة بأبشع صورها، مما لم تنجُ منه مع الأسف حتى بلاد التوحيد[٣] التي كنا نأمل أن تكون الحصن

---

(١) كم وكم رأيت كتابه هذا معروضاً في المكتبة السلفية والعلمية بالمدينة المنورة يراه الغادي والرايح، ولكن..

(٢) الرعد: ١٧.

(٣) كأن ما سوى السعودية بلاد الشرك عند الكاتب ونعيذه بالله من أن يرى ذلك كله أو يظنه.

الحصين للمسلمين من هذا التبرّج. فأمر هذا الجنس من النساء بستر الوجه الذي لم يأمر الله به، وهن لا استعداد عندهن بأن يسترن نحورهن وصدورهن وما هو أكثر من ذلك، مما لا يذهب إليه من كان عنده ذرة من رائحة فقه الكتاب والسنة. فمن الحكمة إذن أن يقنع العلماء في هذا العصر بأن تستجيب النساء لما أمر الله به من حجب البدن كله حاشاً الوجه والكفين، فمن حجب ذلك أيضاً منهن فذلك ما نستحبه لهن وندعو إليه. وأما إيجاب ذلك عليهن فهو عندي تشدُّد في الدين وتنطُّع لا يحبه الله تعالى، وخصوصاً على النساء اللاتي وصانا بهن رسول الله ﷺ خيراً في أحاديث كثيرة، منها قوله ﷺ: «رِفْقاً بالقوارير» إ هـ[1].

أقول: الملاحظات على آراء هذا الرجل في هذا الباب عديدة أكتفي منها بما يلي:

١ ـ حديث الخثعمية الذي جعله حجة في كشف المرأة وجهها ولو خشيت الفتنة، هو حديث صحيح، لكنه كان أيام النُّفْرة من مزدلفة إلى منى، والمرأة هناك تكشف عن وجهها.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: كان الفضل رديف رسول الله ﷺ، فجاءت امرأة من خَثْعم، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، وجعل رسول الله ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشقِّ الآخر، فقالت: يا رسول الله، إن فريضة الله تعالى على عباده في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يثبت على الراحلة أفأحج عنه؟ قال: «نعم» وذلك في حجة الوداع[2]. هذا الحديث إذن في

(١) المقدمة ص ٧ وما بعد.
(٢) رواه البخاري.

الحج، وإرداف رسول الله ﷺ للفضل كان من مزدلفة إلى منى، إذن فقد كانت المرأة الخثعمية كاشفة الوجه مُحرمة. قال ﷺ: «لا تنتقب المحرمة ولا تلبس القفازين»[1] فبطل استدلال الرجل لما يريد.

وفي حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: كان الفضل رديف رسول الله ﷺ يوم عرفة، فجعل الفضل يلاحظ النساء وينظر إليهن، فقال النبي ﷺ: «يا ابن أخي هذا يومٌ مَن مَلَك فيه سمعه وبصره ولسانه غُفر له».

قال ابن حجر في التعليق على حديث الفضل:

وفي الحديث من الفوائد: تواضع النبي ﷺ، ومنزلة الفضل بن العباس منه، وبيان ما ركب في الآدمي من الشهوة وجبلت طباعه عليه من النظر إلى الصور الحسنة، وفيه منع النظر إلى الأجنبيات وغض البصر. وقال القاضي عياض: وزعم بعضهم أنه ـ ستر الوجه ـ غير واجب إلاّ عند أمن الفتنة، قال: وعندي أن فعله ﷺ إذ غطّى وجه الفضل أبلغ من القول، ثم قال: ولعلَّ الفضل لم ينظر إليها نظراً ينكر، بل خشي عليه أن يؤول إلى ذلك، أو كان قبل نزول الأمر بإدناء الجلابيب. ويؤخذ منه التفريق بين الرجال والنساء[2].

٢ ـ كأنَّ الرجل لا يرى مصدر الحكم الشرعي إلاّ في الكتاب والسنة، فأين أقوال الصحابة، ما اتفقوا عليها أو انفرد بعضهم

(١) رواه البخاري.
(٢) فتح الباري: ٤/٧٠.

بأقوال وآخرون بأقوال. وقول الصحابي حجة عند علماء الأصول يقدَّم على الاجتهاد والرأي. وأين الإجماع، خاصة الإجماع القولي وهو حجة، وما كان منه قطعياً عدَّ الخروج عليه فسقاً ـ معاذ الله ـ وقد مرّ في باب (وجوب ستر الوجه مطلقاً) بعضُ من أقوال الصحابة، فَلِم لم يعرِّج عليها. ولم ينظر إلى اتفاق المذاهب الأربعة على ستر وجه المرأة عند الفتنة(١).

٣ ـ كأنَّ الرجل يعطي لنفسه حق التشريع حين يقول: فمن حجب ذلك أيضاً منهن ـ يريد الوجه والكفين ـ فذلك ما نستحبه لهنَّ وندعو إليه.

من المعلوم أن الأحكام الشرعية تثبت بالشرع وهي: الفرض والواجب والمسنون ـ ومنه المستحب ـ والمكروه والحرام. وأضاف بعضهم المباح.

فكيف يقول الرجل: فذلك ما نستحبه وندعو إليه، وقد قال: فهذا الحديث الصحيح يقرر أن كشف المرأة وجهها ولو كانت جميلة حق لها، إن شاءت أن تأخذ به فعلت، وليس لأحد أن يمنعها من ذلك بزعم خشية الافتتان بها. إ هـ.

بل كيف يقول: إنه كان يلزم زوجته وأنه سيلزم بناته بعدم السفور وستر وجوههن عن الرجال الأجانب(٢) والالتزام بفعل الشيء لا يكون إلّا لما كان واجباً في الشرع، ومن هنا قال الفقهاء

(١) على التفصيل الذي تقدم ذكره.

(٢) مقدمة كتابه ص ٦ عن كتاب نظرات في حجاب المرأة المسلمة للشيخ عبد العزيز خلف.

إن من شروط النذر أن يكون من جنس الواجب شرعاً، وإلاّ فإنه لا يعدّ نذراً.

أيرضى أن يقال فيه: خالفت فتواهُ تقواه! وأن يُتَّهم بترك النصح للمسلمين؟!.

٤ ـ كأنَّ الرجل غفل غفلة شديدة حين قال في حق المثقفة ثقافة شرعية: فمثل هؤلاء النسوة يمكن أن تؤمر بستر الوجه إن كان واجباً...

إنه يرى أن كشف المرأة عن وجهها مباح.. وهنا يقرر أنه يمكن أن يؤمر نوع من النساء بستر الوجه.. لأنهن مثقفات بثقافة دينية!.

إن الحكم الشرعي واحد، على المثقفين والمثقفات، ثقافة شرعية أو غير شرعيّة؛ لأن أحكام الإسلام خطاب إلى المكلفين من المسلمين.

إنه ـ والله ـ عسير على الفاسقة المستهترة التي تحضر حفلات الرقص المختلط وتذهب إلى المسابح المختلطة، عسير عليها أن تستر العنق والصدر، وإذا حلَّت الهداية قلبها حُبِّب إليها ستر الوجه مع سائر البدن.

والرجل يعلم أن الأمر ليس في الحقيقة أمر علم وثقافة، لكنه أمر توفيق وهداية. فكم من عالم أضلَّه علمه، وكم من جاهل سمع كلمة واحدة كانت الفيصل بينه وبين الضلال والشقاوة.

٥ ـ سد الذرائع قاعدة من قواعد علم الأصول، له أصل من القرآن والسنة.

قال الله تعالى: ﴿ ولا تَسُبُّوا الذينَ يَدْعونَ مِنْ دونِ اللهِ فيسبُّوا اللهَ عَدْواً بغيرِ علمٍ ﴾[1]

روى ابن جرير وغيره أن مشركي مكة قالوا لرسول الله ﷺ: يا محمد لتنتهين عن سبِّك آلهتنا أو لنهجونَّ ربَّك، فنهاهم الله تعالى أن يسبُّوا أوثانهم.

وقال ﷺ: «لا يحتكر إلّا خاطىء»[2] لأن الاحتكار ذريعة إلى رفع الأسعار وعدم وجود السِّلَع في الأسواق مما يسبب الضرر للأفراد.

ومن هنا قالت الحنفية بوجوب ستر المرأة الشابة وجهها لخوف الفتنة، بل أباحوا لها ستر الوجه ولو كانت محرمة لذلك أيضاً.

ألا ليت الرجل قال بقول الحنفية، وقد كان حنفي المذهب وتفقَّه به على أبيه رحمه الله قليلاً، قبل أن يكبر وينتقص المذاهب، خاصة مذهبه القديم وإمامه رضي الله تعالى عنه، ويقرن مذهبه السابق بكتاب محرَّف مبدَّل فيه الكفر والشرك، وهو يعلم مصادر الفقه الشرعية ولا حول ولا قوة إلّا بالله.

٦ ـ لقد هوَّن الرجل على بعض الناس ـ خاصة من يتبعه، ومن يقتنص الرخص ـ ترك ما عرفه المسلمون من أيامه ﷺ إلى أيامنا هذه من ستر وجه المرأة، وفي هذا الأمر مع ما فيه من مجانبة الصواب مدعاة لإساءة الظن بالسلف وعصور المسلمين المتتابعة إلى يومنا هذا.

---

(١) الأنعام: ١٠٨.

(٢) رواه مسلم.

وقد كشف بعضهن فعلاً عن وجوههن تبعاً لفتواه هذه، وتفعل غيرهن ـ ولم ينظرن إلى ما ألزم به الرجل زوجته ويلزم بناته من ستر الوجه ـ ويُخشى أن يبدو منهن على الأيام بعض الشَّعَر، وبعض الذراع، وبعض العنق.. ويكون الرجل بما فتح لهن من باب إباحة كشف الوجه على نصيب من المؤاخذة عند الله تعالى.

لقد كان يسع الرجل ما وسع المسلمين، وأن يدعو إلى تربية المرأة المسلمة على الدين الحق، وعلى ستر الجسم كله، وعلى أنه يباح للمُسِنَّة كشف الوجه، ويباح للشابة كشف الوجه عند الحاجة والضرورة.. وعند قيام المجتمع المسلم الذي تؤمن فيه الفتنة على الرجل والمرأة معاً.

ولو أنه وقف عند هذا لكان عمله بناء في تربية المرأة المسلمة التي يكيد لها الشيطان والأعداء بكل سلاح من مكر وكيد وكذب.. ولكنه ـ بدون قصد منه بإذن الله تعالى ـ كأنه وقف في صفٍّ أعداء المرأة المسلمة.

لكنه عدم التوفيق لازمه في هذا الرأي والحكم، وقد يكون هذا جزاء سوء ظنه وقوله في الأئمة المتبوعين، وقديماً قال ابن عساكر (لحوم العلماء مسمومة). وقال: (من أطلق لسانه في العلماء بالثلب بلاه الله قبل موته بموت القلب).

وفقنا الله تعالى والمسلمين إلى الصواب في القول والعمل، وعصمنا فيهما من الزيغ والزلل، إنه سميع مجيب.

أحكام العورة بين المحارم

قد عرفنا أن المرأة في حق الأجنبي عورة مستورة، لا تبدي له شيئاً من بدنها ولا وجهها وكفيها.

فما عورتها في حق زوجها ومحارمها؟.

١ ـ العورة بين الزوجين:

لا عورة بين الرجل وزوجته، فيحل له أن ينظر منها إلى كل شيء، ويحل لها أن تنظر منه إلى كل شيء، وإن كان يستحب أن لا يتجردا تجرد العيرَين حين يكونان معاً. قال ﷺ: «احفظ عورتك إلاّ من زوجتك أو ما ملكت يمينك»[1].

٢ ـ العورة بين الأولاد وأبويهم:

ينظر الأولاد إلى أبيهم فيما عدا ما بين السرة والركبة، فلا يحل للأب أن يظهر فخذيه بقصد بين يدي أولاده ذكوراً كانوا أو أناثاً.

وينظر الأولاد إلى أمهم كما ينظرون إلى أبيهم، وينظرون إلى صدرها، دون ظهرها على المختار، لقوله تعالى: ﴿ الـذين يُظاهِرون منكم مِنْ نسائهم ﴾ أي يقول أحدهم لزوجته: أنت عليَّ كظهر أمِّي، يحرِّمها بذلك على نفسـه.

٣ ـ العورة بين الأولاد الذكور والإناث هي سوى ما بين السرَّة والركبة، وظهر الأخت، فيحرم على الأخ أن يرى فخذ أخته، ويحرم عليها أن ترى فخذ أخيها عند أمن الشهوة، وأما عند ظن

---

(١) رواه الخمسة، إلاّ أن الرجل لا ينظر من زوجته حال الحيض والنفاس فيما بين السرة والركبة، ولا يمس ذلك بشهوة وبدون شهوة.

الشهوة فلا ينظر من أخته لا إلى صدرها ولا إلى عنقها خشية العنت والفتنة، وكذا هي.

٤ ـ العورة بين الأقارب المحارم[١]:

هي في حق الرجل سوى ما بين السرّة والركبة كما سبق عند أمن الشهوة.

وهي في حق المرأة سوى ما بين السرّة والركبة والصدر والعنق والذراع والساق لا الظهر والبطن والفخذ مع ما يتبعها، وذلك عند أمن الفتنة، أما عند ظنِّ الفتنة أو تحققها فلا ينظر إلى ما يرغبه منها فيها.

٥ ـ العورة بين المرأة والمرأة:

تنظر المرأة المسلمة إلى المرأة المسلمة فيما سوى ما بين السرّة والركبة، من الساق والصدر والعنق، وقد اتفق العلماء على أن الأحاديث التي حدّدت عورة الرجل من الرجل هي نفسها بيان لعورة المرأة من المرأة. قال ﷺ: «لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا تنظر المرأة إلى عورة المرأة»[٢] فلا يحل للمرأة المسلمة أن تبدي فخذيها أمام المرأة المسلمة، كما لا يحل ذلك بين الأم وأولادها ولا بين الأخوات وأخواتهن أو إخوانهن.

فلبس المرأة الثوب القصير عن الركبة ولو كان في بيتها وبين أولادها إثم، وتكون بذلك قدوة سوء! بل كشفها شيئاً من ذلك

(١) المحارم: أصحاب القرابة الرحمية المحرمية، وهم الذين الذين لا يحل نكاح بعضهم لشدة القرابة بينهم، ويكون الرجل منهم محرماً لقريبته في أي سفر كالزوج والأب.

(٢) رواه مسلم وأبو داود والترمذي.

أمام أولادها في الحمام أو عند خلع الثياب إثم لا يسوغ شرعاً، إلّا لضرورة.

أما المرأة الفاجرة: فلا يحل للمسلمة أن تبدي أمامها زينتها وصدرها، لأنها قد تصفها عند الفاجرات والفجّار، وقد يلحق ذلك بالمسلمة تهمة.

أما الكافرة: فهي كالرجل الأجنبي لا ينبغي أن تتكشف المرأة المسلمة أمامها إلّا لحاجة.

قال ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿ أو نسائهن.. ﴾ يعني تظهر زينتها أيضاً للنساء المسلمات دون أهل الذمة؛ لئلا يصفنهن لرجالهن، وذلك وإن كان محذوراً في جميع النساء ـ أي الوصف ـ إلّا أنه في نساء أهل الذمة أشد؛ فإنهنّ لا يمنعهن من ذلك مانع، فأما المسلمة فإنها تعلم أن ذلك حرام فتنزجر عنه. وقد قال سيدنا رسول الله ﷺ: «لا تباشر المرأة المرأة، فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها»(١).

قال الإمام القرطبي: وقال سعيد بن أبي الحسن للحسن: إن نساء العجم يكشفن صدورهن ورؤوسهن؟ قال: اصرف بصرك. يقول الله تعالى: ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ﴾. وقال قتادة: يعني عمَّا لا يحل لهم.

قال عبادة بن نُسَيِّ: وكتب عمر إلى أبي عبيدة رضي الله تعالى عنهما: أنه بلغني أن نساء أهل الذمة يدخلن الحمامات مع نساء

(١) متفق عليه.

المسلمين، فامنع من ذلك وحُلْ دونه، فإنه لا يجوز أن ترى الذمية عَرِيّة امرأة ـ ما يُعرى منها ويكشف ـ قال: فعند ذلك قام أبو عبيدة وابتهل وقال: أيما امرأة تدخل إلى الحمام من غير عذر لا تريد إلّا تبييض وجهها؛ فسوّد الله وجهها يوم تبيض الوجوه.

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: لا يحل للمسلمة أن تراها يهودية أو نصرانية لئلا تصفها لزوجها[1].

أما غير المحارم من الأقارب كابن العم وبنت العم، وابن الخال وبنت الخال، فحكمهم حكم الأجانب الغرباء لجواز الزواج بينهم.

والقرابة عن طريق الرضاعة، والقرابة عن طريقة المصاهرة كالقرابة النسبية في أحكام العورة.

أحكام الصغير الأجنبي: يختلف حكم نظر الطفل الأجنبي إلى النساء ودخوله عليهن قبل المراهقة عمّا بعد المراهقة إلى البلوغ، ففي سن ما قبل المراهقة يجوز للصغير الدخول على النساء والنظر إلى زينتهن الباطنة كالشعر والعنق والصدر والعضد والساعد والساق والقدم (لا الفخذ والبطن والثدي).

أما إذا راهق الحُلُمَ فقد أصبح من حيث النظر إلى الزينة الباطنة في حكم البالغ، فيمنع من النظر وتمنع المرأة من إبداء شيء من زينتها أمامه، وإن كان لا يمنع من الدخول على النساء بشرط أن لا يرى منهن سوى الوجه والكفين، أما إذا بلغ فد حَرُمَ

---

(١) تفسير القرطبي ١٢/٢٢٢ ـ ٢٢٣.

عليه النظر والدخول معاً، لأنه أصبح رجلاً، قال ﷺ: «إياكم والدخول على النساء» قال رجل من الأنصار: «أرأيت الحَمْو؟»، قال: «الحمو الموت».

ويؤمر الوالدان بستر ولدهما إذا بلغ أن يُشتهى. فيستران فخذي ولدهما، ولا يأذنان له بكشف فخذيه بين أحد من أهله فضلاً عن الأجانب حفظاً له، وتعليماً على رعاية أحكام الإسلام.

ويؤمران بستر ابنتهما إذا بلغت أن تُشتهى لما سبق. وقدر حدّ الشهوة من التاسعة عادة، وقدر حدّ المراهقة من الثانية عشر عادة، وقد تتقدم خاصة في المجتمعات المثيرة للشهوات من قراءة القصص أو رؤية الأفلام وأمثال ذلك. والله تعالى أعلم(١).

(١) انظر أحكام العورة مفصلة في كتاب الشيخ محمد بشير الشقفة في مواضع، والهدية العلائية.

الفصل الخامس

عمل المرأة خارج البيت

قد عرفنا طبيعة المرأة، ووظيفتها في الحياة الاجتماعية، وعرفنا آداب خروجها من البيت وصفة ثيابها في ذلك، وضرورة بعدها عن مخالطة الرجال ولو كان في الطريق، أو المسجد والطواف حول الكعبة.

وعرفنا حرمة اختلائها بالرجال، وحرمة سفرها وحدها، أو مع غير زوج أو محرم، وعرفنا كذلك أنها تقيم في بيتها لا تخرج إلّا لحاجة، وليس حاجتها طلب الرزق فإنها مكفية الرزق من والدها أو زوجها أو أخيها أو ابنها، أو قريبها.

وعرفنا كذلك أن لها أن تعمل في مساعدة زوجها أو أبيها في الخياطة والتطريز وغير ذلك، وأن تتاجر بمالها لأن لها الشخصية المستقلة.

وعرفنا كذلك أنها مشغولة دائماً بالعناية بأولادها وبيتها وزوجها، وهي ـ لَعَمْرُ الله ـ أعمال تتناسب مع فطرتها، وتقتضيها طبيعة مشاركة الرجل في أمور الحياة.

وهي في هذا كله لا تجد حاجة تدعوها إلى الخروج من البيت لتعمل خارج البيت.

فإذا دعتها الضرورة والحاجة للخروج من البيت لتعمل، فإنما هي ضرورة ـ والضرورة تقدر بقدرها ـ فتخرج مراعية الشروط التالي:

١ ـ إذن وليها من أب أو زوج لها في الخروج للعمل.

٢ ـ سلامته من الاختلاط والخلوة بالأجنبي وقد عرفنا حرمة ذلك شرعاً، وذلك لما قد ينتج عنه من آثار سيئة في النفوس والأخلاق بل من الفساد في الأعراض، وما زلنا نسمع ويسمع الناس من أضرار الاختلاط ما يدفع النساء إلى إضاعة أعراضهن حتى مع الخَدَم في بيوتهن، وفي قصة زليخا مع يوسف عليه السلام عبرة وعظة.

٣ ـ خروج المرأة من بيتها على الزي الإسلامي من جلباب سابغ، وستر للوجه والكفين الخ[1]، وأن لا يكون الجلباب مما يثير الانتباه فيكون أسود أو بُنِّيًّا غامقاً وما شابه ذلك.

ونتساءل: هل من حاجة عامة لخروج المرأة من بيتها للعمل؟ وهل من فائدة عامة في ذلك؟ ثم هل ثمة خسارة في خروجها من البيت إلى العمل خارجه؟.

(١) انظر «ماذا عن المرأة» للدكتور الشيخ نور الدين عترص ١٦٧.

أ ـ يقول بعضهم: إن عمل المرأة خارج البيت ـ ولا يعدُّون عملها في البيت عملاً مع أنهم يجلبون الخادمات للعمل في بيوتهم ـ يساعد على التقدُّم الاجتماعي وزيادة الإنتاج.

لكن خروج المرأة من البيت لتعمل خارجه يعني:

١ ـ إهمال الأطفال من العطف والرعاية، ولا شك أن عملية التربية تقوم على الحب والصدق والملاحظة وطول الزمن، وبدون ذلك لا تتحقق التربية، ومحاضن الرُّضَّع وأعشاش الأطفال عند الآخرين تظهر ـ لمن يريد أن يرى ويعلم ـ أنها لا تحقق للأطفال ما يتحقق لهم في بيوتهم، لأن المربية في المحضن مهما كانت على علم وتربيـة لكنها لا تملك قلب الأم.. فلا تصبر.. ولا تحب كما تفعل الأم.

فهل يوازي ما يخسره الأولاد من عطف الأمهات وعنايتهم ما تعود به الأم آخر النهار من دريهمات؟.

٢ ـ إن المرأة التي تخرج إلى العمل في مجتمعاتنا تخالط الرجال ـ عادة ـ وقد تخلو بهم، وذلك أمر محرم، وأضرار ذلك على سمعتها وأخلاقها معلوم غير مجهول.

ويكفي أحدنا أن يدخل دائرة من دوائر الدولة أول الدوام أو آخره، ليرى جلسات الموظفين والموظفات على غير ما يرضى الله تعالى. إلّا من رحم ربك وقليل ما هم.

فهل يوازي ما تخسره المرأة من سمعتها وربما شرفها ما تعود به آخر النهار من دريهمات؟!.

٣ ـ إن المرأة التي تعمل خارج البيت تحتل في كثير من الحالات مكان الرجل ـ وقد يكون زوجها أو أخاها ـ وتدع في بيتها مكاناً خالياً لا يملأه أحد. قال «جول سيمون»: (المرأة التي تشتغل خارج بيتها تؤدي عمل عامل بسيط ولكنها لا تؤدي عمل امرأة! فما فائدة مزاحمتها للرجل في عمله وتركها عملها ليس له من يقوم به؟).

٤ ـ إن المرأة التي تعمل خارج البيت تفقد أنوثتها ويفقد أطفالها الأنس والحب.

تقول «سلمى حفار» ـ إحدى أعضاء الحركات النسائية في بلادنا ـ وقد زارت أمريكا ـ: (من المؤسف حقاً أن تفقد المرأة أعزَّ وأسمى ما منحتها إياه الطبيعة[١]، وأعني أنوثتها ومن ثَمَّ سعادتها، لأن العمل المستمر المضني قد أفقدها الجنّات الصغيرات التي هي الملجأ الطبيعي للمرأة والرجل على حد سواء، والتي لا يمكن أن تتفتح براعمها وتفوح شذاها بغير الأم وربة البيت. ففي الدور وبين أحضان الأسرة سعادة المجتمع والأفراد ومصدر الإلهام وينبوع الخير والإبداع)[٢].

٥ ـ إذا خرجت المرأة من بيتها للعمل فستعتاد الخروج من البيت ولو لم يكن لها عمل كما هو ملاحظ، وبالتالي سيستمر انشطار الأسرة وانقطاع الألفة بين أفرادها.. ويقل ويضعف

---

(١) بل الله، والطبيعة مخلوقة لا تمنح شيئاً ولا تمنعه.
(٢) من مقال لها بصحيفة الأيام ١٩٦٢/٩/٣.

التعاون والتحابُّ بين أفرادها كما هو ملاحظ في بلاد الآخرين وقد كادت الأسرة أن تنهار كلياً.

قال الدكتور الشيخ مصطفى السباعي رحمه الله تعالى في وصف رحلته العلمية إلى أوربا: وأذكر أننا حين كنا على ظهر الباخرة من ميناء دوفر بإنكلترا إلى ميناء أوستن في بلجيكا التقينا بفتاة إيطالية تدرس الحقوق في جامعة أكسفورد، وتحدثنا عن المرأة المسلمة: كيف تعيش، وما هي حقوقها في الإسلام، وكيف وفَّر لها الإسلام كل مظاهر الاحترام حين أعفاها من مؤنة العمل لتعيش، بل جعلها تتفرغ لأداء رسالتها كزوجة وأم وربّة بيت. وبعد أن أفضنا في هذا الحديث وقارنا بين حال المرأة في الإسلام وبين حالها في الحضارة الغربية، قالت الفتاة بكل بساطة ووضوح: إني أغبط المرأة المسلمة وأتمنى أن لو أكون مولودة في بلادكم. وهنا اغتنمت الفرصة فقلت لها: هل ستحاولين أن تطلبي إلى المرأة الغربية العودة إلى البيت وأن يقوم الرجل بواجبه نحوها؟ قالت: هيهات!! لقد فات الأوان، إن المرأة الغربية بعد أن اعتادت الخروج من البيت وغشيان المجتمعات يصعب عليها جداً أن تعتاد حياة البيت بعد هذا، ولو أني أعتقد في ذلك سعادة لا توازيها سعادة. إهـ[1].

٦ ـ المرأة مطبوعة على حب الزينة والتحلِّي بالثياب وغيرها، قال الله تعالى: ﴿ أَوَ مَنْ يُنَشَّؤُا في الحِلْيَة وهو في الخصام غيرُ

(١) المرأة بين الفقه والقانون ص ١٨٠.

مُبين ﴾[1] فإذا هي خرجت لتعمل خارج البيت فإنها ستنفق الكثير من المال الذي تأخذه على ثيابها وزينتها وتصفيف شعرها، ودول الأخرين تشكو من الملايين التي تذهب في تفاهات الزينة التي تتزيَّن بها النساء.

وانظر إلى غالب الموظفات في طريق ذهابهن إلى أعمالهن أو عودتهن منها، لترى الترف الفارغ والمال الضائع، في مظاهر وبهارج.. لا ترقى بمجتمع ولا تتقدم باقتصاد.

٧ ـ إن المرأة كما يقول الآخرون والخبراء أقل عملاً وإنتاجاً من الرجل، وأقل منه رغبة في الطموح، والوصول إلى الجديد. إن لها من العادة الشهرية، وأعباء الحمل، والفكر في الأولاد وفي الأنوثة ومطالبها، ما يشغلها حقاً أن توازي الرجل في عمله، ويعوقها عن التقدم بالعمل. والنادر من النساء لا ينقض القاعدة.

فإذا وازنًا بصدق وصراحة بين ما يقدِّرون من تقدُّم وإنتاج حين تعمل المرأة خارج البيت ـ وهم لا يعدون عملها في البيت عملاً سخفاً وقحة منهم ـ وبين ما ذكرنا وما لم نذكر من أخطار وأضرار، فهل تربو فائدة خروج المرأة من البيت على قرارها فيه؟.

ثم إن المسلم لا يغفل عن أن الله تعالى قد خلق الخلق لعبادته وطاعته، وأمرهم أن يسيروا وفق شرعه وهديه، ثم هو المتكفل بعد ذلك لعباده بما شاء من رزق، وهو واسع إذا سلكوا مسالكه الحقَّة، قال الله تعالى: ﴿ وما كانَ لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قَضَى الله

---

(١) الآية ١٨ من سورة الزخرف.

ورسولُه أمراً أن يكونَ لهم الخِيَرَةُ مِنْ أمرهم ﴾[١].

من أقوال الآخرين حول عمل المرأة خارج البيت:

قال «أنطوان نيميلان» وهو روسي شيوعي: (الحق أن جميع العمال قد بدت فيهم أعراض الفوضى الجنسية، وهذه حالة خطرة تهدد النظام الاشتراكي بالدمار، فيجب أن نحارب بكل ما أمكن من الطرق؛ لأن المحاربة في هذه الجهات ذات مشاكل وصعوبات، ولي أن أدلكم على آلاف من الأحداث يُعلم منها أن الإباحية قد سرت عدواها لا في الجهّال والأغرار فحسب، بل في الأفراد المثقفين من طبقة العمال أيضاً)[٢].

قال الفيلسوف الملحد «برتراند راسل»: (إن الأسرة انحلّت باستخدام المرأة في الأعمال العامة، وأظهر الاختبار أن المرأة تتمرد على تقاليد الأخلاق المألوفة، وتأبى أن تظل وفية للرجل إذا تحررت اقتصادياً)[٣].

وقالت «أني رود» الإنكليزية: (لأن تشتغل بناتنا خوادم أو كخوادم خير وأخف بلاء من اشتغالهن في المعامل، حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها إلى الأبد، ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفاف والطهارة.. نعم إنه لعار على بلاد الإنكليز أن تجعل بناتها مثلاً للرذائل بمخالطة الرجال، فما بالنا لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل بما يوافق فطرتها

---

(١) الآية ٣٦ من سورة الأحزاب.
(٢) عن الحجاب للمودودي ٢٠٩.
(٣) عن المرأة بين الفقه والقانون.

الطبيعية، من القيام في البيت وترك أعمال الرجال للرجال لسلامة شرفها)[1].

وقالت «اللادي كوك»: (إن الاختلاط يألفه الرجال، ولـذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها، وعلى كثرة الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنى وههنا البلاء العظيم على المرأة.. ثم قالت: أما آن لنا أن نبحث عما يخفف ـ إذا لم نقل يزيل ـ هذه المصائب العائدة بالعار على المدنيّة الغربية! أما آن لنا أن نتخذ طريقاً تمنع قتل الآلاف من الأطفال الذين لا ذنب لهم، بل الذنب على الرجل الذي أغرى المرأة المجبولة على رقة القلب؟.

يا أيها الوالدان لا يغرنّكما بعض دُرَيهمات تكسبها بناتكما باشتغالهن في المعامل ونحوها ومصيرهن إلى ما ذكرنا، علِّموهنَّ الابتعاد عن الرجال، أخبروهنَّ بعاقبة الكيد الكامن لهنَّ بالمرصاد. لقد دلنا الإحصاء على أن البلاء الناتج من حمل الزنى يعظم ويتفاقم حيث يكثر اختلاط النساء بالرجال، ألم تروا إلى كثرة أمهات أولاد الزنى في المعامل والخادمات في البيوت وكثير من السيدات المعرَّضات للأنظار، ولولا الأطباء الذين يعملون الأدوية للإسقاط لرأينا أضعاف ما نرى الآن، لقد أدَّت بنا هذه الحال إلى حد من الدناءة لم يكن تصورها في الإمكان، هذا غاية الهبوط بالمدنيّة)[2].

قال «اللورد بيرون»: (لو تفكرتَ أيها المطالع فيما كانت عليه

---

(١) المرجع السابق.
(٢) عن المرأة بين الفقه والقانون.

المرأة في عهد قدماء اليونان لوجدتها في حالة يقبلها العقل، ولعلمت أن الحالة الحاضرة ـ حالة المرأة ـ لم تكن غير بقية من همجية القرون الوسطى، حالة مصطنعة مخالفة للطبيعة، ولرأيت معي وجوب اشتغال المرأة بالأعمال المنزلية، مع تحسين غذائها وملبسها فيه، وضرورة حجبها عن الاختلاط بالغير وتعليمها الدين)[1].

بل إن «هتلر».. و «موسوليني» أخذا يقدِّمان جوائز مُغْرية للنساء اللاتي يتركن أعمالهن خارج البيت ليعدن إلى بيوتهن يعملن فيها. فهل من مُدَّكر؟.

وقال «أوغست كونت»: (يجب أن يغذي الرجل المرأة. هذا هو القانون الطبيعي لنوعنا الإنساني، وهو قانون يلائم الحياة الأصلية المنزلية للجنس المحب (النساء) وهذا الإجبار ـ إجبار الرجل على تغذية المرأة ـ يشبه ذلك الإجبار الذي يقضي على الطبقة العاملة من الناس بأن تغذِّي الطبقة المفكرة منهم لتستطيع هذه أن تتفرغ باستعداد تام لأداء وظيفتها الأصلية. غير أن واجبات الجنس العامل المادية نحو الجنس المحب هي أقدس من تلك، تبعاً لكون الوظيفة النِّسوية تقتضي الحياة المنزلية. ولكن بالنسبة للمفكرين فإن هذا الإجبار يكون تضامنياً فقط، بخلافه بالنسبة إلى النساء فإنه ذاتي)[2].

* * *

(١) المرجع السابق ص ١٩٠ وما بعد، وثمّة نقول أخرى جديرة بالقراءة والملاحظة.
(٢) المرأة بين الفقه والقانون.

يقول قائل: إذن لماذا خرجت المرأة الأوروبية لتعمل خار
ـبيب.. وما تزال..؟.

أقول: لهذا أسباب عادية ليس منها سبب يقصد به إكرا المرأة. وهاك بعضها:

١ - إن الأب هناك لا تكلفه الدولة الإنفاق على ابنته إذا بلغ الثامنة عشر من عمرها، لذا فهو يجبرها على أن تجد لها عملاً إ بلغت ذلك السن.. وكثيراً ما يكلفها دفع أجرة الغرفة التي تسكنه في بيت أبيها فضلاً عن أجرة غسل الثياب وكيِّها.

٢ - إن الناس هناك يَحيون لشهواتهم، فهم يريدون المرأة في كل مكان.. فأخرجوها من بيتها لتكون معهم.. ولهم.. ألا ترى كيف يسخِّرونها لشهواتهم الدنيئة في الأفلام الداعرة والصو العارية والإعلانات.. حتى إعلانات صابون الحلاقة.. ولمعا الأحذية.. ودور البغاء..!!.

٣ - إن البخل والأنانية شديد عندهم، فهم لا يقبلون أن ينفقو - في زعمهم - على من لا يعمل إلاّ أعمالاً بسيطة، ولا يرون تربي الأولاد أمراً هاماً، ومهمة شاقة، لأنهم لا يبالون بدين وتربية.

٤ - إن المرأة عندهم هي التي تهيىء بيت الزوجية، فلا بد له أن تعمل وتجمع المال حتى تقدمه مهراً (دوطة) لمن يريد الزوا بها. وكلما كان مالها أكثر كانت رغبة الرجال فيها أكثر.

ومع ذلك فما يزال هناك بعض من الآباء ينفقون على بناتهم إذ بلغن، ولا يرضون لهن بالعمل خارج البيت، ولا بمخالطة الرجال إلاّ في حدود ضيقة، وقليلٌ ما هم.

٥ ـ وهي اليوم تجد الحرية لخروجها من البيت، فتخادن من تشاء، وتصادق من تشاء، وتذهب حيث تشاء، وتنام حيث تشاء.

وقد استمرأت هذه الحياة الفاسدة، واستمرأ الرجال ذلك فيهن، ومعهن. فلن تعود المرأة هناك إلى بيتها وإلى عفافها؛ إلّا إذا عادت إلى الإسلام، فهو وحده الكفيل بإعادة الحياة الإنسانية إلى فطرتها، وتقويم كل اعوجاج وانحراف فيها.

* * *

من أهداف إخراج المرأة من بيتها:

قال أحدهم:

١ ـ استقلال المرأة اقتصادياً، وذلك يبيح لها أن تكون غير مرتبطة بالرجل أباً كان أو زوجاً أو أخاً ارتباط كفالة وحاجة إلى الإنفاق.

٢ ـ هذا الاستقلال الاقتصادي يضمن لها حرية الرأي في اختيار الزوج أو الصديق إن رغبت في الزواج أو آثرت علاقة الصداقة عليه، كما يضمن لها حرية السكن بعيداً عن الأسرة، وحرية المعيشة بعيدة عن العادات والتقاليد غير المرغوب فيها. وكلما وجدت المرأة فرص العمل خارج البيت كلما ازداد استقلالها ثباتاً، واتسع مدى انطلاقها في ممارسة حريتها الشخصية[١].

خطب حاكم كوريا الشمالية في مؤتمر الاتحاد النسائي في

---

(١) مجلة المجتمع: ١٤٠١/٥/٤ هـ.

بلاده سنة ١٩٧١ فكان مما قال: إننا نجعل النساء يدخلن المجتمع وليس مردّ هذا قطعاً إلى النقص في اليد العاملة، وإذا ما قلناها صراحة فإن ما تتحمله الدولة الآن من أعباء النساء هو أكبر مما تقدمه النساء من المنافع للدولة عن طريق المشاركة في العمل بعد دخولهن المجتمع.. ثم قال: وإذن لماذا نريد أن تنشط النساء في انطلاقهن إلى المجتمع؟ ذلك لأن انطلاقهن يستهدف بوجه رئيسي تثوير النساء وتحويلهن على نمط الطبقة العاملة من خلال الحياة الاجتماعية، يشجع حزبنا انطلاق النساء إلى المجتمع بنشاط من أجل تثوير النساء وتحويلهن على نمط الطبقة العاملة مهما ثقلت أعباء الدولة.

ترى ماذا تقول بعض الحكومات العربية، والإسلامية التي فتحت مجالات الوظيفة والعمل للمرأة بدعوى دعم الاقتصاد أو زيادة الإنتاج، ولو قُدم في سبيله ما يقدم، من إهمال الأسرة، والأولاد، ومن فساد الأخلاق؟!.

وقال الملحد «راسل»: (إن الأسرة انحلّت في استخدام المرأة في الأعمال العامة، وأظهر الاختبار أن المرأة تتمرد على تقاليد الأخلاق المألوفة، وتأبى أن تظل أمينة لرجل واحد إذا تحررت اقتصادياً)[1].

قلت والرجل مثل المرأة وأشد. وقال الدكتور رمزي نعناعة: (إن المرأة الغربية مع بلوغها شأواً طيباً في المعرفة والمهارة الاجتماعية والتربوية ودخولها ميادين متعددة، إلاّ أن الاعتداء على

(١) الإسلام والحضارة الغربية لمحمد كرد علي /٢: ٩٢/.

قوانين الفطرة (التي أسلفنا بيانها) من خروجها من البيت ومخالطة الرجال أوصلها إلى حال من المسخ أفقدها وأفقد المجتمع أعز ما خلقت له وهو الزوجية الكريمة، والأمومة الحانية، والطفولة الصالحة).

وقد يقول قائل: فما بال المرأة عندنا خرجت من بيتها لتعمل خارجة، متحمِّلة عصيان الله تعالى، ومخالفة الولي من الوالدين أو الزوج، ومعرِّضة نفسها للتهم والفساد، وربما الزنى، ومهددة أسرتها بالانهيار، ومكلِّفة فطرتها ما لا تحب ولا ترضى؟!.

ما بال المرأة عندنا خرجت من بيتها لتعمل خارجه فتخالط الرجال، وهي مكفية النفقة من وليها، من أب أو أخ أو زوج، والرجل لا يطمع فيها قدر ما يطمع الآخرون؛ لما يزال فيه من إسلام وغَيْرة وعفة، وهي إذا تزوجت تأخذ المهر خالصاً لها طيباً؟.

إنها ـ أيها الأخ القارىء ـ استمرأت مظاهر الحياة عند الآخرين، وأُعجبت بالمرأة هناك، لها مكسب خاص تنفق منه على زينتها وبهرجها، أعجبت بالمرأة هناك تحيَى حرة، لما لها من الاستقلال الاقتصادي من حيث ما تأخذ من راتب، وأسباب يأتي ذكرها.

واعجَبْ معي لكاتب يدعو إلى توظيف المرأة السعودية، كاتب من جدّة القريبة من مكة المكرمة يدعو إلى هذا. ويله من داعٍ إلى فساد وخراب.

إنها بكلمة واحدة: التبعية، والتقليد، لمن لا يرجو الله واليوم الآخر.

ويا حبذا.. يا حبـذا لو قامت في بلاد العرب بلاد المسلمين هيئات تحصي بصدق نتائج خروج المرأة من بيتها لتعملَ مع الرجال، وتصادق الرجال، وتخادن الرجال: من إفساد للأسر، وحوادث الزنى، وثمرات الزنى، ومن هَوان الجرائم في أعين الناس وقلوبهم، ومن الخيانات الزوجية، وجرائم السرقة، وشرب الخمر، والاعتداء على الأعراض، وحوادث القتل.. الخ.

لو قامت تلك الهيئات بإحصاء واحد لربما كان نتيجة ذلك الإحصاء مدعاة لنعود إلى صورة المجتمع المسلم، حيث لا اختلاط، ولا عمل مشترك بين الرجل والمرأة، فلا فساد إلى حد كبير. حبذا لو يتم هذا قبل أن نتمادى أكثر مما نفعل، فيصبح العَوْد أصعب ـ معاذ الله ـ. عسى أن يكون ذلك قريباً.

١٨٪ من المنحرفين هم أبناء لأسر يعمل فيها الأب والأم معاً!.

نشرت جريدة الجمهورية تقريراً من هيئة «اليونيسيف» العالمية للأطفال جاء فيه من خلال الأبحاث التي تمت في ثلاث وعشرين دولة على المستوى الاجتماعي والأسري للأحداث، تبين أن ١٨٪ من هؤلاء الأحداث هم من أسر يعمل فيها الأب والأم معاً معظم الوقت. وتبدو الأسرة مستقرة عائلياً في الظاهر لانعدام المشاكل المادية لديها، لكن الانفجار يحدث في سن معينة بالنسبة للابن حين يحتاج إلى الرعاية الأسرية الخالصة فلا يجدها، ومن ثم يحدث الانحراف[١].

---

(١) الجمهورية ١٢ ـ ١١ ـ ١٩٧٠.

ونشرت مجلة «المختار» الأميركية مقالاً تحت عنوان (الجنس عند المراهقين) قالت فيه: إنَّ «بيشي» وهي فتاة وقعت في الزنى وهي في الرابعة عشر هي واحدة من /٢٠٠/ ألف مراهقة يصبحن في السنة الواحدة أمهات غير شرعيات، والعدد في ازدياد.

إن نسبة أمثال هذه الولادات من أمهات مراهقات صغيرات تشكل ٧٥٪ من ولادات أولئك المراهقات الأكبر سناً خلال /٦١ ـ ٧٤/، وإن هذه الولادات غير الشرعية تحتل جزءاً من مجموع حالات الحمل غير المرغوب فيها، والمخطط لها في صفوف المراهقات.

إن من بين اللواتي يصبحن أمهات أثناء التعليم وهن في سن /١١ ـ ١٥/ يتابع التعليم منهن ١١٪ فقط، وهناك ٤٠٪ فقط يتزوجن بالذين عاشروهن، وكثيراً ما تنتهي هذه الزيجات إلى الطلاق.

أما محاولة الانتحار بينهن فهي سبعة أضعاف تلك التي تحدث مع زميلات لم يلدن أطفالاً. في «إقليم بروم» من مقاطعة نيويورك كان هناك /٥٦٦/ من مراهقة بين /١٠ ـ ١٩/ سنة حملن خلال السنة الماضية. من هؤلاء /٣٠٨/ وضعن، ووجدت /٨٨/ منهن، ولم يكن ثمة عقد قران لاختفاء الأب.

وقالت الطبيبة مديرة تثقيف المجتمع في بروم:

إن الأطفال محاطون بالجنس من كل مكان، إنهم يشاهدونه على التلفزيون والسينما، وفي المجلات والصحف وفي تصرفات والديهم ومن خلال تلصصهم. ولذلك فلا عجب في غياب

التثقيف الجنسي أن ينطلق الأطفال وراء الجنس!.

ثبت من الإحصائيات في أمريكا أن /١١٠٠٠/ فتاة دون الخامسة عشر ينجبن أطفالاً غير شرعيين في السنة.

قلت: هذا بعض ما عند أولئك الذين يحفرون قبور زوال حضاراتهم وزوالهم بأظافرهم. فاللهم ردنا إلى دينك واحفظنا من الانزلاق، ثم السقوط كما نشاهد عند الآخرين. ولا حول ولا قوة إلّا بالله.

إحصائية أميركية في ثمرات الاختلاط:

نشرت الجريدة الجامعية في إحدى جامعات أمريكا ما ترجمته: اغتصاب الفتاة جريمة شنعاء، أبشع من أي شيء تتصور حدوثه لك. قال ذلك أحد المختصين بجرائم الاغتصاب في الولايات المتحدة الأميركية. وتبين إحصائيات المباحث الداخلية الأميركية أن جريمة الاغتصاب من أكثر وأسرع الجرائم العنيفة تزايداً في أمريكا. فلقد ارتفعت الآن بنسبة ١٦٥٪ عمَّا كانت عليه في الستينات. وفي السنة الماضية فقط تمَّ الإبلاغ عن /٥٦٠٠/ حادثة اغتصاب. أما في مدينة (شيت كولج) الجامعية ففي عام ١٩٧٣ تم الإبلاغ عن /١١/ حادثة اغتصاب، و /١٦/ حادثة اعتداء خلقي والإحصائيات المتوفرة عن هذه الجريمة ما هي إلّا النزر اليسير من الحقيقة المرة. فبعض الخبراء يقول إن من بين كل /٢٠/ حادثة يبلغ عن واحدة منها. ومعظم حوادث الاغتصاب التي حدثت خارج الجامعة كانت في شارع «وست كولج» وشارع «ساوت آلن، وفريزر، وساوت لوغ» وهي شوارع ضعيفة الإنارة

ترتادها الفتيات عائدات إلى منازلهن من العمل أو من المكتبة آخر الليل.

ويقول مسؤول الشرطة في الجامعة إن المناطق الخطرة في الجامعة غير محدودة، وأكثر الحوادث وقعت في أماكن السكن الداخلي، وفي غرف الدراسة، وفي موقف السيارات رقم /٨٣/. وتدل الإحصائيات على أن ٥٧٪ من المجرمين هم من أصدقاء وأقرباء الضحايا.

أغلب المجرمين من العزّاب، و ٢٧٪ منهم تتراوح أعمارهم ما بين /٢٠ ـ ٢٤/ سنة. ٢٣٪ من الضحايا أعمارهن ما بين /١٧ ـ ١٨/ سنة. ٦٠٪ من الضحايا غير متزوجات. ويقول الخبراء في الولايات المتحدة إن الاغتصاب جريمة عنف لا دخل للهوى والانفعال الداخلي فيها، وإن الدافع الرئيسي لوقوعها يعتمد على سهولة نيل الفتاة، وإن الفتاة الجامعية هي الفريسة لمثل هذه الحوادث لأنها غالباً ما تكون لطيفة مع الآخرين ساذجة لا تتصور أنها في يوم ما ستكون ضحية لطفها وضحية انفرادها وخلوها بشاب. وعلى كل حال فإنّ الطالبات في جامعة «بنسلفانيا ستيت» في مدينة «ستيت كولج» كن على علم وحذر بالخطر المحيط بهن، وكانت تلك الحيطة والحذر في فصل الشتاء الدراسي سنة ٧٤ وعلى الرغم من ذلك فقد تم التبليغ عن /٤/ حوادث اغتصاب.

ونشرت أن أحد الملثمين هدد فتاة بسكين في دورة المياة النسائية في مبنى «ويلرد» أثناء الدوام الدراسي، ويعتقد بأنه نفس

الشخص الذي هدد فتاة أخرى في دورة المياه في مبنى «راكلتي»[1].

من حاجة خروج الأنثى من البيت: خروجها إلى تعلم العلم:

من خلال ما عرضنا من طبيعة المرأة ووظيفتها في الحياة، نستطيع أن نقرر بسهولة وإيجاز، أن العلم الذي يجب أن توجه إليه جهود الآباء ووزارة التربية والإعلام في حق الأنثى هو العلم الذي يتفق مع طبيعة الأنثى ووظيفتها في الحياة.

١ ـ فتكثر لها دروس الدين المختلفة من قرآن وسنة وتوحيد وفقه، والأنثى سريعة التأثر، ولكنها سريعة التحول كذلك لقوة عاطفتها، فالإكثار عليها من دروس الدين والوعظ كفيل ـ بإذن الله تعالى ـ بتنشئتها لتصبح أمًّا تقوم بواجباتها الدينية والدنيوية في الأسرة خير قيام، والإخلال بالتذكير في هذا الجانب يورث قسوة القلب، ولا خير في قلبٍ قاسٍ.

٢ ـ تكثر لها دروس التربية والأخلاق، وتردّد لها بما يتناسب مع دراستها، كي تجد في نفسها حصيلة كريمة في الأخلاق علماً وعملاً، فتربّي على ذلك أولادها في المستقبل.

٣ ـ تكثر لها دروس العناية بالأسرة: قيامها، وظيفتها، وظائف أعضائها، واجباتها نحو زوجها، وبيته، وأولادها.

٤ ـ تكثر لها دروس العناية بتربية الأطفال تربية سليمة من جهة الخلق والجسم والعقل.

---

(١) مجلة المجتمع /١٧ ـ ٢ ـ ٩٦/.

٥ ـ تكثر لها دروس التاريخ المتمثلة في الأبطال والمصلحين وأثرهم الحسن في أقوامهم؛ كي تربي أولادها في المستقبل على أخلاق العظمة، والخير، والصلاح.

٦ ـ تكثر لها دروس تتعلَّم بها أعمالاً تتفق مع وظيفتها من خياطة وتطريز وحرف أخرى.

٧ ـ توجه بعضهم إلى متابعة الدراسة العالية كي يخرجن قابلات، ممرضات للنساء ـ دون الرجال ـ طبيبات ـ للنساء كذلك ـ معلمات ومدرسات يعلِّمن في المدارس التي تنشأ لهن، ويكون التعليم فيها مؤنثاً قدر الإمكان.

بهذا وأمثاله توجه الأنثى في التعليم الوجهة التي تتفق وفطرتها واختصاصها.

وما أحوج الإنسانية إلى الاختصاصات المختلفة، وما أشدَّ ما تعمل اليوم لتوفيرها، لكنها للأسف تغفل عن هذا الاختصاص العظيم الهام، لما سبق ذكره من الأسباب.

وينبغي أن لا تعلَّم الأنثى كما يعلّم الذكر حذو القُذَّة بالقُذّة كما يفعل الآخرون.

ويجب أن يحذَّر من الاختلاط في التعليم لأضراره البالغة الدرجة القصوى من الخطورة.

أضرار الاختلاط في التعليم:

تقدم أن الإسلام يأذن باجتماع النساء والرجال في بيوت الله تعالى للعبادة وسماع العلم، مع الفصل بينهم، ولكنه لا يأذن بالاختلاط، كما لا يأذن بالخلوة.

فما هي بعض أضرار الاختلاط في التعليم؟

١ ـ معصية الله تعالى بما فيه من تبرّج بعض الطالبات وخروجهن عن الآداب الشرعية.

٢ ـ ما يكون ثَمَّة من نظرات مغرضة، لما أنه من الصعب غضُّ البصر في تلك المجالات.

٣ ـ ما يؤدي الاجتماع في مكان واحد إلى عقد تعارف وصداقة بين الطلاب والطالبات.

٤ ـ ما قد يقع هناك من جرائم الزنى ـ معاذ الله ـ وهو ما نسمع به بين الفينة والفينة حتى في بلادنا ـ ولا حول ولا قوة إلّا بالله ـ ولمّا وقع شيء من ذلك إبان افتتاح الجامعة المصرية قال طه حسين بكل صراحة: «لا بد من ضحايا»!. لكنه لم يذكر هذه الضحايا في سبيل ماذا؟!.

وقد ذكر سيد قطب رحمه الله تعالى ـ من مشاهداته في أمريكا ـ أنه ظهر أن نسبة الفتيات الحوامل في إحدى المدارس الثانوية هناك بلغ ٤٨٪.

أما الآن وقد كثرت حبوب منع الحمل، وأضحت تباع علناً، فتزداد نسبة الزانيات لكن تقلّ نسبة الحوامل لتلك الحيلة الشيطانية التي قام بها أطباء لا يخافون الله تعالى.

٥ ـ ضعف سوية التعليم وتدنّي نسبة الاستفادة العلمية، ومن يزور بعض الفروع الجامعية المختلطة.. يتبين ما نقول في جانب الأخلاق.

ومن ينظر في نتائج الامتحانات آخر العام الدراسي يتبيّن له

كذلك ما نقول في جانب العلم. ولا نزيد.

وكأن الآخرين أخذوا يلاحظون تدنّي سوية التعليم في المدارس المختلطة، فقد حدثني الأستاذ الكبير أحمد مظهر العظمة أنه حين ذهب منذ سنين في رحلة علمية إلى بلجيكا، لاحظ مدرسة ابتدائية هناك ـ وهو يقوم بجولات في مدارسها ـ جميع طلابها بنات.. فسأل المديرة لماذا لا تخالطون البنين مع البنات في هذه المرحلة(1)؟ قالت: قد لمسنا أضرار اختلاط الأطفال حتى في سنّ المرحلة الابتدائية.

وتتحدَّث الأخبار أنه قد أقيمت الآن في روسيا فروع جامعية منفردة، لا يختلط فيها الطلاب مع الطالبات، بل لكلٍّ قاعاتهم.

وأن في أمريكا /١٠٧/ فروع جامعية التعليم فيها منفرد غير مختلط، على غرار جامعة الإسكندرية، وفيها فروع خاصة بالطالبات، والأمر هكذا في السعودية والحمد لله.

وجامعة الأزهر الشريف بفروعها المختلفة التي يقوم التعليم فيها على الانفراد دون الاختلاط والحمد لله.

ومهزلة أن جعلت حكومة الكويت التعليم الجامعي عندها مختلطاً.. وثارت ثائرة بعض المسلمين ضد هذا الأمر، فقال النائب «الحجرف» في البرلمان أنه يوجد في أمريكا أكثر من /١٧٠/ كلية غير مختلطة، فقال رئيس المجلس: لا دخل لنا

(1) وما سألها حاضًا لها على خلط التعليم، فهو من كبار رجال التربية ودعاة الأخلاق الإسلامية في هذا البلد، لكنه رأى الأمر نشازاً عن بقية المدارس، فأحب أن يعرف السبب.

بأمريكا! واحصر كلامك في جامعة الكويت! فقال الحجرف: أنا أستشهد بهذه الإحصائيات لأنها من نفس البلد الذي استورد منه دعاة الاختلاط النظام الدراسي المختلط(١).

في حياة الآخرين:

منذ سنين عديدة عاد المجاهد الشهيد سيد قطب رحمه الله تعالى من رحلته الدراسية في أمريكا، فكتب كتابه (أمريكا التي رأيت) ـ لكنه لم ير النور إلى الآن ـ كتب يقول: (إنه اكتشف في إحدى المدارس الثانوية للبنات أن عدد الحوامل من الزنى منهن بلغ ٤٨٪).

ومنذ سنين عديدة نقل الداعية المربي الموجه أبو الأعلى المودودي ـ رحمه الله ـ عن بعض الاختصاصيين من الأمريكان حوادث وإحصائيات يندَى لها جبين الفضيلة في جرائم الزنى بين.. الأطفال!.

والأمر الأخلاقي في أمريكا وغير أمريكا يزداد سوءاً يوماً بيو لأسباب عديدة منها:

١ ـ استمرار الاختلاط وزيادة تفشّيه حتى أصبح يغمر حي الناس في كل شيء، حتى في حَمْل الأثقال وتنظيف الشوار ودورات المياه العامة.

٢ ـ فقدان رغبة الحكومات في عودة الناس إلى الدين، بدل

(١) المجتمع ٣ ـ ١ ـ ١٣٩٤.

خلو تشريعاتها من التوجيهات الأخلاقية والقوانين الأخلاقية.

٣ ـ ضعف الوزاع الديني لضعف الإيمان بالله تعالى، وضعف التوجيه إلى الإيمان بالله تعالى لضيق المجال، بل التضييق على الموجهين بصدق وصراحة.

وقد رأيت في رحلتي في الصيف الماضي[1] إلى بعض بلاد أوربا من آثار الاختلاط مناظر في الشوارع العامة.. ومواقف الباصات، ودَعْك عن الحدائق العامة، ما أربأ بقلمي أن أسطر فيه كلمة.

قال القاضي «بن لندسي» في كتابه (تمرد النشىء الجديد): إن الصبية في أمريكا قد أصبحوا يراهقون قبل الأوان، ومن السن الباكرة جداً يشتدّ فيهم الشعور الجنسي، ويحدِّث هذا القاضي عن أحوال ٣١٢ صبيّة على سبيل النموذج، فيقول: إن ٢٥٥ صبيّة منهن كن أدركن البلوغ فيما بين الحادية عشر والثالثة عشرة من سني أعمارهن، يوجد فيهن من أمارات الشهوة الجنسية والمطالب الجسدية ما لا يكون عادة إلاّ في بنات الثامنة عشر فما فوقهن سناً.

وكذلك يقول الدكتور «أديت هوكر» في كتابه (القوانين الجنسية): إنه ليس من الغريب الشاذ ـ حتى في الطبقات المثقفة ـ أن بنات سبع أو ثمان سنين منهن يخادنّ لداتهن من الصبية، وربما تلوثن معهم بالفاحشة.

بنت في السابعة من عمرها من بيت عريق في الشرف والمجد

(١) في عام ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م.

ارتكبت الفحشاء مع أخيها وعدد من أصدقائه. ونفر آخر من خمسة أولاد يشتمل على صبيتين وثلاثة صبيان متجاورين متقاربي البيوت، وجدوا معلّقين بعضهم بالعلاقات الجنسية، وقد حفزوا على ذلك غيرهم من الأولاد أيضاً، وكان أكبر أولئك سناً ابن عشر سنين، وبنت أخرى في التاسعة كانت في ظاهر الأمر تحت رقابة شديدة وجدت سعيدة بكونها حبيبة عشّاق ذوي عدد..!.

وقد جاء في تقرير طبيب من مدينة «بالتيمور» أنه رفع إلى المحاكم في تلك المدينة أكثر من ألف مرافعة في مدة سنة واحدة، كلها في ارتكاب الفاحشة مع صبايا دون الثانية عشر من العمر.

يخمن القاضي «لندسي» الأمريكي أن ٤٥٪ من فتيات المدارس يدنسن أعراضهن قبل خروجهن منها، وترتفع هذه النسبة كثيراً في مراحل التعليم العالية، فيكتب أن الطالب في مدرسة ثانوية تكون عواطفه دون عواطف الطالبة شدّة والتهاباً، فالصبية هي التي تتقدم أبداً وتأمر، وما يفعل الصبي إلّا أن يتبع ويأتمر.

وتصور أيها الأخ القارىء! أولادٌ ضعف فيهم التوجيه الديني أو أغفل بمرّة، أو عُمل للقضاء عليه في فطرتهم، وآباء وأمهات شغلتهم أموالهم وأعمالهم وملاهيهم عن توجيه الأولاد وتربيتهم، ونظريات تقرر للأولاد أن الإنسان حيوان راقي، فلا مناص له من أن يعيش في أمور الجنس كالحيوان، وأغاني خليعة، وصور عارية، وفواحش تعرض في قصص ومقالات، وتمثيليات وأفلام تعرض مقدمات الفاحشة حتى كأنها تقف الإنسان عليها،

وغراميات الساقطين في الطرقات والحدائق المفتوحة ليلاً ونهاراً.

تصور مجتمعاً يجمع الصبيان والبنات ساعات كل يوم على هذه الحالة من فقدان الإيمان والتوجيه والتفكير، ثم قدِّر: كيف يكون حال أولئك الصبيان والبنات؟!.

من الذي سيحول بينهم وبين حوادث الزنى المبكِّر.. والشنيع في إتيان الأخ أخته..! خاصة حين يكون في السنِّ المبكِّرة فترة المراهقة والبلوغ؟!.

ومرة أخرى أقول: لا يخدعنك الشيطان، فتقول أولئك أمريكان وروس وفرنسيون وكذا وكذا فلا غرابة أن يفعل فيهم الاختلاط ما ذكرت وأكثر.

أما نحن فعرب مسلمون! لقد كان أهل الجاهلية عرباً أقحاحاً وكان فيهم من يجبر فتياته على البغاء نظير دراهم معدودة، وكان فيهم من يقدِّم زوجته إلى فارس أو شاعر ليستولدها فارساً أو شاعراً، وكانت فيهم البغايا يرفعن أعلاماً على بيوتهن ليُعْرفن أنهن..

أما أن نقول: مسلمون.. فالإسلام له علامات، فإذا ذهبت علاماته ذهب الإسلام، ولا يبقيه فينا أن نحمل الأسماء، وأن نُعدّ في الأوراق الرسمية مسلمين!.

وقد رأيت هذا العام ـ وأنا أراقب في امتحان الشهادة الثانوية ـ على حائط في الصف الخامس الابتدائي كتابة بخط طالبة ـ على الأرجح ـ تقول: ما بدي ذهب ولولو.. بـدي حبيب وبس.

وتحت الكتابة أعداد من صور القلب بخط أحمر وأرزق. . ! .

لكن. . أين في بلاد المسلمين من يرصد أضرار التعليم المختلط ابتداء من التعليم الابتدائي إلى التعليم الجامعي، ويجمع إحصائيات في الموضوع؟ إذن لأفزع الأمر بعض الآبا وأهمهم.

لكن أحداً لا يفعل ذلك، ولا هيئة تفعل ذلك . فيما أعلم ـ الآن، لأننا ما نزال نعيش في دوَّامة تقليد الآخرين.

فعسى الله تعالى أن يكشف الغمَّة ويرفع الشدَّة، ويزيل الغَبَش عن العيون. . فنلغي الاختلاط في مراحل التعليم جميعها، وفي دوائر الدولة والمعامل وأمثالها قبل أن يصيبنا ما أصاب الآخرين. والعاقل من اتَّعظ بغيره، والأحمق من اتَّعظ به غيره.

الفصل السادس

مَن المسؤول عَن إنحراف كثير مِن نسَاء المسْلمين

والآن من المسؤول عن انحراف الكثير من نساء المسلمين عن الإسلام؟.

١ ـ نحن الرجال آباءً وأزواجاً مسؤولون أولاً عن انحراف نسائنا عن الإسلام.

أ ـ فقد جهلنا إسلامنا جهلاً مُبْكِياً، لقد اعتبرنا بعض أحكامه وقواعده ـ كالحجاب وعدم الاختلاط ـ مظاهر من تقاليد وعادات، ولا بأس بالمظاهر والتقاليد أن تهزم أمام مظاهر جديدة وتقاليد جديدة كتقاليد بناء البيوت ولبس الثياب وإعداد الطعام، ومن منا ـ إلّا ما رحم ربك ـ لا يطلق على كثير من أحكام الإسلام بما فيها الحجاب أنها تقاليد ومظاهر وعادات موروثة..؟!.

ب ـ فهمنا الإسلام فهماً قاصراً ضيقاً على أساس من الإيمان الصوري وعبادات الصلاة والزكاة والصوم والحج.. ثم ولغنا

موالغ الآخرين في أكل الربا والغش والكذب وسوء القصد. . والسفور والفجور إلّا ما رحم ربك.

ج ـ أخذنا بما أشاع المستغربون في بلادنا عن مدنية الآخرين وتقدمهم المادي، وكيف أن المرأة عندهم مكرَّمة محترمة، حتى إنهم إذا أرادوا الكلام في مجتمعاتهم نادَوا النساء قبل الرجال، وقدَّموا النساء في دخول البيوت والخروج منها، مع أنهم إذا تزوَّجوهن جعلوهن في ألقابهن تابعات للرجال. . ولكن!!.

د ـ وأنهم إنما تهذبت أخلاقهم حين خالطوا النساء وجالسوهن، فكان أن تأدبوا في الحديث، وضعفت فيهم الشهوات المغرضة وسوء القصد، لذا فإن مجتمعاتهم طاهرة نقية، مع أن إحصاء أجري في العام الماضي بفرنسا عن الخيانات الزوجية كان حصاده أن نسبة الزانيات من الزوجات بلغت ٥٠٪ فقط!.

٢ ـ ثم الكافر المستعبد الذي احتل بلاد المسلمين وفعل فيها ما فعل من:

أ ـ إلغاء الأحكام الإسلامية في الحكم بين الناس ليجعل مكانها قوانينه الأرضية، وما وضع من نظمه التعليمية والتربوية.

ب ـ اصطناع أبواق يصرفون المسلمين عن حياتهم الإسلامية خاصة في ميدان الأسرة، فخرج منهم: مرقص فهمي، قاسم أمين، أحمد الصاوي، توفيق حكيم، طه حسين، لطفي السيد. . الخ.

ج ـ تهويل حال المسلمين وتأخرهم، وإن سبب ذلك هو تنفّس

المجتمع برئة واحدة، وحبس الرئة الأخرى ـ أي المرأة ـ لا تخالط الرجال كما تفعل المرأة عند الآخرين.

د ـ تسليط الأضواء وفتح مجالات النشر.. والشهرة للذين يزينون حياة الآخرين كذباً وزوراً، إقرأ ما كتبه السِّكِّير زكي مبارك حين كان في باريس إلى أحمد الصاوي في القاهرة ونشر ذلك للناس.

قال: (في باريس لا يسمح بإزعاج العُشَّاق.. وظل الفتى يقبل الفتاة وكأننا لسنا هنا وكأنهم ليسوا هناك. لا تحسب أن هذا فِسْق فقد يكون هذا العناق مقدمة زواج.. اطمئن فأنا أعتقد أن هذا الغزل المكشوف أسلم وأشرف من تلك السرائر المظلمة والقلوب السود التي تنطوي عليها جوانح القذرة الفجرة ممَّن يدَّعون الفضيلة..)!.

وكتب محمد حسين هيكل ـ الذي كتب حياة الرسول ﷺ كما يكتب الآخرون وأخلاها من كل معجزة ـ: (إن الثورة الفرنسية جعلت بين الرجل والمرأة من المساواة والإخاء ما جعلهما يتبادلان العواطف والمنافع كما يتبادلها رجلان.. وما دامت الحرية الحقَّة تفترض في الناس الطهر والبراءة فليكن النظر العام للقبلات أنها قبلات إنسانية كقبلة الأخ لأخته)[1].

وحوادث الزنى هناك في الحدائق العامة.. وفي الفنادق، والبيوت الخاصة.. والمسابح والنوادي الليلية.. ثم أولاد الزنى

(١) انظر «المرأة في الإسلام» لكمال أحمد عون.

ويبلغون عشرات الألوف في كل عام تبيِّن مدى صدق أولئك الكذبة.

٣ ـ ثم اليهود الساعون لإفساد البشرية جميعها ليسهل عليهم قيادها بعد ذلك لمصالحها وهي إقامة ملك داود وحكم العالم.

ونظرة إلى كتاب (أوقفوا هذا السرطان) للدكتور سيف الدين البستاني ـ الذي حلّل فيه بروتوكولات اليهود ومساعيهم في إفساد المرأة وتحريرها ـ تبين حقيقة إفساد اليهود للمرأة المسلمة في كثير من صيغ تجمعاتها وشعاراتها[1].

جاء في بروتوكولات حكماء صهيون:

سيظل «فرويد» (الذي زعم أن الإنسان من نسل الحيوان ثم القرد) يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس كيلا يبقى في نظر الشباب شيء مقدَّس، ويصبح همه الأكبر هو: إرواء الغريزة الجنسية، وعندئذٍ تنهار أخلاقه.

٤ ـ مروجو المنكرات ومحركو الشهوات من عبدة الشيطان.

أ ـ في تزيين الفواحش والموبقات باسم الحب.. والخطبة، في القصص المخترعة أو المترجمة من حياة الآخرين، ومن يقرأ بعض ما كتبه ذلك الخبيث في (الوسادة الخالية) يتيقّن حقاً أنه يكتب

(١) ليس الكتاب بين يدي الآن لأنقل منه نقولاً.. والكتاب مطبوع عندنا بدمشق.

في أدب الفراش.. وأن حقاً على حكومات المسلمين أن تقيم فيه وأمثاله حكم الله تعالى بالعقوبة التي تراها زاجرة.

قال الله تعالى: ﴿ إنَّ الذينَ يُحبُّون أن تشيعَ الفاحشةُ في الذينَ آمنوا لهم عذابٌ في الدنيا و الآخرة ﴾[١].

وقد قرأت في (كفاح دين) للشيخ محمد الغزالي حين يعرض لأعداء الدين: كيف كتب ابن أمه في قصة عن رجل نزل ضيفاً عند رجل، ثم زنى بزوجته - قاتله الله وعجَّل به وأمثاله العقوبة -.

ب - في تكريم الفاسقات وتقديم أسباب الحياة الرفيهة إليهن.. كان في الممثلات والمغنيات، في المحظيات والعشيقات.. كان في ملكات الجمال، أو الكاتبات الداعرات.

٥ - إيثار الشهوات العاجلة من الرجال في النساء ومن النساء في الرجال، تبعاً لدعوة الشيطان إلى الإضلال، وقسمه على ذلك حتى يكون أتباعه معه في النار أبد الآبدين.

قال الفقيه الوزير العباسي «ابن هُبيرة» لبعض من يأمر بالمعروف: (اجتهد أن تستر العُصاة فإن ظهور معاصيهم عيب في أهل الإسلام، وأولى الأمور ستر العيوب). (ذيل طبقات الحنابلة).

وقال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: (إن مشاهدة الفسق تهوِّن أمر المعصية على القلب، وتبعد نفرة القلب عنها)[٢].

---

(١) الآية ١٩ من سورة النور.
(٢) إحياء علوم الدين /٢: ١٧٢/.

قلت: وفي الحديث «إذا ابتُليتم بشيء من هذه القاذورات فاستتروا». ذكر الواقدي والكلبي أن «هيتاً» المخنَّث قال لعبد الله بن أمية المخزومي وهو في بيت أخته أم سَلَمة والرسول ﷺ يسمع: إن فتح الله عليكم الطائفَ فعليك ببادِيَة بنت غيلان بن سَلَمة، فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان[1]، مع ثَغْر كالأقحوان، إن جلست تبنّت، وإن تكلّمت تغنّت، بين رجليها كالإناء المكفوء، وهي كما قال قيس بن الخطيم:

تفترق الطّرف وهي لاهية
كأنّما شف وجهها نُزُفُ
بين شُكول النساء خلقتها
قَصدٌ فلا جَبْلَةٌ ولا قَضَفُ
تنام عن كُبْر شأنها فإذا
قامت رويداً تكاد تنقصفُ

فقال له النبي ﷺ: «لقد غلغلت النظر إليها يا عدو الله» ثم أجلاه عن المدينة إلى الحِمَى. قال: فلما افتتحت تزوجها عبد الرحمن بن عوف. فولدت منه بُرَيهة، قال الكلبي: ولم يزل «هيت» بذلك المكان حتى قبض النبي ﷺ، فلما ولِّي أبو بكر كُلِّم فيه فأبى أن يرده، فلما ولِّي عمر كُلِّم فيه فأبى، ثم كُلِّم عثمان بعد، وقيل إنه قد كبر وضعف واحتاج، فأذن له أن يدخل كل جمعة فيسأل، ثم يرجع إلى مكانه[2].

(١) يعني: تُقبل بأربع عُكن، وتدبر بثمان عكن. والعكن: ما انطوى وتثنى من لحم البطن سِمناً.
(٢) القرطبي /١٢: ٢٣٥/.

٦ ـ تقليد الآخرين في سائر شؤون الحياة. ولقد جرأت مصرية بعد الحرب العالمية الأولى فذهبت إلى أوربا، وهناك التقت بنساء، وتنظيمات، ثم عادت إلى مصر وأخذت تدعو إلى ضرورة خروج المرأة من بيتها، وضرورة إعطائها حقوقها، وليس إلى ضرورة تطبيق رعاية الإسلام لها وحماية دينها وعرضها، ثم أسست الاتحاد النسائي.

وكان هذا الاتحاد في اجتماعاته الدورية يدعو إلى شيء من الخروج على أحكام الإسلام، سواء كان في تعدد الزوجات، أو الطلاق، أو طاعة المرأة للزوج، بل كان منها مرّة طلب إلغاء نون النسوة حتى لا يبقى فرق بين الرجل والمرأة؟.

وضحكت نساء الآخرين على نسائنا فقلن لهن: إن النساء مثل الرجال سواء بسواء، فصدَّقن وكذَّبن العلم.. والدين، والواقع، وهُنَّ يعلمنَ في قرارة نفوسهن أنهن كاذبات.

اقرأ ما يقول الشيوعي «نيميلاف»: إذا قيل في هذه الأيام: إن المرأة يجب أن تمنح في دائرة التمدن حقوقاً محدودة لم يؤيده من الرجال إلاّ الأقل، ونحن بأنفسنا ممن يخالفون هذا الرأي، ولكن ينبغي أن لا نخدع أنفسنا برغم أن إقامة الرجل والمرأة في الحياة العملية أمر هيِّن ميسور. الحق أنه لم يجتهد أحد في الدنيا لتحقيق المساواة بين الصنفين مثل ما اجتهدنا في روسيا السوفيتية، ولم يوضع في العالم من القوانين السمحة البريئة من التعصب في هذا الباب مثل ما وضع عندنا. ولكن الحق مع ذلك كله أن منزلة المرأة قلَّما تبدلت في الأسرة. ثم قال:

ولو أننا نتتبع في هذا الأمر أفكار عالم طبيعي أو مصنف أو طالب أو تاجر شيوعي خالص العقيدة؛ لانكشف لنا عن غير بعد أنه لا يرى المرأة كفوءاً له أو ندّاً يماثله. ثم قال: وما السبب في ذلك؟ السبب في ذلك أن المبادىء الانقلابية تصطدم في هذا النظام بأمر واقع هام، هو أنه لا مساواة بين الجنسين باعتبار علم الأحياء، ولم تكلفهما الفِطْرة بأعباء سواء. اهـ.

وقراءة فقرات من كتاب (الإنسان ذلك المجهول) تأليف «ألكسيس كاريل» تبيِّن الفروق الكثيرة بين الرجل والمرأة من حين يكون نطفة.. إلى أبد الدهر.

قال رسول الله ﷺ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كان قبلكم، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جُحْر ضَبٍّ لدخلتموه» قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن»[1].

٧ - اتباع خطوات الشيطان الذي يدعو حزبَه ليكونوا من أصحاب السعير، يسعَى إلى تبديل خلق الله، وإلى الانحراف بالرجل والمرأة عن أمر الله تعالى وشرعه، كي يشقَوا في الحياة الدنيا وفي الآخرة، جزاء الإعراض عن الله تعالى وشرعه.

٨ - تنظيمات الحكومات في جعل التعليم واحداً للذكور والإناث، وتهيئة فرص الوظائف للرجال والنساء على حدٍّ سواء، إن لم نقل بتفضيل النساء أحياناً، والسكوت عن محاربة الرذيلة والفجور ومظاهره.

---

(١) رواه البخاري.

قبل أن تُزف ابنة عمر بن عبد العزيز إلى زوجها طلبت أن تراه وتتحدث إليه، فلما اجتمعا سألته: أي خطيبي وزوجي، كم معركة مع المسلمين حاربت، وكم في البر وكم في البحر؟ أجاب في خجل وأسى: والله يا ابنة أمير المؤمنين، ما دخلت إلاّ ثلاثين معركة براً وجرح صدري كله وكذلك جوانبي ـ وكان المسلمون يومئذٍ في حرب ـ فقالت له: يا رجل، اذهب مع المؤمنين إلى الميدان فإن استشهدت فإني ألقاك يوم عيد الله، وإن عدت فلابنة الخليفة الشرف أن يكون زوجها مجاهداً في سبيل الله تعالى[1].

(١) مجلة الدعوة: العدد العاشر، ربيع ثاني ١٣٩٧ هـ.

الفصل السابع

وأخيرًا كيف يريد الإسلام المرأة المسلمة أن تكون

١ ـ يريدها أن تكون حليف زوجها المؤمن، تؤيده في دعوته، وتنشّطه في عمله، وترغّبه في جهاده، وتصبر على ما يكلّفها ذلك من حرمان.. وربما ضيق رزق وفقد زوج أو ولد.

تقول خديجة رضي الله تعالى عنها للنبي ﷺ ـ وقد خشي على نفسه حين جاءه الوحي أول مرة ـ: كلا، والله! لا يخزيك الله أبداً، إنك لَتَصِل الرَّحِمَ، وتَقري الضيف، وتَحمل الكَلَّ، وتعين على نوائب الدهر.

وتقول صحابيةٌ لنساء جئن إليها بعد استشهاد زوجها: إن كنتن جئتن مهنئات فمرحباً، وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن. لقد عرفت زوجي أكّالاً وما عرفته رزّاقاً، فإذا ذهب الأكّال فقد بقي الرزّاق ـ سبحانه وتعالى ـ.

٢ ـ يريدها أن تكون مع زوجها ربة بيت، ومربية أولاد، وأنس زوج، تعف عما حرم الله تعالى، وتنأى عن معصيته سبحانه ﴿ فالصالحاتُ قانتاتٌ حافظاتٌ للغيب بِما حفظَ الله ﴾ تقدِّم كلَّ شيء لله تعالى، همها الأكبر إرضاء زوجها في رضى الله تعالى.

لقد بذلت خديجة رضي الله تعالى عنها مالها كلَّه للدعوة، وكانت للرسول ﷺ نعم الزوجة، وربت أولادها خير تربية.

٣ ـ يريدها أن تكون المتعلمة المثقفة، التي تتلقى العلم النافع وتعمل به وتنبه إلى مثيلاتها، كانت عائشة رضي الله تعالى عنها إحدى المجتهدات، وكان كبار أصحاب رسول الله ﷺ يأتون إليها ويسألونها من وراء حجاب فتجيب. وكم كان لها استدراكات على الصحابة وملاحظات، فإذا علموا بذلك منها رجعوا إلى قولها.

وكانت تزورها النساء في بيتها فتعلِّمهن، وهذه المرأة المخزومية التي قُطعت يدها تقول عنها الرواية: (. . . فكانت تأتي بعد ذلك إلى بيت عائشة تتفقَّه في دينها).

وكم كانت نساء رسول الله ﷺ يبلِّغنَ النساء أحكام الدين وأحاديث رسول الله ﷺ.

٤ ـ يريدها أن تكون القوية في دينها، لا يغرها الفَرَاش، الذي يتساقط على كل نور فيحترق، ولا السراب الذي يبدو للضعيفات ماء وليس بشيء، لثقتها أن ذلك كله ضلال وضلال.

هذه امرأة فرعون حاكم مصر ومدّعي الألوهية، يعذِّبها زوجها فما يزيدها عذاب زوجها لها إلاّ تصلُّباً في دينها، حتى إنها لتقول

وهي مشبوحة على الأخشاب: ﴿ربِّ ابنِ لي عندكَ بيتاً في الجنـةِ، ونجِّني من فـرعـونَ وعملِه، ونجِّني من القـومِ الظَّالمين﴾[1].

٥ - يريدها أن تكون المرأة الصادقة.. الصادقة في حياتها مع زوجها ونفسها، الصادقة مع أولادها الذين تربِّيهم على مثل حزم أبي بكر، وقوة عمر، وحياء عثمان، وعلم علي، وشجاعة خالد، وكرم عبد الرحمن بن عوف، وبر خديجة، وعلم عائشة، وطاعة أسماء.

وما أجمل الأسرة القائمة على الصدق. قال عبد الله بن عامر: دعتني أمي يوماً ورسول الله ﷺ في بيتنا فقالت: ها، تعال أُعطِك. فقال لها رسول الله ﷺ: «ما أردتِ أن تعطيه؟» قالت: أردت أن أعطيه تمراً. فقال لها رسول الله ﷺ: «أما إنك لو لم تـعطِه شيئاً كُتبت عليك كذبة»[2].

٦ - يريدها أن تكون المرأة الصابرة، ترضى بقضاء الله تعالى، وتصبر على بلائه في نفسها وزوجها وأولادها، ولا بدَّ في الحياة من البلاء.. والعافية.

قال رسول الله ﷺ: «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتَلى الناس على قدر دينهم، فمن صلب دينه اشتد بلاؤه، ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه، وإن الرجل ليصيبه البلاء

---

(١) التحريـم: ١١.

(٢) رواه أبو داود وغيره.

حتى يمشي على الأرض ما عليه خطيئة»[1].

وتصبر عن معصية الله تعالى، فلا ترضى أن تفقد صبرها عن المنكرات، فتسقط كما يسقط فراش النساء أمام المغريات، لتحترق على شهوات الرجال، مقابل كلام معسول ومال مبذول وأمنية موعودة، ثم. . ثم تكون العاقبة إلى النار وبئس القرار.

وتصبر على طاعة الله تعالى لا ترضى عنها بديلاً. لا تفوتها صلاة أينما كانت، ولا تخالط الرجال مهما احتاجت، ولا تلبس لبس الفاسقات مهما دعيت وأغريت.

وهي تعيش على هذا الصبر بأنواعه. مع زوجها، وأولادها، وأهلها، ومجتمعها. تتواصى في ذلك كله به ﴿ . . إلَّا الذينَ آمنوا، وعلموا الصالحاتِ، وتواصَوا بالحقِّ، وتواصَوا بالصَّبْر ﴾.

٧ ـ يريدها أن تكون الصديقة الصدوقة لأمثالها، المعوان على فعل الخير وصنع المعروف، لا تدخر في ذلك وسعاً، أياً كان ذلك العون. . وكيفما كان ذلك المعروف، تفعل ذلك كله ابتغاء مرضاة الله. و «صنائع المعروف تقي مصارع السوء» كما ورد في الحديث.

٨ ـ يريدها أن تكون المرأة العفيفة الشريفة، لا تنظر إلى غير زوجها وأهلها بقصد سوء. لا تحاول أن ترى الرجال أو أن تعرض نفسها لرؤية الرجال الأجانب قصداً أو مصادفة. ولا تعاشر من النساء إلَّا العفيفات الشريفات، وإذا خرجت من بيتها كانت الأديبة

---

(١) رواه البخاري وأحمد وابن حبان وغيرهم.

الوقور في لبسها ومشيها، وحديثها إذا احتاجت إلى حديث. . ولا تأذن في بيت زوجها لأحد من أهلها بغير إذن زوجها، ولا تأذن لغريب بحال. لا تعرُض نفسها لمواقع التهم، قال ابن عمر رضي الله عنهما: (من عرَّض نفسه للتهم فلا يلومنَّ من أساء به الظنَّ).

٩ ـ ويريدها أن تكون الملازمة على ذكر الله تعالى وطاعته، وقراءة القرآن الكريم وفهمه وتدبُّره، وقراءة الحديث والتوحيد والفقه والسيرة، وتعيش بذلك كله.

ولا شك أن تربية الوالدَين للأولاد يكون أفضل ما يكون بطريق القدوة. القدوة في القول أولاً، والعمل ثانياً، والثاني آكد.

فإن الصِّغار ـ بل العامّة ـ كأنهم يسمعون بعيونهم كما يبصرون بها، وقلّ أن تجد الكلمة الطيبة طريقها إلى قلوبهم إذا كان العمل يخالف القول.

عن أم أنس رضي الله تعالى عنها قالت: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: جعلك الله في الرفيق الأعلى من الجنة وأنا معك، قال: «أقيمي الصلاة فإنها أفضل الجهاد، واهجري المعاصي فإنها أفضل الهجرة، واذكري الله كثيراً فإنها أحب الأعمال إلى الله»(١)(٢).

---

(١) رواه الطبراني.

(٢) واقرأ في كتاب (رسالة المرأة المؤمنة) لعصام العبد الله، موضع «صفات الداعية إلى الله تعالى» ص ٦٦.

خاتمة

أما بعد: فقد قال رسول الله ﷺ: «ما تركتُ بعدي فتنةً أضرّ على الرجال من النساء، وإنَّ أولَ فتنة في بني إسرائيل كانت في النساء»[1].

ولقد رمانا العدو بأخطر سهامه حين سعى إلى إفساد المرأة المسلمة، مربِّية الأجيال وصانعة الرجال، فأصاب ونجح إلى حدٍّ كبير وخطير، ولا حول ولا قوة إلّا بالله.

فليكن هذا الجهد المتواضع دعوة - من بين دعوات أفاضل الكتّاب - إلى المرأة المسلمة أن تعود إلى إسلامها، أو تثبت على إسلامها وتعيش به، قبل أن يستشري الداء ويزيد البلاء فيعمنا الله تعالى بعقابه في الدنيا ومن قبل أن نلقاه، كما قال سبحانه: ﴿واتّقوا فتنةً لا تصيبنَّ الذينَ ظلموا منكم خاصّة، واعلمُوا أنَّ الله شديدُ العقاب﴾[2].

ولعلَّ الله تعالى يجعل هذا الجهد المتواضع مناراً يهتدي به من كتب الله له الهُدَى. ويزداد به هُدىً من أقرَّه الله تعالى على الهُدَى. ويجعله نوراً لي يسعى بين يديَّ وعن يميني يوم لا نور إلّا من عند الله.

ويجعله باب سلامة ونجاة عنده لي، ولوالديَّ وذريتي ومشايخي والمسلمين كافة. إنه خير مسؤول وأفضل مأمول.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

---

(١) رواه الشيخان.

(٢) الآية ٢٥ من سورة الأنفال.

الفهرس

هذا الكتاب

تقف المرأة المسلمة اليوم في منعطف جدُّ خطير، فتيار التقليد الأعمى للمرأة الكافرة، وصرخات من يسمَّون بدعاة تحرير المرأة التي تصمّ الآذان، ومخططات التضليل الرهيبة، كل ذلك يكاد يعصف بها، ويلفّها في تياره، بل قد فعل ذلك بالكثير الكثير من المسلمات.

ومن هنا كان لا بدّ لدعاة الإسلام الناصحين لهذه الأمّة، المشفقين عليها من عذاب الدنيا والآخرة، أن يتكلموا وأن يكتبوا وأن يبيِّنوا، ومن هنا كان هذا الكتاب القيِّم، الذي أضاء شعاعاً من نور أمام المرأة المسلمة وهي تتخبّط في ظلمات الجاهلية الحديثة، فعرّفها بحقيقتها ومكانتها الرفيعة، ورسالتها وواجباتها وحقوقها، وبأمور فقهية تخصّها، وبما يرضي ربَّها عنها، وبيّن لها سبل الضلال، ومنعطفات الغواية، ومكامن الخطر.

ومؤلف هذا الكتاب عالم فاضل ومربٍّ جليل، تخرّج من الجامع الأزهر، وعمل في حقل التربية والتعليم. ودار القلم إذ تنشر لهذا المؤلف الجليل كتابه هذا، تدعو الله له أن يثيبه على عمله أجزل الثواب، وأن ينفع بكتابه أتمَّ النفع.

الناشر